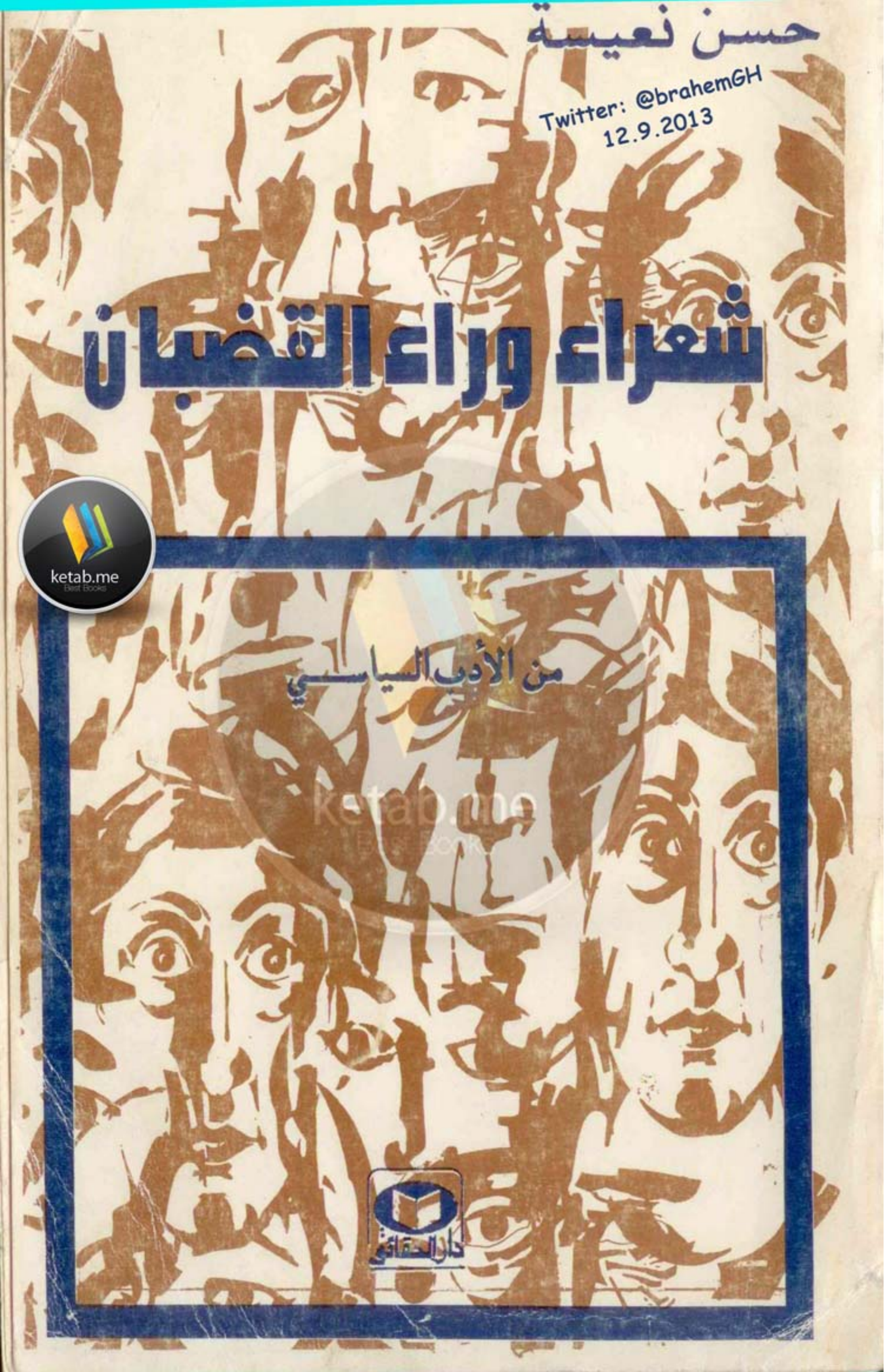

حسن نعيسة
Twitter: @brahemGH
12.9.2013
شعراء وراء القضبان
ketab.me
Best Books
من الأدب السياسي
دار الحقائق

حسن سليم نعيسة




# شعراء وراء القضبان

من الادب السياسي

دار الحقائق

# شعراء
# وراء القضبان

الطبعة الاولى ١٩٨٦

دار الحقائق
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان ـ ص. ب ٥٥٢٨ / ١٤
دمشق ـ سوريا ص . ب ٥٦٧٩

طبع بعون اتحاد الكتاب العرب

# الاهداء

« الى ابطال المقاومة وشهدائها
في دروب النضال » .

# مقدمة

« عندما أتيح للإنسان البدائي - بأولى ومضات العقل - ان يصنع بعض الاسلحة البدائية للدفاع عن نفسه ، برزت ظاهرة العسف في أنواع من السلاح استعملها هذا الانسان ليفتك بأمثاله »[1] .

والإنسان الذي ابدع نفسه بعمله وهوجهد من أجل السيطرة على الطبيعة ، يُسلب ثمار عمله بالعنف الذي يمارسه منذ البدء الاقوى حيال الاضعف ، فيفقد بذلك العلاقة الجدلية بينه وبين الطبيعة ( هذه العلاقة التي تكوِّن وجوده وتتيح له دون سواه ان يحقق ذاته في جميع أبعادها ) وتسلخه منتوجات عمله عن هذه الذات وتخضعه لضياع حقيقي بعد أن تحوَّلت الى وقائع ظالمةٍ تستبدُّ بالانسان المستغَل الذي حرمها فاتسع ضياعه الاساسي الى جميع مستويات الفعالية الانسانية .

وهكذا ظهر العنف والقهر ليُرافقا الانسان مَدَى من الإذلال طويلاً ، وزمناً من الظلم مديداً . وتتضخَّم هذه الظاهرة وتتسع دائرتها ويزداد الاهتمام بها ، ويبرز التفنُن بأساليبها في ظل التشكيلات الاقتصادية التي في قمَّتها قوى الاستغلال القاهرة الانسانَ ليس جسدياً

(١) المجتمع والعنف : ترجمة الياس زحلاوي - منشورات وزارة الثقافة - دمشق : ١٩٧٥ -

وإنما ايضاً نفسياً في أعمق اعماقه حمايةً لمصالحها ولوجودها ولاستمراريتها .

ومن خلال مسيرة الانسان في هذا الوجود تأكدت الحقيقتان التاليتان :

أ ـ هناك نوعان من الاضطهاد : الاضطهاد الفردي ، والاضطهاد الجماعي ( اضطهاد الشعوب ) .

ب ـ القوى المُضطهِدة : قوى استغلالية محلية ، وقوى استعمارية خارجية . وفي كل تشكيلٍ اقتصادي تسود اخلاقية الطبقة السائدة . فأخلاقية العنف والظلم هي اخلاقية الطبقة المستغلة السائدة في فترة من فترات الزمن والنازعة الى تدمير الجوانب الانسانية لدى المضطهَدين الذين يصبح كل منهم عضواً اَشلَّ في المجتمع .

لذلك فالمنطق العلميُّ الثوريُّ او الجدليُّ ينفي ما يروِّجه المُفَكرون البورجوازيون من أفكارٍ تهدف الى تأكيد أن العنف أحدُ اقوى اندفاعات الغريزة وأنه ايضاً من رواسب موروثةٍ للجنس البشري .

وفي هذا السياق اذ يُلغي التفكير البورجوازي دور المعطيات لايجابية الاقتصادية والسياسية والتاريخية ، فإن الفكر العلميّ التقدميّ يُبيح سياسة العنف الثوري في مسار الحركات الثورية المقاومة كلَّ قهرٍ واستغلالٍ وذلك وفق خطةٍ او استراتيجيةٍ نضاليةٍ مُتكاملةٍ تبغي تحطيمَ بُنية المجتمع الاستغلالي القديم وبناءَ مجتمعٍ اشتراكيٍّ جديدٍ تغيب منه صور الاستغلال والقهر والعسف التي تقهر الانسان اداةَ الثورة والبناء والتغيير على مَرِّ الازمان والأجيال .

والعنفُ على تنوّعه وتَعَدُّدُ صوره ( حروب ، اعتداءات ، قتل ، قمع بوليسي ، مراقبة الحياة الخاصة ، وأيضاً بعض اشكال السيطرة

الاقتصادية ) هو قبلَ كل شيءٍ يتصف بأنه علاقةٌ بالانسان بالقدر الذي يمسُّ حقَّه في ان يصبح انساناً وهو في النتيجة ضغطٌ جسَديٌّ او معنويٌّ ذو طابع فردي او جماعي ، يمارسه الانسان ضد أخيه الانسان »[1]

ومن هنا تبدو علاقة العسف بالاخلاق وكما أوضحت فالأخلاق لا تنفصل عن المجتمع وتركيبه الطبقي ، ودوماً هي نتاج التشكيل الاقتصادي القائم وبالتالي هي اخلاقية الطبقة السائدة .

وللعنف وسائله المتنوّعة وأساليبه المتعدّدة . ولطالما أنقل صوراً من حياة شعراء وراء القضبان » فإن من وسائل العسف المعروفة « السجون » وما فيها من قهرٍ للإنسان وإذلالٍ لإنسانيته . وقد روى أحد الصحفيين والروائيين البرازيليين قصّة أحد السجناء :

« استخدم العقيدُ وجنودُه القضبان الحديدية لضربه ثم أرغموه وهو مُضَرَّجٌ بِدَمِهِ على السير في باحة الثكنة . ولما كانت تلك الباحة قد سُقيت بالحوامض فقد تآكلت قدماه . وعرّوه إلاَّ ممّا يستُر عورته ، وطوّقوا عنقه بثلاثة حبال لِيَجرَّه ثلاثةُ جنودٍ كأنه حيوانٌ واقتادوه عبر شوارع المدينة وكان الناسُ يُعرضون عن هذا المشهد الرهيب وقد استبدَّ بهم الهلع وأُغمي على بعض النساء . إلا ان العقيد الغريب الاطوار رأى أن يأمرَ بوقفةٍ عامة أمام منزلة الخاص . وبذلك تسنّى له أن يشاهد زوجته في نوبةٍ من البكاء الحادّ على هذا الانسان المعذَّب الذي كان قد بلغ السبعين من عمره .

... وضاعف العقيد ضرباته التي ما استطاعت أن تحبس صراخ السجين في وجه جلاَّدية »

هذه إحدى صور العسف الانساني الذي هو ظاهرة كبيرة ماثلةٌ في الوجود الاجتماعي البشري ولكي يُنقذ الانسان من العسف والقهر والضياع لا بدَّ من نضاله الذي يخلّصه من ضياعه الشخصي والجماعي . والنضال قد يقود الى السجن الذي هو وسيلة من وسائل القمع والارهاب

---

(١) المجتمع والعنف : ترجمة الياس زحلاوي - منشورات وزارة الثقافة - دمشق : ١٩٧٥

وقد غُيِّب في عتماته الكثيرُ من ادبائنا العرب المناضلين في سبيل قضايا شعبهم القومية والاجتماعية . وذاق العديد منهم عذاباته وشقاواته بل وموته المرير .

. . . وفي اعماق السجون فاضت قرائح هؤلاء بغرّ القصائد التي خلدت ابداً لما فيها من مُعاناةٍ سجْنيَّةٍ لا تنضب ، ولما عبَّرت عن لواعج الشوق والحنين من وراء الاسوار ، الى أمٍّ تنتظر عودة الغائب او أخٍ يأمل أو صديقٍ يرقب .

وعن هؤلاء الشعراء أتحدث في كتابي هذا وقد قرنت بهم شعراء في المنفى لأن النفي من صلب العسف وجوهره لذلك جاء الكتاب موزعاً الى ثلاثة أجزاء :

أ ـ شعراء وراء القضبان ( شعراء الاسر والسجن ) .

ب ـ شعراء في المنفى .

ج ـ الملحق وفيه بعض الاشعار التي وردت فيها كلمة السجين او السَّجان بمعناها الحقيقي او المجازي ( تَرادُفاً واشتقاقاً ) .

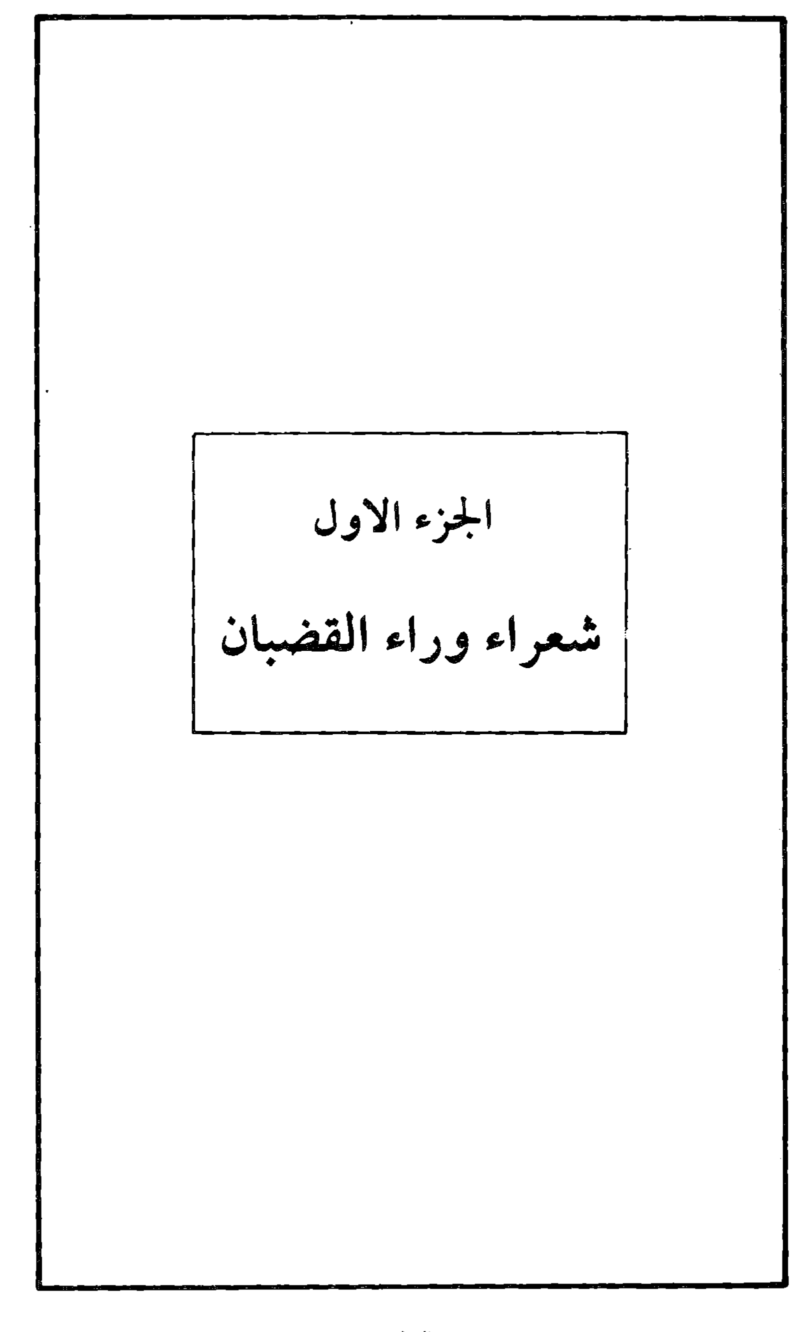
وأدباء الكتاب يَحْتَويهم عصران : قديمٌ ( من العصر الجاهلي وحتى الحديث ) وحديث وهؤلاء الادباء منهم من سُجن لأمرٍ ذاتيٍّ شخصيٍّ محضٍ ، ولكنه في سجنه عبَّر عن مرارة السجن والاغتراب وألوان العذاب ، وكتب متوسِّطاً او مستعطفاً او متذلِّلاً ، او لم يكتب بل بقي صامداً في سجنه يتحدى القهر والظلم والسَجَّان والحاكم القاهر المستبدّ ، ومنهم من سُجن في سبيل قضيّة وعُذِّب واضطُهِد ولم تلنْ له قناةٌ ولم يثنه العذاب عن قضيته وصموده وعناده ، فاضطهادُه من أجل شعب مقهور وعذاباتُه من أجل أمَّةٍ مَسْلوبة .

ومن بين جدرانٍ اربعةٍ اقتات الاديب من عتمتها والتهبت اعماقه

حقداً وثورةً على جلاّديه نَدَّت افكارٌ وصورٌ وأحاسيسٌ تسقي مولوداً جديداً هو أدب السجون .

. . . وفي الختـام آمل بهـذا الجهد الادبي أن أكـون قـد أسهمت في تقـديم مادة اولى لهـذا الادب الخالـد من أدب أمتنا المقهـورة وهي تُجـابـه تحدياتها برصاص جنديها المقاتل وكلمة اديبها الثائر .

اللاذقية في ٢٢ / ١ / ١٩٨٤          حسن نعيسة



# الجزء الاول

# شعراء وراء القضبان

# تصدير

يقول الرصافي في السجن ( الديوان : ١٢٠ ) :

هو السجن ما أدراك ما السجن انه
جِلادُ البلايا في مضيق التجلد[1]
بناءٌ محيطٌ بالتعاسةِ والشَّقا
لظلمِ بريءٍ أو عقوبةِ معتدِ
محلٌ به تَهْفُو القلوبُ من الأسى
فإن زرتَه فاربطْ على القلب باليد[2]
تواصلتِ الأحزانُ في جَنَباتِهِ
بحيثُ مَتَى يَبْلَ الأسى يَتَجَدَّدِ

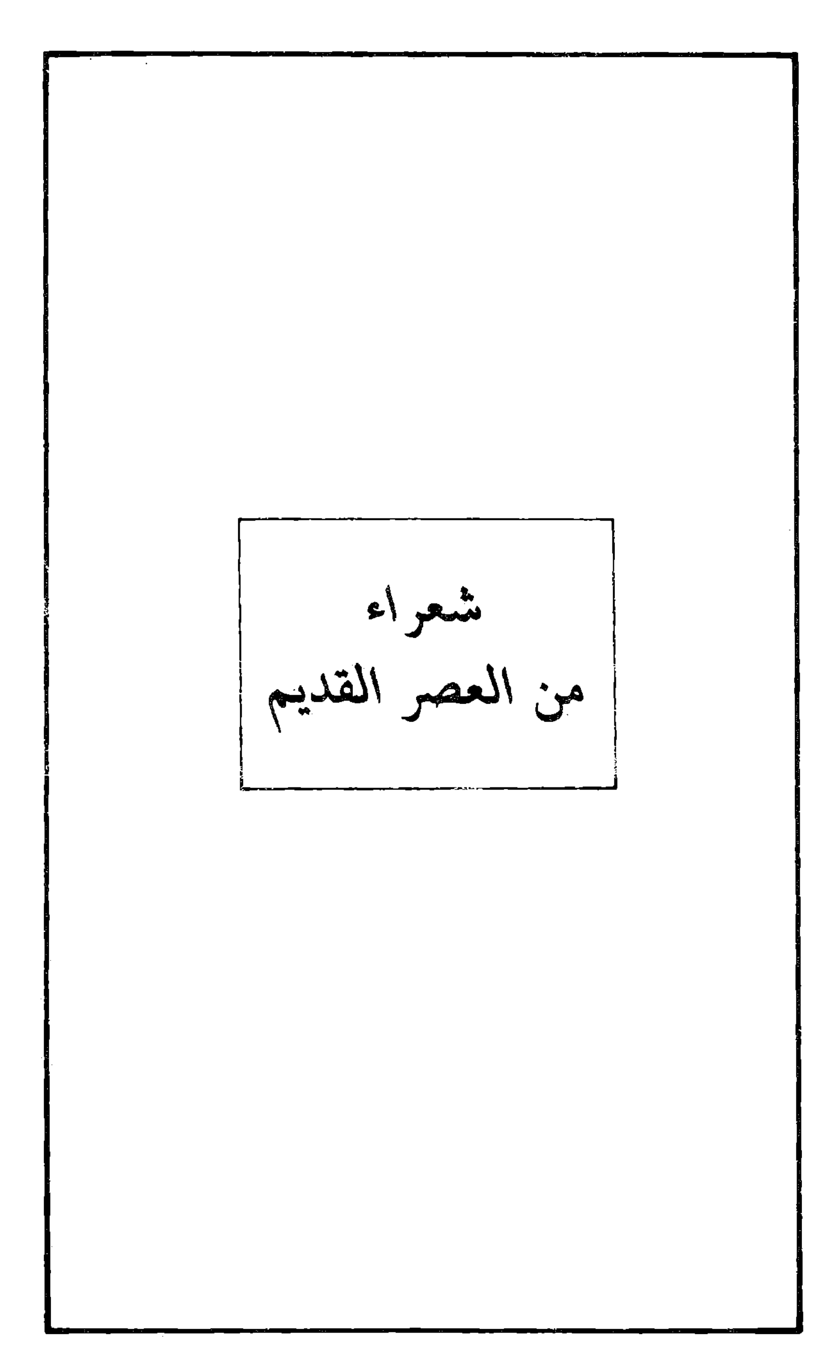
ويقول عبد الوهَّاب البيَّاتي في السجين :

وقيلَ بأنَّهم ضربُوهُ حتَّى ماتْ
ولم تتشفع به الأنَّاتْ

(١) الجِلادُ : الحربُ

(٢) تَهْفُو : تضطرب .

وقيلَ بأنهم قلعوا ضياءَ العين
في كلاَّبة من نارْ
وشقُّوا مكمنَ الأسرارْ
ولا أسرارْ
سِوى خِضْبٍ من الحُبِّ
وإشفاقٍ على الجزَّارْ



# شعراء
# من العصر القديم

# عديٌّ بن زيد العباديّ

هـو من شعراء الحَضَر في الجـاهلية وأَحَـدُ فرسـانها البارزين الـذين برعوا في الـرمايـة وركوب الخيـل : وكان أبـوه زيدٌ يعمـلُ في بعض أقسام البريد لكسرى أنو شروان ؛ ثم تولَّى عديٌّ شؤون الكتابة في ديوانه وأدرك الشاعر النعمان الثالث ابا قابـوس ( ٥٨٥ ـ ٦٠٧ م ) ووقع في غـرام ابنته « هنـد » وتزوَّجهـا . فكانت معـه حتَّى قتله النعمـان ، فتـرهَّبَتْ وحَبَسَتْ نفسَها في الدَّير المعروف بدير « هند » في ظاهر الحيرة حتَّى ماتت »[١] .

وقصة الشاعر مع النعمان تكلِّلها الحـوادث والخطوب ، وتبـدأْ بِمَا أَضْغَنَـهُ عليه الـوشاة ، فكتب اليـه « عزمتُ عليـك إلاَّ زرتني ، فـإني قـد اشتقتُ الى رؤيتك »[٢] وكان عديٌّ يومَئذٍ عند كسرى فاستـأذنه وقَـدِمَ الى

(١) الأغـاني ـ المجلد الثـاني ـ القسم الاول ـ منشـورات دار الفكـر ـ دار مكتبـة الحياة ـ بيروت : ١٩٥٥

(٢) المصدر السابق نفسه .

الملك الـذي أَمَرَ بِحَبْسِـه في سجنٍ لا يـزورُه فيـه أحـد(١) بعيـداً عن أهله وأصحابه وصحراته التي ألِفَتْه فارساً حُرًّاً كريماً .

وفي سجنـه نَـظَمَ الشـاعـر قصـائـد الشكـوى والألم والاستعـطاف والاعتذار . فمرارة السجن وشقاوته ، وليلُه الـطويل وغـربته ، كـل هذا ألهب مشاعر عديٍّ فَتَدَفَّقَتْ شعـراً رقيقاً ينسـابُ من قلبٍ جريـحٍ ونفسٍ بَرَاهَا الشوق والحنين .

. . . ولَمَّا صرَّ حديـدُ السجن في السَّاقين وطال ليـلُ الهموم صَـرَخَ الشاعرُ :

لِمَـنْ لـيـلُ بـذي جُـشَـم طـويـلُ
لمـن قـد شـفَّـهُ هـمٌّ دخـيـلُ
ومـا ظـلـمُ امرىءٍ في الجـيـد غِـلُّ
وفي الـسـاقـين ذو خَـلَق طـويـلُ

. . ويـطولُ ليلُ السَّجـين ويلحُّ الأسى والتململُ والسُّهَادُ في زمن الانتظار البغيض وارتقابِ صبح الخلاص من أَلَمٍ مُمِضٍّ وأرقٍ قـاتلٍ وغـربة نفسيَّة سَعَّرها سجنٌ مُوحش سرق النوم من العين في لياليـه المديـدة التي لم يسهرها عـاشقاً مُـوَلَّهاً بـل سجيناً مُعـذَّباً يـرقب فجر حـريته وينتـظر لحظة خَلاَصِه :

طـالَ ذا الـلـيـلُ عـلـيـنـا فـاعـتـكـرْ
وكـأني نـاذر الـصـبـح سَـمَـرْ

---

(١) سَجَنَ النعمانُ الشاعرَ في « الصنِّين » وهو تلٌّ مرتفعٌ قرب الحيرة

من نجيِّ الهمِّ عندي ثاوياً
بين ما أعلنُ فيه وأُسِرّ
وكأنَّ اللَّيلَ فيه مِثْلُهُ
وَلَقِدْماً ظُنَّ بالَّليل القِصَرْ
لم أُغمِّضْ طوله حتَّى انقضى
أتمنَّى لو أرى الصبحَ جَشَرْ[1]
شَئِزٌ جنبي كأني مهدأ
جعل القينَ على الدفِّ إبَرْ[2]
غيرَ ما عشق ولكن طارقٌ
خَلَسَ النوم وأجداني السَّهَرْ
إذ أتاني نبأ من مُنعم
لم أخنْهُ والذي أعطى الخَبَرْ
قيل حتى جاءني مصدقه
ولقد يُلْفَى مع الصَّفْوِ الكَدَرْ

. . . ولمّا طالت ليالي سجنه وصعُبَ معها الانتظار المرير دون أمل أو رجاء ، صاح الشاعر شاكياً مُستغيثاً من جديد مُذكِّراً مَليكه أن غربته وكربه لا يُفرِّجُها إلاَّ مَنْ سَجَنَهُ وأطال سجنه :

أبلغِ النعمانَ عنِّي مألكاً
أنه قد طال حبسي وانتظاري[3]

(١) جَشَرَ الصبحُ جُشوراً : طلع . ( القاموس المحيط ـ الجزء الاول ـ الصفحة : ٣٩٠ . السطر الرابع من أسفل الصفحة » ـ
(٢) شئزٌ : قَلِقٌ ( شَئِزَ الرجلُ شأزاً : قَلِقَ ) ـ القاموس المحيط ـ ج ٢ ـ الصفحة : ١٧٨ ـ السطر : ١٥
(٣) مألكاً : رسالة .

لو بغير الماء حلقي شرقٌ
كنتُ كالغَصَّان بالماءِ اعتصاري
ليتَ شعري عن دخيل يَفْتَري
حيثُما أدرك ليلي ونهاري
قاعداً يكربُ نفسي بثُّها
وحراماً كان سجني واحتصاري

ويمضي الشاعر في عتابه وقد آلمه أن يُصدِّقَ النعمان وشايات الأعداء التي أوغرت صدره عليه فأودعه السجنَ وهو البريء الصَّابِرُ في الشدائد والملمَّات والمنتظرُ يسار ربِّه :

سعَى الاعداء لا يألون شرّاً
عليَّ وربِّ مَكَّةَ والصَّليب
رادوا كي تُمهِّل عن عديٍّ
ليُسْجَنَ أو يُدَهْدَهَ في القليب[1]
كنتُ لِزازَ خصمك لم أُعرِّد
وقد سلكوك في يومٍ عصيبِ[2]
ما دهري بأن كدَّرت فضلاً
ولكن ما لقيت من العجيبِ
ما هذا بأول ما ألاقي
من الحدثان والعرض القريبِ
باوِيُه يسار الله عنِّي
وصبري في مُلِمَّات الخطوبِ

(١) دَهْدَهَ الحجرَ : دحرجه.القليب : البئر
(٢) عرَّد تعريداً : هَرَبَ

ويُلِحُّ عليه عتابه وهو من قومٍ كانوا عون أُسرة النعمان ، ويصعب عليه أن يراه وقد أدار ظهره عليهم وبات يُغدق عطاياه على أُناسٍ وشاةٍ لا يستحقونها :

ألا من مُبلغُ النعمان عني
فبينا المرءُ أَغْرَبَ إذ أراحا[1]
أطعت بني بقيلة في وَثاقي
وكنا في حلوقهمُ ذُباحا
مَنَحْتَهُمُ الفراتَ وجانبيهِ
وتسقينا الأواجنَ والملاحا[2]

ويعود الشاعر بعد عتابه الى الاعتذار يرجو عفو النعمان ويعترف له بأفضاله ونعمه عليه ويأمل أن يفكَّ إساره وقد أقسم على براءته فَلِمَ سجنه ومُعاناته ؟

أبلغ النعمان عني مألكاً
قولَ من قد خاف ظنّاً فاعتذرْ
إنني والله فاقبلْ حِلفتي
لَأبيلٌ كلّما صَلّى جأرْ[3]
لا تكونَنَّ كآسي عظمِهِ
بِأَسى حتى اذا العظمُ جَبَرْ
عاد بعد الجبر يبغي وهية
يَنْحُوَنَّ المشي منه فانكسرْ

---

(١) أغرب : اغتنى ـ أراح : مات .
(٢) الآجن : الماء المُتغيِّر اللون والطَّعم
(٣) الأبيل : الراهب ـ جأرَ جأراً : رَفَعَ صوته بالدعاء وتضرُّع واستغاث .

واذكر النعمى التي لم أَنْسَها
لك في السعي اذا العبدَ كَفَرْ

وتمضي نفسُ الشاعر التي تقتات الألم ، تَسْبحُ في عالم الشكوى والتمني يحملُها الشعر على جناحيه ذكرى أيامٍ دفيئة ناعمة قضاها في العزِّ والنعيم .

والمُفارقة أليمةٌ جريحة بين حياة القصور المُترفة والنعيم الخالد ، حياةِ العيش الثري الهادىء النَّاعم ، وحياة السجن المريرة المُوحشة القاسية القاتمة . فترقّ الأحاسيس وتثور العواطف وتتفجَّر الافكار في شعر فيه إباء الرجل الذي حطّ به الزمان من عليائه نسراً مَهيضَ الجناح . وفي هذا الشعر الشكوى والانين والعذاب والاغتراب .

وقصيدته اللاميَّة التي ذكر أبو الفرج في الأغاني ، أنَّها اولى قصائد سجنه ، قد استهلَّها مُتمنِّياً شاكياً :

ليت شعري عن الهُمام ويأت
يك بِخُبْرِ الأنباء عَطْفُ السُّؤالِ

ثم يأتي السؤال المغموسُ بالآلام ليذكّر النعمان بالشَّاعر والفارس الذي دافع عنه بالكلمة والسيف في معركة الجاه والملك .

أين عنَّا إخطارُنا المالَ والأنـ
ـفُسَ إذ نَاهَدُوا واليوم المحالِ
ونضالي في جنبك النَّاسَ يرمُو
نَ وأرمي وكلُّنا غيرُ آلي
فأصيب الذي تريد بلا غِشٍّ
وأُرْبي عليهِمُ وأُوالي

ليت أني أخذت حتفي بكفّي
ولم ألق ميتةَ الاقتال

... وفي قصيدته الميميَّة يبد وإنساناً قلقاً مهموماً لا يُغمضُ له جفنٌ وكيف يذوق طعم الكرى والصَّحبُ غافلون عنه سادرون ؟ !

قد نام صحبي وبتُّ الّليلَ لم أَنَمِ
من غير عشقٍ تَعنَّاني ولا سَقَمِ
إلاّ تأوّب همٌ قبل أدفعه
والهم يأمر حين الكرب بالألمِ

فالشاعر الذي سَهَّده ليلُ الهمِّ والأسى بلا عشقٍ يضني ولا سقمٍ يؤلم ، يعود الى النفسِ الشاكية المتألمة التي تنفث منْ الأعماق الآهات والزفرات ،يسْتجديها صبراً على ما به من شجونٍ وعذابات :

يا نفسُ! صبراً على ما كان من وجعٍ
لا تطلبن شفاء البثٍّ بالنَّدَمِ

... ولم ينس عديٌّ وهو يستعطف أن يصوّر حالة أهله الذين افتقدوه ، تصويراً فيه الروعة والتأثير والمنطق وفيه الاعتذار الرقيق ورجاء العفو اذ أن هؤلاء الأقارب ما برحوا يبكونه بدمعٍ حارٍ لفراقه الأليم :

أتاك بأنَّني قد طال حبسي
ولم تسأم بمسجون حريبِ
وبيتي مُقفرٌ إلاّ نساءً
أرامل قد هلكن من النَّحيب
يُحاذرن الوشاة على عديٍّ
وما قرفوا عليه من الذنوبِ

ويأمل الشاعر أن يصفح عنه النعمان وقد أسلم أمره الى ربّه وإليه بعد أن عُوقب الفارس المُناصر له والذي يجب ألاَّ يفتقده عند الخطوب :

فإن أخطأت أو أهمت أمراً
فقديهم المصافي بالحبيبِ
وإن أظلم فقد عاقبتموني
وإن أظلم فذلك من نصيبي
وإن أهلك تجدْ فقدي وتخذل
إذا التقت العوالي في الخطوب
فهل لك أن تدارك ما لدينا
ولا تغلب على الرشد المصيبِ
وإني قد وكلتُ اليوم أمري
الى ربٍّ قريب مُستجيبِ

ولمَّا طال بالشاعر السجن المقيت ولم يجد أذناً صاغية حرفُهُ المكلوم ، ولا شعره المتوقّد لوعةً وأسىً ، راح الى الماضي يُذَكِّرُ بمصير الأمم الغابرة ، لعلَّ النعمان يعتبر فيُعيد اليه حريته ليطير بها الى أهله وأحبابه وصحبه :

أيها الشامت المعير بالدَّهـ
ـرِ أأنت المُبرَّأُ الموفورُ
أم لديك العهد الوثيق من الأيَّام
بل أنت جاهلٌ مغرورُ
من رأيت المنون خلّدن أم من
ذا عليه من أن يُضام خفيرُ

أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشر
وان أم أين قبله سابورُ
وبنو الأَصْفَر الكرام ملوك الروم
لم يبق منهم مذكورُ
وأخو الحضْر إذ بَنَاهُ دجـ
ـلة تُجْبَى إليه والخابورُ
شَاده مرمراً وجلَّله كِلْـ
ـساً فللطير في ذراه وكورُ
لم يَهَبْهُ ريبُ المنون فَبَاد
المُلْكُ عنه فَبَابه مهجورُ
وتذكّر ربَّ الخورنق إذ
أشرف يوماً وللهُدى تفكيرُ
سرَّه مالُهُ وكثرة ما يمـ
ـلكُ والبحر مُعرضاً والسَّديرُ
فارعوى قلبُه فقال : وما
غبطةٌ حيٍّ الى الممات يصير؟
ثم بعد الفلاح والملك والأمة
وارَتْهُمَ هناك القبورُ
ثم صاروا كأنهم ورقٌ جفً
فألوت به الصَّبَا والدَّبُورُ

. . . وفي أبياتٍ أخرى تفيض بصدق الانفعال وحرارة الاحساس بالألم الدَّقيق ، يُذكِّر الشاعر النعمان بِعُروشٍ درست وأمم غَبَرَتْ ، ويذكِّر بنفسه الكريمة الأبية الصَّافية الودودة :

إن الأسى قبلنا جمٌّ ونعلمه
فيما أزيل من الأجداد والأممِ

فالله يعلم في رسل وفي أزف
والله أعلم بالآلاء والنعمِ
يأبى لي الله خون الأصفياء وإن
خانوا ودادي لأني حاجزي كرمي

وبعد أن طالت ليالي سجنه وأطبقت بهمومها ودياجيرها عليه وبعد أن يَئِسَ من مليكه في رجاءاته واعتذاراته ، أرسل الى أخيه « أبيٍّ » يرجوه أن يخفَّ لنجدته من حديدٍ مُوثقٍ به ، وسجنٍ يقاسي فيه ظلماً وشقاءً واغتراباً :

أبلغ « أبيّاً » على نأيه
وهل ينفع المرءَ ما قد علمْ[1]
بأن أخاك شقيق الفؤا
دِ كنتَ به واثقاً ما سَلِمْ
لدى ملك موثق في الحدي
دِ إمّا بحقٍ وإمّا ظُلِم
فلا أَعْرِفَنْكَ كذات الغُلا
مِ ما لم تجد عارماً تعترم[2]
فأرضك أرضك إن تأتنا
تَنَمْ ليلةً ليس فيها حُلُمْ

ويترك الشاعر أخاه ليتوجّه الى قومه وقد ازدادت عذاباته ، يُذكّرهم

---

(١) يلاحظ القارىء اختلاف الوزن في البيت الأول عن بقية الأبيات ( هكذا ورد في الديوان ـ الصفحة : ( ١٦٤ ) .
(٢) ذات الغلام : الأم ـ العارم : الطفل الرضيع ( ويُقال : عَرِمَ الصبيُّ أمه : رضعها ) .

بأزمته الخانقة ، بقيوده الحديدية التي تصرّ في ساقيه ، وبالزمن السجنيّ الذي يزحف ببطءٍ قاتل يحمل له في كفّيهِ هموماً وآلاماً مُضنية اضطرته أن يطلب من أهله حَلاً ولو كان حرباً في الشهر الحرامِ ، تُنقذه من محنته :

يا أبا مُسْهِرٍ فأبلغ رسولاً
إخوتي إن أتيت صحن العراقِ
أبلغنْ عامراً وأبلغ أخاهُ
أنّني موثقٌ شديدٌ وثاقي
في حديدٍ مُضاعفٍ وغُلولٍ
وثيابٍ مُنضّحاتٍ خلاقِ
فاركبوا في الحرام فكّوا أخاكم
إنَّ عيراً قد جُهّزت لانطِلاقِ

. . . وفي الأغاني فلما قرأ أخو الشاعر « أبي » كتاب عديّ قام الى كسرى فكلّمه في أمره ، وعرفه خبره ، فكتب الى النعمان يأمره بإطلاقه وبعث معه رجلاً . وكتب خليفة النعمان إليه : إنه قد كُتب إليك في أمره ، فأتى النعمانَ أعداءُ عديٍّ من بني نفيلة - وهم من غسّان - فقالوا له : اقتله الساعة ! فأبى عليهم . وجاء الرسول وقد كان أخو عديٍّ تقدَّم إليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعديّ ، فيدخل اليه وهو محْبُوسٌ بالصنّين » ، فقال له : ادخل عليه فانظر ما يأمرك به فامتثله . فدخل الرسول على عديٍّ فقال له : إني قد جئت بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندي الذي تُحبُّ ، ووعده بعدةٍ سنيَّة ، وقال له : لا تخرجن من عندي ، وأعطني الكتاب حتى أرسله إليه ، فإنّك والله إن خرجت من عندي لأقتلن ؛ فقال : لا أستطيع إلّا أن آتي الملك بالكتاب فأوصله إليه . فانطلق بعض من كان هناك من أعدائه ، فأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عديّ وهو ذاهبٌ به ، وإن فَعل والله لم يستبقِ منّا أحداً : أنت ولا

غيرك ! فبعث اليه النعمان أعداءه ، فغمّوه حتىً مات ، ثم دفنوه . ودخل الرسول الى النعمان فأوصل الكتاب إليه ، فقال : نعم وكرامة ! وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهباً وجارية حسناء ، وقال له : إذا أصبحت فادخل أنت بنفسك فأخرجه . فلمّا أصبح ركبَ فدخل السجن ، فأعلمه الحَرَسُ أنه قد مات منذ أيام ولم نجترىء على إخبار الملك خوفاً منه وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع الى النعمان ، وقال له : إني كنت أَمْسِ دخلت على عديّ وهو حيٌّ ، وجئت اليوم فحَجَزني السَّجانُ وبهتني وذكر أنه قد مات منذ أيام ، فقال له النعمان : أيبعث بك الملك إليَّ ، فتدخل اليه قبلي ؟ كذبت ولكنَّك أردت الرشوة والخبث فتهدَّده ثم زاده جائزةً وأكرمه ، وتوثَّق منه ألَّا يُخبر كسرى إلَّا انه قد مات قبل أن يقدم عليه ، فرجع الرسول الى كسرى وقال : إني وجدت عديًّا قد مات قبل أن أدخل عليه ، وندمَ النعمانُ على قتل عديٍّ وعرف أنه احتيل عليه في أمره واجترأ أعداؤه عليه وهابهم هيبةً شديدة »[1]

. . . وهكذا يرقد الشاعر الفارس مقتولاً في سجنه ويبقى مقتله رمزاً للظلم الانساني على مرّ الأجيال .

. . . . وللشاعر المقتول « صاديَّتُهُ » التي قال عنها أبو العلاء المعرّي « إنَّها بديعةٌ من أشعار العرب » . ويبدو أن عديًّا قد نظمها في سجنه وهو في شوقٍ الى ماضي الحب والذكريات :

أبلغ خليلي عبد هند فلا
زلت قريباً من سواد الخصوصْ

(١) الأغاني - - المجلد الثاني - القسم الاول - منشورات دار الفكر - دار مكتبة الحياة - بيروت : ١٩٥٥

تـأكـل مـا شئـت وتـعـتـلّهـا
حمـراء مـن الخصيِّ كـلون الـفـصـوص
لا تـنـسـينْ ذكـري عـلى لـذّة
الـكـأس وطـوفٍ بـالخَـدُوْفِ الـنـحـوص[1]
يـا عـبـدُ هـل تـذكـرني سـاعـة
في مـوكـبٍ أو رائـداً لـلقـنـيص[2]

ومن كتابات أخيه اليه وهو في سجنه القصيدة

إن يـكـن خـانـك الـزمـان فـلا عـا
جـزٌ بـاغٍ ولا أَلَـفٌ ضـعـيـفُ[3]
ويمـين الإلـه لـو أن جـاوا
ءَ طَـحُـونـاً فـيـهـا تُـضـيء الـسُّـيُـوفُ[4]
ذات رزٍّ مجـتـابـة غـمـرة المـو
ت صـحـيـحٌ سـربـالُهـا مـلفـوفُ[5]
كـنـتَ في حمـيـهـا ، لجئـتُـك أسـعـى
فـاعـلمن ـ لـو سـمـعـتُ إذ تـسـتـضـيـفُ
أو بمـالٍ سـألـتَ دونـك لم يمـ
ـنـع تـلادٌ لحـاجـةٍ أو طـريـفُ

---

(١) الخَدْفُ : سرعة المشي ـ النحوص : النَّاقةُ الشديدةُ السِّمَن .
(٢) القنيصُ والقَنْصُ : المصيد ـ .
(٣) الألفُ : الثقيل البطيء والعيُّ بالامور ومؤنّثه اللفّاءُ : الضَّخْمَةُ الفخذين ـ .
(٤) الجأواء : في المعجم المحيط : الجأى : عبرَةٌ في حُمْرةٍ أوكُدرة في صُدْأةٍ ، ويُقال : جأى جأوا : غطّى ، كتَمَ ، سَتَر ، حَبَس ( فالجأواء : يقصد الحربَ الجأواء) .
(٥) يُقال : رزَّت السَّماءُ ، صوّتت من المطر ـ والرز : بالكسر : صوت الرعد .

أو بأرضٍ أَسْطيعُ آتيك فيها
لم يَهُلني بعدٌ بها أو مخُوفُ
إن يُعنِّ والله إلفٌ فجوعٌ
لا يُعَنِّيْكَ ما يصوبُ الخريفُ[1]
في الأعادي وأنتَ منيٍّ بعيدٌ
عَزَّ هذا الزمان والتعنيفُ
ولعمري لئن جزعت عليه
لجزوعٌ على الصديق أسوفُ
ولعمري لئن ملكت عزائي
لقليلٌ شرواك فيما أطوفُ

---

(١) عَنَاهُ الأمر : أهمَّهُ ـ ويُقال : تعنَّى : نصِبَ ، وتعنَّاها : تَجَشَّمها ـ .

# عبد يغوث الحارثي

من الشعراء المُقلِّين وممَّن شُهروا بالفروسية والكرم والجمال والسيادة في أقوامهم ، وهو الـذي قاد قـومه في مـواجهة بني تميمٍ وأنصـارهم ولكن قُتل العديدُ من قومـه وأُسر وكان أحـد الاسرى وقـد أسره رجـلٌ عبشمي يُقـال : إنه أهـوج ورغب الشاعـر افتداء نفسـه بمئةٍ من الإبـل فقـالت أم الرجل له وقد رأته عظيماً جميلاً جسيماً : من أنت ؟ قال : أنا سيِّد القوم . فضحكت وقـالت : قبَّحك الله من سيِّـد قوم حـين أسرك هـذا الأهوج ، فقال عبد يغوث :

وتـضـحـك مـنّي شـيـخـةٌ عـبـشـمـيَّـةٌ
كـأن لم تـري قـبـلي أسـيـراً يمـانـيـاً

ثم قال لها : أيتها الحُرَّة ، هل لك الى خيرٍ ؟ قالت : ومـا ذاك ؟ قـال : أُعطي ابنـك مئةً من الإبـل وينطلق بي الى الأهتم فـإني اتخوَّف أن تنتزعني سعد والرباب منه . فضمنَ له مئةً من الإبل ، قبضها العبشمي وانطلق الى الاهتم فقال عبد يغوث :

أأهتمُ يا خير البريَّة والداً
ورهطاً إذا ما النَّاس عَدُّوا المساعيا

تدارك أسيراً عانياً في بلادكم
ولا تثْقِفَنِّي التّيم ألقى الدواهيا

فمشت سعد والرباب فيه ، فقالت الرباب : يا بني سعد ! قتل فارسِنا ولم يقتل لكم فارسٌ مذكور فدفعه الأهتمُ اليهم وكانوا قد شدُّوا لسانه لئلاً يهجوهم . فلما لم يجد من القتل بُدَّاً قال لهم : يا بني تيمٍ اقتلوني قتلة كريمة ، اسقوني الخمر ودعوني أنح على نفسي ، فسقوه الخمر وقطعوا له عرقاً فجعل يشرب والدم ينزف وهو يقول : « ألا لا تلوماني »[١] .

... وقصيدته التالية قالها الشاعر حين أُعِدَّ للقتل . وفي صاحبها يقول الجاحظ : « وليس في الارض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يغوث ، وذلك أنَّا إذا قِسْنَا جودة أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهيَّة »

وفي هذه القصيدة الرائعة يطلب من خصومه أن يطلقوا سراحه مُعَلِّلاً أنه لم يقتل فارسهم النعمان بن جسَّاس » الذي سقط قتيلاً في المعركة التي دارت رحاها بينهم وبين قومه[٢] .

أقول وقد شدّوا لساني بِنسْعَةٍ
أمعشرَ تيمٍ ، أطلقوا عن لسانيا[٣]

---

(١) البيان والتبيين : الجزء الثاني : ٢١٠ ـ ٢١٢ .
(٢) كان اللقاء بين القومين « يوم الكلاب الثاني ، كُلاب تميمٍ واليمن » .
(٣) النسعة : القطعة الدَّقيقة ( الرفيعة ) من الجلد .

أمعشر تيمٍ ، قد ملكتم فأسجحوا
فإن أخاكم لم يكن من بوائيا[1]

فإن تقتلوني تقتلوني سيِّداً
وإن تُطلقوني تَحْرُبوني بماليا[2]

ثم يلتفت الشاعر الى قومه فيخبرهم عن بلائه في الحرب مُدافعاً عنهم ، وهو الفارس المعتزُّ بنفسه الذي لا يعيبه وقوعه في الأسر بعد قتال مرير :

ألا لا تلوماني ، كفى اللوم ما بيا
فما لكما في اللوم خيرٌ ولا ليَا

ألم تعلما أن الملامةَ نفعُها
قليلٌ ، وما لومي أخي من شَماليا[3]

فيا راكباً ، إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ
نداماَيَ من نجرانَ أنْ لا تلاقيا[4]

ولو شئتُ نجَّتني من الخيل نَهْدَةٌ
ترى خَلْفَهَا الحُوَّالجيادَ تواليا[5]

ولكنَّني أحمي ذمار أبيكم
وكان الرماح يَخْتَطِفْنَ المُحَامِيَا[6]

(١) أسجحَ : تكرَّم والاسجاحُ : حُسْنُ العفو . لم يكن من بوائي : البَوَاءُ : السَّواءُ والكفُّ .

(٢) حَرَبَهُ : سَلَبَه ماله ( وتحربوني بماليا : كناية عن استعداده لافتداء نفسه بما يملك ) .

(٣) الشمال : الطبع .

(٤) نجران : موضع باليمن .

(٥) النَّهدة : الفَرَسُ الحَسَنُ الجميل الجسيمُ اللَّحيمُ المُشرف ـ الحُوُّ : الفَرَسُ الحمراء المائلُ لونها الى السَّواد . ويقال ! أحوى وحواء .

(٦) الذمار : الشرف ، العرض ، وما يلزم حفظه وحمايتُه .

. . . ويشدُّ الشاعر حبلُ الماضي وفي هذا الماضي ذكريات البطولة وحياة الشباب المليئة بالكرم والطرب والفروسيَّة ، ويُفيق من هذا الشرود الحالم ليجد نفسه وهو فارس الأمس ـ إنسانَ الأسر والعذاب والألم ، الذي يتعامل مع الموت في أبشع صوره :

وقد علمت عرسي مُليكةُ أنَّني
أنا الليث معديًّاً عليه وَعَادِياً
وَقد كنتُ نَحَّار الجَزَور ومُعْمِلَ الـ
ـمَطِيّ ، وأمضي حيث لا حيٌّ مَاضِيَا[1]
وأنحر للشَّرب الكرام مطيّتي
وأصدع بين القينتينْ ردائيا[2]
وكنتُ اذا ما الخيلُ شَمَّصَها القَنَا
لَبيقاً بتصريف القناة بنانيا[3]
وعاديةٍ سَوْمَ الجراد وَزَعْتُها
بكفِّي ، وقد أنحوا الى العواليا[4]
كأني لم أركب جواداً ولم أقل
لِخَيليَ : كُرِّي نفِّسي عن رجاليا[5]

---

(١) الجزور : الناقة السَّمينة .

(٢) الشَّربُ : شاربو الخمر ـ صَدَعَةُ : شقَّهُ نصفينْ ( من الطَّرب فيُعطي لكل قينة نصفه ) .

(٣) شَمَّصَ الخيلَ : نفرها ـ لبيقاً : يُحسن الطعن .

(٤) العادية : الخيل الهاجمة ـ سوم الجراد : كثيرةٌ كثرة الجراد ـ وَزَعْتُها : صَدَدتُها وهزمتُها ـ أنحوا : وجَّهوا إليه .

(٥) نفِّسي : خففي ـ

ولم أسْبَأ الزقَّ الرويَّ ولم أقل

لِأيْسِارِ صدقٍ أعظموا ضوء ناريا[1]

(١) أسبأ : أشتري ـ الزق الرويّ : وعاء الخمر المملوء ـ أيسار صدق : رجالٌ يَيْسَرُون ( يلعبون بالقداح ) ـ أعظموا ضوء ناريا : أضرموها يُهتدي اليها الضيوف .

# الشنفرى الأزدي

هو شاعرٌ صعلوكٌ لُقِّبَ الشنفرى لعظم شفتيه . كان عَدَّاءً شجاعاً جريئاً رجيلاً[1] وكان أيضاً مضرب الامثال في ذكائه ودهائـه وعَدْوِه وقَفْـزِه وقيـل قيست قفزة من قفـزاتـه فكـانت واحـدةً وعشـرين خـطوة ، ووقـع الشنفرى أسيراً[2] وهو صغير فَنَشَأ عند آسِـريه حتّى كبـر وعرف حقيقـة أمـره فـأقسم أن يقتـل مئـةً منهم بسبب أسـره واستعبـاده وكتمـان حقيقـة نسبه . فَقَتَل تسعةً وتسعين ثم قُتل فمرٌّ به رجلٌ منهم فَـرَفَس جثته بـرجله فدخلت شظيَّة من عظامه رجلَه ومات متأثراً بجـرحه ، وبـذلك بَلَغَ عـددُ قتلاهم مئة قتيل .

تَرَكَ الشنفرى مجموعة أشعار عامرةٍ بالمغامرات وإبـاء الضيم وتحمُّل شظف العيش وخشونة الحياة . ومن هذه الاشعار لاميتـه المعروفـة بلاميَّـة

(١) الرَّجيل : السَّائر على رجليه .

(٢) أسره أسد بن جابر وخازم الفهميّ وأخذاه الى أهلهـا وقالـوا له : أَنْشِدْنَا : فقـال : إنّما النشيد عـلى المسـرَّة ( فَـذَهَب مَثَـلاً ) ؛ ثم ضـربـوا يَـدَهُ فتعـرَّضت ( أي اضطربت ) ثمَّ قال أَسَدُ بن جابر : أأطِّرفك ؟ ثم رماه في عينه .

العَرَب وهي ثمانيةٌ وستون بيتاً من البحر الطويل .

وفي مطلع القصيدة تُطِلُّ نفسُهُ الحُرَّة الأبيَّةُ من عليائها :

أقيموا بني أمي صدور مطِيِّكم
فإني الى قوم سواكم لأميلُ
فقد حُمَّت الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرٌ
وشُدَّت لطيَّاتٍ مَطَايا وأرْحُلُ[١]
وفي الارض مَنْأَى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى مُتَعَزَّل[٢]
لعمركَ ما بالارض ضيقٌ على امرىءٍ
سَرَى راغباً أو راهباً وهو يعقل

ويهجر الشاعر حيَّهُ وقومه الى حيث الوحوشُ التي آنَسَها فوجدها أقرب الى نَفْسِهِ من الانسان في أُنْسِها وبسالتها ووفائها وكتمانها :

ولي دونكم أهلون سِيدٌ عَمَلَّسٌ
وأرقط زهلولٌ وعَرْفاءُ جَيْألُ[٣]
هم الأهلُ ، لا مستودع السرِّ ذائع
لديهم ولا الجاني بما جرّ يخذل[٤]

---

(١) حُمَّت الحاجات : تهيأت ـ الطيَّة ـ النيَّة .

(٢) منأى : مكانٌ بعيدٌ ( نجاة ) ـ القِلى : الكره ـ مُتعزَّل مكانٌ للاعتزال ( الابتعاد عن أذى الناس .

(٣) سيد : ذئب ـ عَمَلَّسٌ ؛ قويٌّ على السير السريع ـ الأرقط : المقصود النمر ـ الزهلول : الأملس .

(٤) الجاني : المعتدي ـ جَرَّ : ارتكب جرماً ، اعتدى .

وإن مُـدَّت الأيـدي الى الـزَّاد لم أكُـنْ
بـأعـجلهـم ، إذ أجشـع الـقـوم أعـجـلُ[١]

الشنفري الشاعر الصعلوك المغامر يُبدع في وصف حياة الصعلكة بحِلوها ومرِّها ، بِجُوعها وبردها ، بِقلقها وخوفها وبصُراخ الفقر في وجه الغنى الكالح وثورته :

ثـلاثـة أصـحـابٍ : فـؤادٌ مُـشَـيَّـعٌ
وأبـيض إصـليـتٌ ، وصـفـراء عَـيْطَلُ[٢]
أديـم مـطالَ الجـوع حـتى أمـيتَـه
وأضـربُ عـنـه الـذكـرَ صفـحـاً فـأذهـلُ[٣]
وأسـتـفُّ تـرب الأرضِ كـيـلا يـرى لـه
عـليَّ مـن الـطَّوْلِ امـرؤ مُـتَـطَوِّلُ[٤]
ولـيـلة نَـحْسٍ يـصـطلي الـقـوسَ ربُّهـا
وأَقْـطُعُـهُ اللاتي بهـا يَتَـنَبَّـلُ[٥]
دعـسـتُ عـلى غـطشٍ وبـغشٍ ، وصـحـبـتي
سُـعَـارٌ ، وإرزيـزٌ ، وَوَجْـرٌ وأفـكـلُ[٦]

---

(١) الأجشع : الأكثر نَهَماً وطمعاً وحرماً .
(٢) فؤاد مُشيعٌ : قلب شجاعٌ جريء ـ أبيضُ إصليت : سيفٌ مصقولٌ مجرَّدٌ من غمده . صفراء عَيْطَلُ : قوسٌ طويلة العُنُق ـ .
(٣) يَتَنَاسي الجوع حتى يكاد لا يحس به .
(٤) الطَّوْلُ الفضل . وتطوَّل عليهم : امتنَّ ـ
(٥) النحس : يقصد بها هنا البرد ـ الأقْطُعُ : جمع القطع : النَّصل الصَّغير العريض .
(٦) دَعَسَ : داسَ ـ الغطش : الظلمة ـ البغشُ : البغشة : المطرةُ الضَّعيفة ويُقال : مَطَرٌ باغِشٌ : مَطَرٌ خفيف ـ السُعار والسعر : الحَرُّ من شدَّة الجوع ـ الإرزيز : الرِّعْدة ، البَرَدُ الصِّغار كالثلج . ( القاموس المحيط ـ الجزء الثاني ـ الصفحة : ١٧٦ ـ السَّطر : السَّادس من الأسفل ) ـ الوجر : الخوف ـ الافكل : الرِّعدة . .

. . . ومن قصائده المشهورة « تائيته » التي وردت في المفضليات وفيها غزلٌ :

لقد أعجبني لا سَقوطاً قناعُها إذا ما مشت ولا بذاتِ تلفتِ
تبيت بُعيد النوم تُهدي عبوقها لجارتها إذا الهدية قلَّتِ
فَدَقَّتْ وجلَّتْ واسبكرت وأكملت فلو جُنَّ إنسانٌ من الحُسْنِ جُنَّتِ[1]
فَبِتْنا كأنَّ البيتَ حُجِّرَ فوقَنا بريحانةٍ ريحت عشاء وطُلَّتِ[2]

---

(١) اسبكرَّت : حَسُنت ودقَّ قوامها ( نحل ) .
(٢) ريحت : مَسَّتْها الريح ـ طُلَّت : مَسَّها مَطَرٌ خفيف ( نشرت رائحتها الريحُ وأنْضرَها المَطَرُ ) .

# طرفة بن العبد

هو القائل :

نـدامـايَ بـيضٌ كـالـنـجـوم وقـيـنـةٌ
تـروح إلـيـنـا بـين بُـرْدٍ ومُجْـسَـدِ[1]
ومـا زال تـشـرابي الخـمـور ولـذَّتي
وبـيـعـي وإنـفـاقـي طـريـفـي ومـتـلدي
كـريـمٌ يـروِّي نـفـسـه في حـيـاتـه
مخـافـةَ شـرب في المـمـات مَـصَـرَّدِ[2]
لـعـمـرُك مـا الأيـام إلَّا مُـعَـارةٌ
فـما اسـطعـت مـن مـعـروفـهـا فـتـزوَّدِ[3]

---

(١) القينة : الساقية والمغنية ـ البرد : الثوب الابيض ـ المجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران .

(٢) مُصَرَّد : قليل .

(٣) سترحل الأيام ( وهي أشبه بالشيء المُستعار ) فاستفدْ منها قَدْر المُستطاع .

وطرفة لَقَبُ الشاعر واسْمُه عمرو بن العبد وهو شاعر جاهليٌ ولدته أُمٌّ اسمـها « وردة » وولدت له أختاً كانت شاعرةً اسمها « الخِرنق » . وفقد الشـاعر أباه صغيراً فعاش مع أمه في عذابٍ وشقـاء ، يُقـاسي من ظلم الأقارب وجورهم ، وعاصرَ طرفهُ المنذر الثالث وابنه عمرو بن هند وكـان أحد المشتركين في حرب البسوس .

وطرفة الشاعر الذي مات صغير السِنِّ ولمَّا يبلغ الثلاثين من عُمره ، كان قد قال الشعر في وقتٍ مُبكِّر من هذا العُمر وهو في نهاية المطاف شاعرٌ مُقِلٌ ومن أصحاب المُعَلَّقات .

وفي شعره المُتَّسِم بالبداوة الخالصة نلمُس تجربةً إنسانيَّـةً غنيَّةٌ في لهـو الحيـاة وعبثها ؛ هـذه الحياة التي اخْتَبرَهَـا رآهـا فـرصـةً سـانحـةً حـريٌّ بالإِنسان أن يمتِّعَ شبابه فيها اذ ليس بعد الموت ـ عند طرفة حياة .

والشاعر الذي عاش حياته للتمرُّد وانتهاب اللذات اغترب مرَّتين : اغترب مع بداية ظلمه من أقرب النَّـاس إليه ، واغتـرب مرَّةً ثـانية عنـدما دخل السجن . ويُذكر :

« أن عمـرو بن هنـد خـرج للصيـد ذات يـوم فـانقـطع في نَفَـرٍ من أصحابه وفيهم « عبد عمرو »[1] حتَّى أصاب حماراً فعقره فقال لعبد عمرو انزل واذبحه فعـالجِه فـأعياه ، فضحـك الملك وقال : لقـد أبصرك طـرفة حيث يقول وأنشد :

ولا خـيـر فـيـه غـيـر أن لـه غِـنَـىً
وأن لـه كـشـحـاً إذا قـام أهـضـما

---

(١) عبد عمرو : هو صهر الشاعر .

فغضب « عبد عمرو » وقال : لقد قال في الملك أقبح من هذا ، وأنشده :

فليتَ لنا مكان الملك عمرو
رَغوثاً حول قُبَّتنا تخور[1]

فحقد عمرو بن هند على طرفة ولكنه كره أن يعجل عليه إشفاقاً من هجاء المتلمِّس[2] فلبث يَتَحيَّنُ الفرص ليتخلَّص من الاثنين معاً وهو يُؤانسهما حتَّى اطمأنَّا اليه : فكتب الى عامله في البحرين ، وقال لهما : انطلقا إليه وخذا جوائزكما . فحَملا الكتابين وسارا حتى بلغا النجف فقال المتلمِّس لطرفة : تعْلَمَنَّ والله أن ارتياح عمرو لي ولك لأمرٌ عندي مُريب . وإني لا أنطلق بصحيفة لا أدري ما فيها . فقال طرفة : إنك لَتُسيءُ الظَنَّ وما تخاف من صحيفة إن كان فيها الذي وعدنا وإلا رجعنا فلم نترك منه شيئاً . فأبى المتلمِّس أن يجيبه وعدل الى حيث رأى غلاماً من الحيرة فدفع إليه الصحيفة ليقرأ هاله ، فلمَّا نظَرَ الغلام فيها قال : ثكلت المتلمِّس أمَّه . فأخذ المتلمِّس الصحيفة وقذفها في البحيرة فضرب المثل بصحيفته ثم قال لطرفة : تعلمنَّ والله أن الذي في كتابك مثل الذي في كتابي ، فقال طرفة ، لئن كان اجترأ عليك ما كان بالذي يجترىء عليَّ وأبى أن يطيعه فتركه المتلمِّس وهرب الى الشام .

وسار طرفة حتى أتى البحرين وكان صاحبها أبو كرب ربيعة بن الحرث وهو من أقرباء طرفة فلمَّا قرأ الكتاب قال : أتعلم ما أمرت به فيك ؟ قال طرفة : نعم أُمرت أن تُجيزني وتُحسن اليَّ ، فقال : إن بيني وبينك لَخُؤولةً أنَا لها راعٍ فاهرب من ليلتك هذه ، فإني قد أُمرت

---

(١) الرَّغوث : كل مُرضعة ( ويقصد بها الناقة هنا )
(٢) المتلمِّس : هو شاعرٌ مُعاصرٌ لعمرو بن هند وهو خالُ طرفة .

بقتلك . فاخرج قبل أن تصبح ويعلم بك النّاس ، فأبى طرفة وقال : اشتدت عليك جائزتي وأحببت أن أهرب وأجعل لعمرو بن هند علي سبيلاً ، كأنّني أذنبت ذنباً ، والله لا أفعل ذلك أبداً ، فأمر بحبسه ثم كتب الى عمرو بن هند يقول : ابعث الى عملك من تريد فإني غير قاتل الرجل ، فأرسل عمرو بن هند رجلاً من بني تغلب يُقال له : عبد هند وكان ، رجلاً شجاعاً فأمره بقتل طرفة وقتل ربيعة بن الحرث ، فقدم البحرين عبدُ هند ولبث أياماً فاجتمعت بكرُ بن وائل فهمّت به . وكان طرفة يحضُّهم . فانتدب له رجلاً فقتله وقتل معه العامل السّابق » .

. . . وهذه الرواية عن سجن طرفة ومقتله بين الشك واليقين ، وزعم الرواة أن نسيبَه عامل البحرين بَعَث اليه في سجنه ، بجارية اسْمُها « خولة » إيناساً بذكر من يهوى قبل موته . فردَّها الشاعر وقال في ذلك أبياتاً مطلعها :

ألا اعتزليني اليوم يا « خولَ » او غُضّي
فقد نزلت حدباء مُحكمة العَض

ومنها هذا البيت الذي يُخاطب به عمرو بن هند :

أبا منذرٍ أَفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بعضَنا
حنانَيْكَ بعضُ الشرِّ أهونُ من بعض[1]

. . . ويُنسب الى طرفة بن العبد أنه قال هذه الابيات في أثناء وجوده في السجن مُخاطباً عمرو بن هند ( الديوان : ٦٦ ) .

---

(١) أبو منذر : عمرو بن هند ـ غروراً : خادعةً ـ صحيفتي : أراد بها الصحيفة التي يزعمون أن عمرو بن هند كتبها الى عامله يأمره فيها بقتل طرفة وسَلَّمها اليه ليُوصِلَها .

أبـا مُـنْـذِرٍ ، كـانـت غـروراً صـحـيـفـتي
ولم أُعْـطِكـم بـالـطَّوع مـالي ولا عـرضـي

أبـا مُـنْـذِرٍ ! أفـنـيـت فاسْتَبْـقِ بـعـضَـنَـا
حـنـانَـيْـك بـعضُ الشرِّ أَهْـوَن من بـعـضِ[١]

فـأقـسـمـتُ عـنـد الـنُّـصْـبِ ، إني لَهَـالـكٌ
بمـلـتـفَّـةٍ لـيـسـت بِـغَـبطٍ ولا خَـفْضِ[٢]

خُـذوا حِـذركـم أهـل المُشـقَّـرِ والـصَّـفَـا
عبيـد السْبذِ والقـرض يُجـزى من القـرضِ[٣]

سـتـصـبـحُـك الـغـلـبـاء تـغـلبُ غـارة
هنـالـك لا يُنجيـك عَـرْضٌ من العَـرْضِ[٤]

وتُـلبِسُ قـومـاً ، بـالمُـشَـقَّـر والـصَّـفَـا
شـآبيـب مـوتٍ ، تـسـتـهـلُّ ولا تُـغـضـي[٥]

تمـيـل عـلى الـعـبـديّ في جـوِّ دارِهِ
وعـوفَ بـن سعـدٍ تختـرمـه عـن المحضِ[٦]

هُمـان أورداني المـوت عـمـداً وجـرداً
عـلى الـغـدر خيـلاً مـا تمَـلُّ مـن الـرُّكضِ

(١) حنانيك : تحَنَّنْ مرَّة بعد مرَّة أو حناناً بعد حنان .

(٢) النُّصب : ما عُبَد من دون الله من الاصنام ـ بمُلتفَّةٍ : بروضةٍ ملتفَّـةٍ : كثيرة الأهل ـ الغبط : السرور ( الغبطة ) ـ الخفض : لين العيش وسَعَته .

(٣) المُشقَّـر : حصن في البحـرين ـ الصَّفَـا : نهرٌ في البحـرين اسبـذ : اسم موضع . القرض : ما أُسلف من إحسان أو إساءة

(٤) الغلباء : العزيزة الممتعة ـ العرض : الجيش الضَّخْمُ ـ

(٥) شـآبيب مفردهـا : شؤبـوب : الـدفعـة من المطر ( استعـارهـا للمـوت ) ـ تستهلّ : تُمطر ـ لا تُغضي : لا تصبر .

(٦) العبديّ : أراد به عبد عمرو الـذي وشى به الى عمـرو بن هند ـ وعـوف بن سعد : ممَّن حرَّضوا عمرو بن هند على قتله ـ تختـرمه : تستـأصله وتهلكه ( جـزم الفعل بغير جازم ) ـ المحض : الخالص ـ .

# أبو الطَّمحان القيني

هو شاعر فارس صعلوك ومن المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ، وكان مجاوراً في جديلة ، من طيء » وكانت قد اقتتلت بينها وتحاربت الحرب التي يقال لها : « حرب الفساد »[1] وتحزَّبت حزبين : حزب جديلة وحزب الغوث ، وكانت هذه الحرب بينهم أربعة ايام ، ثلاثة منها للغوث ، ويوم « لجديلة التي انهزمت ( غ : ١٣ ١٠ )

وفي هذه الحرب أُسر أبو الطمحانَ وفي أسره قال الشاعر :

أرقتُ وآبتني الهموم الطَّوارقُ
ولم يَلْقَ ما لاقيتُ قبلي عاشِقُ

إليكم بني لأمٍ تَخُبُّ هجانها
بكل طريقٍ صادفَتْهُ شَبَارِقُ[2]

---

(١) حرب الفساد : من أيام العرب التي كانت بين الغوث وجديلة من طيء ، وسمِّيت بذلك لما حدَث فيها من الفظائع والاهوال ( فقد قيل : إن هؤلاء خَصَفوا نعالهم بآذان هؤلاء وهؤلاء شربوا الشرابَّ بأقحاف رؤوس هؤلاء ) .

(٢) الخَبَبُ : العدْوُ السريع ـ الهجان كرام الابل ـ الشبارق : جمع شبرق ـ شجرٌ ثمرته شاكة حمراء .

لكم نائلٌ غَمْرٌ وأحلامُ سادةٍ
وألسنة يوم الخطاب مَسَالِقُ [1]

ولم يَدْعُ داعٍ مثلكم لعظيمةٍ
إذا وزمتْ بالسَّاعديْنِ السَّوارقُ [2]

ولمَّا بَلَغَ هذا القول بُجير بن أوس بن حارثة بن لأمٍ الطَّائي ابتاعَهُ من الرجلين اللذين أسراه ، ويمدح الشاعر بُجيراً - وهو أسيرْ عنده - بقصيدةٍ أطلقه إثْرها وقد جَزَّنا صيتَه :

إذا قيل : أيُّ النَّاسِ خيرٌ قبيلةً
وأصْبَرُ يوماً لا تُوارى كواكبُهْ [3]

فإن بني لأم بن عمرو أُرومةٌ
عَلَت فوق صعب لا تُنال مراقبُهْ [4]

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهم
دُجى الليل حتى نظَّمَ الجَزعَ ثاقبُهْ [5]

لهم مجلس لا يَحْصَرُونَ عن النَّدى
إذا مَطْلَبُ المعروف أجدبَ راكبُهُ [6]

ثمَّ مَدَحه الشاعر بعدَّة قصائد بَعْدَها .

---

(١) غَمْرٌ : كثيرٌ ، والغمرُ : الماءُ الكثير - مَسالِق : حادَّةٌ ، وخطيبٌ مِسْلَق : بليغٌ .

(٢) الوزْمُ : العضُّ .

(٣) يوماً : يومَ الحرب - لا تُوارى : لا تستر - ورُويت : لا تَوارى : لا تَتَوارى .

(٤) الأرومة : الأصل . فوق صعبٍ : فوقَ مكان صعب ( يَصْعَبُ ارتقاؤه ) - المرقب : المكان المشرف للمراقبة .

(٥)الجَزْعُ : الخرز الذي فيه سوادُ وبياضٌ .

(٦) لا يَحْصَرون : لا يَبْخَلُون .

# أبو محجن الثقفيّ

هـو عبـد الله بن حبيب بن عمـرو بن عُمـير من بني ثقيف ، ومن مخضرمي الجاهلية والإسلام ، كان فارساً ذا بأسٍ وشـدَّة ، وعاش حيـاته مُولعاً بالخمر ، مُنهمكاً في شربها ، جَلَده الخليفة عمر مراراً بسببها ثم نَفَاه فهرب ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو في القادسية يحارب الفرس ، فكتب اليـه عُمر أن يحبسـه ، فحبسه سعـد وقيَّده في القصر . ولمَّـا اشتـد القتـال صعـد أبو محجن الى سعـد يسْتَعْفِيْهِ فَـرَدَّه ،فـأتى سلمى بنت أبي حفصة[1] فقال : يا بنت أبي حفصة ! هل لك الى خيرٍ؟ قـالت : وما ذاك ؟ قـال : تخلين عني وتُعيـرينني البلقاء[2] ، فلله عليَّ إن سلَّمني الله أن أرجـع إليك حتى تضعي رجلي في قيدي ، فقـالت : وما أنـا وذاك[3] فرجـع يرسف في قيوده ويقول مُعَبِّراً عن حزنه الشديـد إذ أنه مُـوثق حبيس عن حرب يتمنّى

---

(١) هي زوجة سعد بن أبي وقَّاص ، وكان قد تزوجها بعد مقتل زوجها المثنى بن حارثة الشيباني .

(٢) البلقاء : فَرَسُ سعد بن أبي وقَّاص .

(٣) وما أنا وذاك : لا شأن لي بذاك .

لو كان في ساحتها يُجندل الاعداء وهو الفارسُ الأبيُّ الشجاع الذي سيشدُّه ألف حبل الى المعركة فلا يُسَاق ؛ وقيدٌ واحد في رجليه يُقعده ويُبقيه :

كَفَى حَزَناً أن تلتقي الخيل بالقنا
وأُترك مشدوداً عليَّ وثاقيا[1]

إذا قمتُ عَنَّاني الحديدُ وغُلِّقَتْ
مصاريعُ من دوني تُصِمُّ المُنَادِيا[2]

وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ
فقد تركوني واحداً لا أخالِيَا

وقد شفَّ جسمي أنني كلَّ شارقٍ
أعالج كبلاً مُصْمَتاً قد برانيا[3]

فلله دري يوم أترك مُوْثَقاً
وتذهل عني اسرتي ورجاليا

حبيساً عن الحرب العوان ، وقد بَدَت
وإعمالُ غيري يوم ذاك العواليا[4]

ولله عهدٌ لا أَخِيْسُ بعهده
لَئِنْ فُرِّجتْ أن لا أزور الحوانيا[5]

فقالت له سلمى : إني قد استخرتَ الله ورضيتُ بعهدك ، فأطلقته وقالت : أما الفرسُ فلا أعيرها ، ورجعت إلى بيتها . فاقتاد أبو محجن

---

(١) القنا : الرماح .
(٢) المصاريع : الابواب .
(٣) الكبل المُصْمَت : القيد الثقيل .
(٤) الحرب العوان : التي قُوتل فيها مرّة ـ الاعمال : الطّعن ـ العوالي : الرماح .
(٥) خاسَ : خانَ وغَدَرَ ـ الحَوَانيا : الحانات .

الفرس وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق . فركبها وانطلق حتى أضاء النهار كبَّر ثم حمل على ميسرة الفرس فلعب برمحه وسلاحه وكان يقصف الناس قصفاً مُنكراً ، فعجب القوم منه وهم لا يعرفونه ، وأخذ سعد يقول وهو مشرفٌ ينظر إليه : « الطعنُ طعنُ أبي محجن ، والضَّبر ضَبْرُ البلقاء »[1] ولولا مَحْبَس أبي محجن لقلت ٤ هذا هوو هذه البلقاء . فلم يزل يقاتل حتَّى انتصف الليل ، وأقبل أبو محجن مُسرعاً الى سجنه ، فَلَقيتْهُ امرأة في الطريق ، فَظَنَّتْهُ لسرعته فارَّاً مُنهزماً ، فقالت :

مَنْ فارسٌ كَرِهَ الطِّعانَ يُعيرني
رمحاً اذا نزلوا بمَرْجِ الصُّفَّر[2]

فأجابها أبو محجن :

إن الكرامَ على الجياد مبيتُهم
فَدَعي الرماحَ لأهلها وتعطَّري

ثم مَضَى حتى دَخَل القصر وترجَّل ووضع رجليه في القيد وأنشد :

لقد علمتْ ثقيفُ غيرَ فخرٍ
بأنَّا نحنُ أكرمُهم سيوفاً[3]
وأكثرهم دروعاً سابغاتٍ
وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا[4]
وأنَّا رِفْدهُم في كُلِّ يومٍ
فإن جَحَدُوا فَسَلْ بهمُ عريفا[5]

---

(١) ضَبَر الفَرَسُ : جمع قوائمه وقفز .
(٢) مرج الصُّفَّر : مكان في الشام .
(٣) ثقيف : قبيلة الشاعر .
(٤) الدروع السَّابغة : الدروع الطويلة .
(٥) العَريف : العارف .

وليلة قادس لم يشعروا بي

ولم أكره لِمَخْرَجي الزُّحوفا[1]

فإن أُحْبَسْ فَقَدْ عَرَفُوا بلائي

وإن أُطلَقْ أَجَرِّعهم حُتوفا[2]

(١) ليلة قادس : معركة القادسيَّة ـ المخرج الخُروج .

(٢) جرعهم الحتوف : اسقي الأعداء كأس الموت .

# القَتَّال الكلابي

يقول عن نفسه :

أنـا ابـنُ الاكـرمـين بـني قُـشـيرٍ
وأخـوالي الـكـرامُ بـنـو كِـلابِ
نُـعـرِّضُ لـلطِّعـان إذا الـتـقـيـنـا
وجـوهـاً لا تُـعـرَّضُ لـلسِّبـابِ

وهـو شاعـرٌ مُقِلٌّ اسمـه أبو المُسيَّبُ عُبـادة بن مُجيب ولُقِّب بـالقتَّـال لتمـرُّده على الـدولة ولفتكـه وعَكَسَ في شعره البـدويِّ النـزاعـات القبليـة وألوان البطش والفتك والتمرُّد على الحاكم .

وكان الشاعر معروفـاً بفروسيتـه وشجاعتـه وإلفته وحشـة الصحراء وخشونة القفر وعاصر من الشعراء جريـراً والفرزوق ومن الحكـام معاويـة بن أبي سفيان ومروان بن الحكم .

وعاش القتَّال الكلابي حياتـه مُغامـراً يركب متن الأهـوال والمخاطـر ويسير الى غايته مهما يكن السبيل صعباً :

إذا هــمَّ همّــاً لم يَــرَ الَّــلـيْـل غــمَّــةً
عــلـيــه ، ولم تـصــعــبْ عــلـيــه المــراكــبُ[1]

قَــرى الهــمَّ إذْ ضَــاف ، الــزّمــاعَ فــأصبــحــت
مــنــازلــه تَــعْــتَسُّ فــيــهــا الــثــعالــبُ[2]

يسيرُ صبوراً يستخفّ بالجزع إذا حلَّ خَطْبٌ ويتحمَّل الطَّوى مؤمناً بأن الزمن الذي جاد بالعُسر بجود باليسر . والحياة تُصْفِي الـوُدَّ حيناً والمرارة حيناً آخر ، وودُّها ليس بدائم :

جــلـيــدٌ ، كــريــمٌ خــيــمُــه ، وطــبــاعــه
عــلى خــيــر مــا تُــبنى عــلـيــه الــضَّــرائــبُ[3]

إذا جــاع لم يــفــرح بــأكــلة ســاعــةٍ
ولم يــبــتئسْ مــن فــقــدهــا وهــو ســاغِــبُ[4]

يَــرَى أنَّ بــعــد الــعُسر يُــســراً ولا يــرى
إذا كــان يُسرٌ أنَّــه الــدَّهــر لازبُ[5]

والقتّال الكلابي المُغامر أَحَبَّ ابنةَ عمٍّ له اسمُها « العاليـةُ بنتُ عبيد الله » ولكن لم يقتـرن بها إذ أن أهلهـا قد زوّجـوها غيـره . فأخـذ الشاعـر يَتَشَبَّبُ بها الى أن دخل السجن بسبب ذلك ولم تكن المرَّة الاولى اذ دخله العديد من المرَّات وفرَّ منه عديدها . فله مع الدولة وسجونها قصصٌ كثيرة وأحاديث طويلة فحياته ثالوثها : التمرُّد والثأر والسجن .

---

(١) هَمَّ هَمّاً : قَصَدَ أمراً ـ الغَمُّ والغمَّة : الكَرْبُ ـ .
(٢) الزماع : العزم والصبر ـ تعتسّ : تطوف .
(٣) الجليد : الصبور ـ الخيمُ : السجيَّة والطبيعة بلا واحد ( القاموس المحيط ـ الجزء الرابع ـ الصفحة : ١١٠ ـ السطر : التاسع .
(٤) السَّاغبُ : الجائعُ .
(٥) لازبٌ : لازمٌ ، ثابتٌ ، دائمٌ .

# المَرَّارُ

هو المَرَّارُ بن سعيد بن حبيب بن خالد . كان قصيراً هزيل الجسم ، وفي ذلك يقول :

عَدُّونيَ الشعلبَ عند العددِ
حتَّى استثاروا بِيَ إحدى الإحَدِ[1]
ليثاً هزبراً ذا سلاح مُعْتَد
يرمي بطرفٍ كالحريق المُوْقَدِ

... وقيل : « إن أخاه بدراً كان شاعراً » وهو القائل :

وما أُصَاحِبُ من قوم فأذكرَهُم
إلا يزيدهمُ حُبّاً إليَّ هَمُّ

... وعُرف عن المرَّار وأخيه كثرة الغارات على النَّاس التي

(١) وَرَدَ في الاغاني : المجلد التاسع ـ القسم الاول ـ منشورات دار الفكر ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٥٥ الصفحة : ٣٢٢ « والمرَّار من مُخضرمي الدولتين . وقد قيل : إنه لم يُدرك الدولة العبَّاسيَّة » .

اضطرت والي المدينة « عثمان بن حيّان المُرّي » الى حبسهما وضربهما حتّى مات بدرٌ مُقيّداً وأُفلت المَرّارُ بعد أن كلّمَ الوالي في أمره .

وقال الشاعر في حبْسه أكثر من قصيدة ومن القصائد التي عبّر فيها عن الحسرة التي تركها السجن في نفسه ، وعن رغبته الجموع في العودة الى حياة الصحراء الرَّحبة ، قوله :

أنارٌ بدت من كُوَّة السجن ضوؤُها
عشيَّةَ حَلَّ الحيُّ بالجزَع العَفْرِ
عشيَّةَ حلَّ الحيُّ ارضاً خصيبة
يطيبُ بها مسُّ الجنائب والقَطْرِ[1]
فيا ويلتا سجنَ اليمامة أطْلِقا
أسير كما ينظرْ الى البرق ما يَفْري
فإن تَفْعَلا أحمدْ كما ولقد أرى
بأنّكُمَا لا ينبغي لكما شكري
ولقد فارقت رجلي القيودُ وجدتني
رفيقاً بنصِّ العيس في البلد القَفْرِ[2]
جديراً إذا أمسي بأرضٍ مَضَلَّةٍ
بتقويمها حتى يُرى وَضَحُ الفجرِ[3]

. . . وقال الشاعر يرثي أخاه بدراً » الذي مات في حبْسه :

الا يا لقومي للتجلُّد والصَّبْرِ
وللقدر السَّاري إليك وما تدري

---

(١) الجنائب : جمع الجَنُوب : وهي ريحٌ تُخالف الشَّمالَ .
(٢) بنصِّ العيس : بسيرها .
(٣) يُقال : أرضٌ مَضَلَّةٌ ومِضَلَّةٌ : وهي الأرض التي يُضَلُّ فيها .

وللشيء تنساه وتذكر غيره
وللشيء لا تنساه إلاَّ على ذكرِ
وما لكما بالغيب علمٌ فَتُخْبَرا
وما لكما في أمر عُثمان من أمرِ



# ( مزاحم العقيليّ )

شاعرٌ بدويٌّ فصيحٌ عاصر من الخلفاء عبد الملك بن مروان ومن الشعراء جريراً والفرزدق .ولَهُ غزلٌ« عذريٌّ »رقيقٌ في ابنةِ عمٍّ اسمُها( ليلى ) أحبَّها كثيراً . وتَصادف أن تشاجر مزاحمٌ مرَّةً مع رجل من بني جَعدةَ فَضَرَبَه بعصاهُ على رأسِهِ فَشَجَّه ، وحُبِس الشاعر من أجل ذلك . في سجنه علم أن ابنة عمِّه تزوَّجت ( زوَّجها عَمُّهُ لرجلٍ غنيّ ، رافضاً مُزاحماً الذي كان فقيراً قليل المال ) . فآلمه ذلك فقال مُصوِّراً وقع الحدث عليه وهو المحبُّ لها الهائم بها :

أتاني بظَهْر الغَيْب أنْ قد تزوَّجتْ
فظَلَّت بي الارض الفضاءُ تدورُ
وقد زَايَلَتْ لُبِّي ـ وقد كان حاضِراً
وكاد جَناني عند ذاك يطيرُ[1]

---

(١) الجَنَانُ : القلب ـ يطير : يخرج من الصَّدْر .

فقلت، وقد قلت أن ليس بيننا
تلاقٍ وعيني بالدموع تمورُ [1]

أيا سُرْعَةَ الاحباب حين تزوجتْ
فهل يأتينّي بالطلاقِ بَشيرُ

ولست بِمُحْصٍ حُبَّ ليلى لسائلٍ
من الناس إلاَّ أن أقولَ: كثيرُ

وتُنْشَرُ نفسي بعدَ موتي بذكرها
مِراراً: فموتٌ مرَّةً ونُشورُ [2]

عَجَجْتُ لِرَبِّ عَجَّةً ما مَلَكْتُها
وربٌّ بِذي الشوقِ الحزين بَصِيرُ [3]

لِيَرْحَمَ ما أبقى ويَعْلَمَ أنَّني
له - بالذي يُسْدَى إليَّ - شكورُ

لَئِن كان يُهْدي بَرْدَ أنيابِها العُلا
لأحوجَ منِّي إنَّني لفقيرُ [4]

... ثمَّ خرج الشاعر من السجن بشفاعة نَفَرٍ مِنْ قومه .

---

(١) تمورُ العين : تموجُ بالدموع .
(٢) النشور : البعث من جديد .
(٣) عجَّ : رفع صوته صائحاً .
(٤) برد أنيابها : ريق أسنانها البارد .

# مالكُ بن أسماء

هو شاعر غَزِل ، لـه شعرٌ رقيق في الخمـر والغَزَل . والشاعر من مواليد الكوفة التي شبَّ فيها مُحِبًّا مُغامراً . ورُوي[1] أن عمر بن أبي ربيعة رأى رجلاً يطوف بالبيت قد بَهَرَ الناس بجماله ، فَسَأل عنه ، فقيل له : هذا مالك بن أسماء . فجاء عَمرُ فَسَلَّمَ عليـه ، وقال لـه : يا أخي ! ما زلتُ أتَشَوَّقُ إليك منذ بلغني قولك .

إنَّ لي عِنْدَ كلِّ نفحةِ بُستا نٍ من الوردِ أو من الياسمينا
نظرةً والتفاتةً أتمنّى أن تكوني حَلَلْتِ في ما يلينا

وكان لمالك أخٌ اسمه عُيينةُ يبدو انه كان مثله في الجمال والمغامرة ، وكان له أُختٌ بارعةٌ في الجمال اسمُها هند ، من الأديبات وذوات الخبرة والحنكة والدَّهاء . فشغلت ولاةَ العراق : تزوَّجها عُبيدُ الله بن زياد ، ثم

(١) الاغاني : ١٦ : ٤٠ : ٤١ طبعة السَّاسي .

تزوَّجها بِشْرُ بن مروان ثم الحَجَّاجُ ؛ وَشُغِفَ بها على الرغم ممَّا هو معروف عنه من جدٍّ في الأمور ، وقسوةٍ في معاملة الناس .

وبعد أن تزوَّج الحجَّاج هنداً « وَلَّى مالكاً » على « إصبهان » و « عُيينة » على شيء من الجبايات ( في العراق على الأغلب ) . فظهر للحجَّاج عليهما تلاعبٌ واستهتارٌ بالأموال فسجن مالكاً في الكوفة واشتطَّ في تعذيبه وكان قد أمر بأن يُسقى الماء ممزوجاً بالملح والرَّماد .

وفي السجن تذكر مالك أيام لهوه إذ كؤوس الخمرة تُدار بين نساءٍ حسناواتٍ عطِرات يُحْيين ليالي الطَّرب والغناء .

حبَّذا ليلتي بتلٍّ بَوَنَّا
حيث نُسقى شرابنا ونُغَنَّى

ومررْنا بنسوة عطراتٍ
وغناءٍ وقرقفٍ فَنَزَلْنَا [1]

حيثُما دارت الزجاجة دُرْنا
يَحْسَبُ الجاهلون أنَّا جُنِنَّا

من شراب كأنَّه دمُ جوف
يترك الشيخ كالفتىَ مُرَجْحِنَّا [2]

. . . ثم عَفَا الحجَّاجُ عنهما إكراماً لأختهما هند . والحجَّاجُ هو القائل في مالكٍ : ذلك عاشَ ما شاء ، ومات حين شاء » .

---

(١) القرقف : الخمر الباردة .

(٢) رجحنَّ : مال ، اهتزَّ .

# الحَكَمُ بن عَبْدَل الأسدي

هو من الشعراء المُجيدين عُرف بِمَرَحه وحُسْن عشرته ومُنَادمته ، وشُهر بهجائه لخُبث لسانه وكان له مدحٌ وغزلٌ وشعرٌ ماجِنٌ .

والحَكَمُ من شعراء الدولة الاموية نَشَأَ في الكوفة يزور البلاطات متكسِّباً وكان أعرجَ أحدبَ لا تفارقه عصاه ، ولَّما « كبر وترك الوقوف بأبواب الملوك كان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسله فلا يحبس له رسول ولا تؤخر له حاجة »[1] .

. . . وكان للشاعر صديقٌ أعمى يُقال له أبو عُليَّة ، وكان ابن عبدل قد أُقعد فَخَرَجا ليلَةً من منزلهما الى منزل بعض إخوانهما ، والحكمُ يُحمل وأبو عُليَّة يُقاد . فلقيهما صاحبُ العَسَس بالكوفة فأخذهما وحَبَسَهما . فلمَّا استقرَّا في الحَبْس نَظَر الحكم الى عصا أبي عُليَّة موضوعةً الى جانب عصاه فضحك وقال يصف الحالين وفي الحالينْ رجلان مُقْعدٌ وأعمى أشبهان بضبّ وحوتٍ يمتطيان في

(١) الحماسة ـ الجزء الثاني ـ الصفحة ٥٣ .

ترحالها جوادَيْن ، والجوادان عُكَّازتان :

حَبْسي وحَبْسُ أبي عُليَّةَ
من أعاجيبِ الزَّمانِ
أعمى يُقاد ومُقْعدٌ
لا الرِّجْلُ منه ولا اليَدان
هذا بلا بصر هناك وبي
يخبُّ الحاملان
يا مَنْ رأى ضبَّ الفلاة قرينَ
حوتٍ في مكانِ
طرفي وطرفُ أبي عُليَّة
دهرَنا مُتوافقانِ
من يفتخرْ بجواده
فجيادنا عُكَّازتان
طرفان لا عَلَفاهُما
يُشرى ولا يتَصاولان
هَبْني وإياه الحريقَ
أكان يَسْطَعُ بالدُّخانَ ؟

. . . ويموت الشاعر بعلَّتِه مُقْعداً قائلاً عن نفسه :

وأبذلُ معروفي وتصفو خليقتي
إذا كُدِّرت أخلاقُ كل فتىً مَحْضٍ[1]

---

(١) المحض : الخالص النقي .

وأقضي على نفسي ، إذا الحقُّ نابني
وفي الناس من يُقضى عليه ولا يقضي[1]
ولستُ بذي وجهين في مَنْ عَرَفْتُه
ولا البخلُ ـ فاعلم ـ من سمائي ولا أرضي

---

(١) نابَ : أصابَ .

# الحطيئة(١)

هو جَرْوَل بن أوسى ولُقِّب بالحطيئة لقصره وكان ذا شرٍّ وسَفَهٍ وقال الشعر مُجيداً في المديح والهجاء والفخر والنَّسيب ، وهـو أيضاً من مُتقـدِّمي الشعراء وفصحائهم ومُخضرم أدرك الجاهلية والاسلام .

لقي الحطيئة الزبرقان وهو سيِّدٌ في قومه(٢) عندمـا قَدِم عـلى الخليفة عمرَ في سنةٍ مجدبةٍ ليؤدي صدقات قومه ، فقال له الزبرقـان وقد عـرفه ولم يعرفه الحطيئة : أين تريد ؟ قـال : العراق ، فقـد حطمتنـا هذه السنـة ، قـال : وتصنع مـاذا ؟ وددت أن أصـادق بهـا رجـلاً يكفيني مؤونـة عيـالي وأُصُفِية مدحي أبداً . فقال له الزبرقان : قد أصبته (غ ٢ : ١٨٠ ) ـ ثم دَلَّه على داره فنزل الشاعر عند أهلها وأكرموه وأحسنوا اليـه وبلغ ذلك بني

(١) الاغاني : ٢ ؛ ١٥٧ ـ مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ـ الطبعة الاولى ـ ١٩٢٨ م . ١٣٤٦ هـ .

(٢) هو الزبرقان بن بدر ، سُمِّي الزبرقان لحُسْنِهِ وقيل : بل لَبِسَ عمامةً مزبـرقةً ( مصبوغةً بالزعفران فسُمِّي الزبـرقان لـذلك ( ويقـال : زَبْرَقَ ثـوبه : صَبَغَـهُ بِحُمرة أو صُفرة ) .

أنف الناقة[1] وكانوا ينافسون عشيرة الزبرقان ، فعملوا على إفساد العلاقة ونجحوا في ذلك وأصبح الحطيئة في صفِّهم وراح يمدحهم مُعرِّضاً بالزبرقان بمثل قوله :

دعِ المكارمَ لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطَّاعم الكاسي[2]

فَشَكاه الزبرقان الى الخليفة ، عمر الذي استنشده فأنشده ، فقال عمر للشاعر حسان بن ثابت : أتُراه هجاه ؟ قال : نعم ، فحبسه عملاً ، فقال الحطيئة أبياتاً رقيقةً يصوِّر فيها أولاده الصغار الأشبه بصغار الطير ، وما يُعانون من بؤسٍ وحرمان منها قوله :

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مَرَخٍ
زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ[3]

ثم استعطف الخليفة ذاكراً أن سجنه قد أبعده عن أولاده الصغار وليس هناك من يهتمُّ بهم ويرعاهم ويؤمن لهم حاجاتهم فهو مُعيلهم وكاسبهم وراعيهم ، وهم الصبية الصغار الذين يرتجفون برداً ويرتقصون قِرَّةً في مسكنٍ مرميٍّ في جفن الريح :

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ

(١) أنفُ الناقة هو جعفر بن قُريع ، وسُمِّي جعفر ( أنف الناقة لأن أباه قُريعاً نَحَر ناقةً فقسمها بين نسائه ، فَبَعَثَت الأمُّ جعفراً فأتى أباه ولم يَبْقَ من الناقة إلا رأسُها وعُنقها ، فقال : شأنَك بهذا ، فأدخل يده في أنفها وجَرَّ ما أعطاه ؛ فسُمِّي أنفَ الناقة ( مَدَحهم الحطيئة فصار اللقب فخراً لهم ) قومٌ هم الانف والاذنابُ غيرهم ومن يسوِّي بأنف الناقة الذَّنَبا .

(٢) الطَّاعم الكاسي : الذي يطعمه الناسُ ويكسونه

(٣) الحوصلة من الطائر بمنزله المعدة في الانسان .

أهـلي فـداؤك كـم بـيـني وبـيـنهـم
من عـرْض داويـه تَعْـمى بهـا الخُبُـرُ[1]

أنـت الإمـام مـن بـعـد صـاحـبـه
ألـقـى إليـك مـقـاليـد الـنُّهـى البَشَـرُ

لم يُـؤثـروك بهـا اذ قـدَّمـوك لهـا
لـكـن لأنـفـسـهـم كـانـت بـك الأَثَـر

فـامْنُنْ عـلى صبيـةٍ بـالـرمـل مسكنهم
بـيـن الأبَـاطِـح تغشـاهم بهـا الـقِرَرُ[2]

. . . وما كان مثلُ هذا الشعر العذب النَّابع من الأعماق ، لتجودَ به قريحة الحطيئة وتسكبه نفسه دمعةً في أعين الزمن وأحاسيسَ صادقةٌ في صميم الأيَّام ، لولا صبيةٌ صغارٌ ، مُعيلهم سجينٌ تجلده سياط البعد عنهم والتفكير المُضني بحالهم ، فلاَن قلبَ الخليفة عمر له ، وعَفَا عنه بعد أن أخذ عليه عهداً أن لا يعود الى الهجاء ، ويُقال : إنه اشترى منه اعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم ، وفي ذلك يقول الحطيئة :

وأخـذتَ أطـرافَ الـكـلام فـلم تَـدَعْ
شَـتْـماً يضر ولا مـديحـاً يـنـفـعُ

وحمَـيتَـني عِـرض الـلئـيم فـلم يَخَفْ
ذمِّـي وأصـبـحَ آمـنـاً لا يـفـزعُ

. . . ولمَّا أخرجه الخليفة قال له : إيَّاك وهجاءَ النـاس ، قال : إذاً يموتُ عيالي جوعاً ، هذا مَكْسبي ومنه مَعَاشي ، قال : فإياك والمُقْذِع من القول ، قال : وما المقذع ، قال : أن تُخاير بين الناس فتقول : فلانٌ خيرٌ

---

(١) الدَّاوية : الفلاة الواسعة .

(٢) القرر : جمع قِرَّة ( بالكسر ) وهي البرد .

من فلان ، وآل فلانٍ خيرٌ من آل فلاَن . ثم قال للزبرقان : خذه . فأخذه وألقى في عنقه عمامةً فاقتاده بها .

. . . ويُروى أن الحطيئة لمَّا حَبَسهُ الخليفة عمر قال وهو أوَّلُ ما قاله (غ ٢ : ١٨٧ ) يطلب الرأفة به والعفو عنه :

أعوذُ بِجدِّك إني امرؤ
سقتني الأعادي إليك السِّجالا
تَحَنَّن إليَّ هداكَ المليكُ
فإن لكل مقامٍ مقالا
ولا تَأْخذَنِّي بقول الوشاةِ
فإن لكل زمانٍ رِجَالا

فلم يلتفت الخليفة إليه حتى قال أبياته التي أوَّلها : « ماذا تقول لأفراخٍ بذي مَرَخ » .

# العَرْجي (1)

هو عبدُ الله بن عُمر ولقب العرجي لسُكناه عرج الطّائف ، ونشأ مشغوفاً باللهو والصَّيد ، وكان شاعراً غَزِلاً قد سَلَك فيه سبيل عمر بن أبي ربيعة ، ويُروى أن الشاعرِ عمر لمَّا مات شوهدت جارية تبكي وتلطم وجهها قائلةً : مَن لمكة وذكر شعابها ونسائها ؟ فقيل لها : طَيِّبي نفساً فقد نشأ فتى يقال له العرجي يحذو حذوه ، فقالت :أنشدوني بعضِما قال فأنشدوها قوله :

ولمَّا رأيتُ الكاشحينَ تتَّبعوا
هوانا وأبدوا دونَنا نظراً شَزْراً(2)
جعلتُ وما بي من جفاءٍ ولا قلىً
أزوركُمْ يوماً وأهجُرُكُمْ شهراً(3)

---

(1) الحماسة : 2 72 ـ الأغاني : 1 : 382 ـ 417 ـ دار الكتب المصرية .

(2) الكاشح : العدوّ الذي يُبطن عداوته ـ التَتبُّع : التأثر والاقتفاء ـ والنظر الشزر : النظر بمؤخر العين بغضاً وعداوةً .

(3) القِلى : البغض والعداوة ـ .

فَمَسحت عينها ورفعت يدها الى السماء وقالت : الحمد لله الـذي لم يضيع حَرمه .

. . . وكان الشاعر من الفرسان المعروفين وقد غَـزَا مع مَسْلَمـة بن عبد الملك في بلاد الروم وقد أبلى في القتال بـلاءً حَسَناً . وفي عهـد هشام بن عبد الملك تغزَّل الشاعر بجيداءَ أم محمد بن هشام المخزومي[١] الـذي كان تيَّاهاً شديد الكبر ، جبَّاراً .

أخذ محمد بن هشام يتطلَّب عليه العلل حتَّى حَبَسَه وقيَّده ، بعد أن ضربه بالسوط . وطال به سجنه حتى مماته .

ويُروى أن رجلاً اسمه الحصين بن غُرَيْر الحميـري قد سجنـه محمد بن هشام مع العرجي . وبعد جلدهما وصَبِّ الزيت على رأسهما وإقـامتهما في الشمس .

قال الشاعر متصبِّراً ينتظر الفَرَج من ربِّه ومن الخليفة :

وكـم مـن كـاعـبٍ حـوراءَ بـكـرٍ
أَلُـوف الـسِّـتْرِ واضـحـة الـتـراقـي[٢]
بـكـت جـزعـاً وقـد سُـمـرت كُـبُـوْلٌ
وجـامـعـةٌ يُـشَـدُّ بهـا خـنـاقـي[٣]
عـلى دهمـاءَ مـشـرفـةٍ سَـمُوقٍ
ثَـنَـاهـا الـقـمـح مُـزْلَـقَـةَ الـتَّـراقي[٤]

---

(١) محمد بن هشام المخزومي هو خال هشام بن عبد الملك وواليه على مكَّة ( ١١٤ هـ - ٧٣٢ م ) .

(٢) الكاعب - التي نهَدَ نُدياها - الحوراء : التي في عينيها حَوَر ( أن يشتدَّ بياض العين وسوادُ سوادِها ) .

(٣) الكُبُول : مفردها الكَبْل وهو القيد - الجامعة : مفرد : الجوامع : القيود .

(٤) دهماء : سوداء - سموق : سَمَق : ارتفع .

عـلـيٌّ عَـبَـاءةٌ بـلـقـاءُ لـيـسـت
مـن الـبـلوى تُـغيِّـبُ نـصْـفَ سـاقـي[1]

كـأن عـلى الخـدود وهُـنَّ شُـعْـثٌ
سـجـالَ المـاءِ يُـبْـعَـثُ في الـسَّـواقـي

فـقـلـتُ تجـلُّداً وحـلـفْـتُ صَـبْـراً
إلى ذا الـيـوم مـا دَفَـعْـت مـآقـي

سَـيَـنْـصُـرُني الخـلـيـفـةُ بـعـد ربٍّ
ويَـغْـضـبُ حـين يُخْـبَـرُ عـن مَـسَـاقـي

وتـغـضـب لي بـأجـمـعـهـا قُـصَـيٌّ
قـطـينُ الـبـيـت والـدُّمْـثِ الـرقـاقِ[2]

بمُـجـتـمـع الـسـيـول إذا تَـنَـحَّـى
لِئَـامُ الـنَّـاس في الـشُّـعَـبِ الـعِـمَـاقِ

وذكر الشاعر ابن غريرٍ في قوله ( وكانا معاً في السجن أيضاً ) :

مـعـي ابـن غُـرَيْـرٍ واقـفـاً في عـبـاءة
لـعـمـري لـقـد قَـرَّت عـيـونُ بـني نَصْرِ

. . . ومما قال العرجيُّ في سجنه القصيدة التالية التي يذكر فيها ما يلاقي من التعذيب مُصَوِّراً نفسه الفتى الفارس الشجاع الذي كان يُغبِّرُ في السَّرايا ، ويَقْتَحِمُ الوغى دفاعاً عن حدود يجب أن تُصَان بصيرٍ وشجاعةٍ أمام الرَّدى ، ومُذكِّراً أنه الآن سجينٌ يجزُّ القيد في قدميه وليس غير الصبر ما يُعينه وهو الذي كان بالأمس أصيلَ قومه وأرفعهم شأناً :

---

(١) بلقاءُ : سوداء وبيضاء .
(٢) دَمِث المكانُ : سَهُلَ وَلاَن ، والدَّمائة : سهولة الخلق .

أضاعوني وأيَّ فَتىً أضاعوا
ليوم كريهةٍ وسداد ثَغْرِ[1]
وَصبْرٍ عند مُعْتَرك المنايا
وقد شُرعت أسنَّتُها بنحري[2]
أُجَرَّرُ في الجوامع كُلَّ يومٍ
فَيَا لله مظلمتي وصبري[3]
ـاني لم أكن فيهم وسيطاً
ولم تَكُ نسبتي في آل عمرو[4]

وأما قصيدته في جيداء ، أم محمد بن هشام المخزومي فقوله :

عوجي علينا ربَّةَ الهودجِ
إنَّك إن لم تفعلي تَحْرَجي[5]
إني أُتيحت لي يَمَانيةٌ :
إحدى بنات الحارث من مَذْحِجِ
نَلْبَث حولاً كاملاً كلهِ
لا نلتقي إلاَّ على مَنْهَجِ[6]
في الحجِّ إن حَجَّت وماذا مِنَىً
وأهله إن هي لم تَحْجُجِ ؟

---

(١) الكريهة : الحرب ـ سداد الثغر : الدفاع عن حدود الوطن .
(٢) الاسنَّة : رؤوس الرماح ـ النَّحر : أعلى الصدر .
(٣) الجوامع : مُفردها الجامعة : القيد ـ
(٤) الوسيط في القوم : الافضل نَسَباً والارفع محلاً .
(٥) تحرجين : ترتكبين ذنباً .
(٦) الحول : العام ـ المنهج : الطريق .

أيْسَرُ ما نَال مُحِبٌّ لَدَى
بَيْنٍ حبيبٍ قَوْلُهُ عَرِّجِ[1]

---

(١) عَرَّجَ : مال الى المكان .

# عبد الله بن الزَّبير الأسدي

عبد الله بن الزَّبير شاعرٌ كوفيٌّ المنشأ والمنزل ، وهو من شعراء الدولة الاموية المُكثرين المُجيدين ، وبدأت صلته ببني أُمية منذ أيام معاوية بن أبي سفيان وكان الوالي على الكوفة عبد الرحمن بن أم الحكم[1] الذي كان قد هجاه عبدُ الله بن الزَّبير . ولمّا هجاه استجار بمروانَ بن الحكم وعبد الله بن عامر فأجاراه ودخل مع مروان الى المدينة وقال في ذلك :

أَجِدِّي الى مروان عَدْواً فَقَلِّصي
وإلاّ فَرُوحي واغتدي لابن عامر[2]

الى نَفَرٍ حول النبي بيوتُهم
مكاريمُ للعافي رِقاق المآزِر[3]

(١) عبد الرحمن بن أم الحكم : هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن أبي عقيل بن ربيعة بن الحارث الثقفي ، وأمه أم الحكم بنت أبي سفيان ( فمعاوية خالُه ) . وكان عبد الرحمن رجلاً غبيّاً خاملاً . فأراد معاوية أن يستنهض همَّته فولاه الكوفة فأساء فعَزَله ثم ولاه مصر ، ثم نقله الى الجزيرة .

(٢) أجِدّي : أسرعي ـ قلّصت الناقة : استمرّت في سيرها .

(٣) رقاق المآزر : المئزر : الملحفة ( والتعبير كناية عن نعيمهم وترفهم ) .

فظفر الوالي بالشاعر فيما بعد وهدم داره في الكوفة وحَبَسه وضربه ضرباً مُبرِّحاً ثم أطلقهُ بشفاعةٍ من « أسماء بن خارجة »[1] الذي وَصَلَه. وفي ذلك يقول :

ألم تَرَ أن الجود أرسل فانتقى
حليفَ صفاءٍ وائْتَلَى لا يُزايُلُهْ[2]
إذا ما أتَوا أسماء كان هو الذي
تُحلِّبُ كفَّاه الندى وأنا مِلُهْ
تراهم كثيراً حين يغشَون بابَه
فَتسترهم جدرانُهُ ومَنازِلُهْ

. . . وبعد خروجه من السجن جاء معاوية شاكياً فقال له : كم كانت قيمة دارك ؟ واستشهد أسماء بن خارجة وقال له : سله عنها ، فسأله ، فقال : ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتَها ، ولكنه بَعَثَ الى البصرة بعشرة الاف درهم للسَّاج ( خشب يُجلب من الهند ) فأمر له معاوية بعشرين الف درهم ( غ ١٤ : ٢٢١ - ٢٢٢ ).

. . . ولمَّا بُويع يزيد بن معاوية وفد عليه الشاعر فأجزله وسلَّمه كتاباً الى عبيد الملك بن زياد والي الكوفة لإكرامه . وفي الطَّريق من الشام الى الكوفة عَرَضَ له زُفَرُ بن الحارث الكلابي[3] بقرقيسياء [4] فَحبسه أياماً وقيَّده وكان معه رفيقٌ من بني أمية يقال له : أبو الحَذْراء ، فَرحَلَ وتَركه في

---

(١) أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري من أشراف مكة وسادات العرب وكان فارساً شجاعاً كريماً ومات في أيام الحجاج .

(٢) ائتلى : أقْسَمَ .

(٣) زُفر بن الحارث الكلابي : كان والياً على الموصل لعبد الله بن الزُّبير المُنافس لبني أمية في الحكم وكانت قرقيسياء وشمالي العراق تابعين لعبد الله بن الزُّبير .

(٤) قرقيسياء : بلَدٌ يقع على نهر الفرات .

حبسه ، ثم تكلّمت فيه جماعةٌ من مُضَر فـأُطلق (غ ١٤ : ٢٤٢ ـ ٢٤٣ )
فقال في ذلك يُصوِّر نفساً مُقيَّدَة بالحديد والقيود التي تصرُّ فتجرح :

أغـادٍ أبـو الحـدراء أم مُـتـزوِّج ؟
كـذاك الـنَّـوى مِمَّـا تُجِـدُّ وتمـزحُ[1]

لـعـمـري لـقـد كـانـت بـلاد عـريـضـة
لي الـرَّوْحُ فـيـهـا عـنـك والمـتـمـسـرَّحُ[2]

ولكنـه يـدنـو البغـيض ويبعـد الحبيبُ
ويـنـأى في المـزار ويَـنْـزحُ

ألا لـيـت شـعـري هـل أتى أُمَّ واصـلٍ
كُـبُـولٌ أعـضُّـوهـا بـسـاقـيَّ تجـرح[3]

إذا مـا صَـرَفْـتُ الـكـعـبَ صـاحت كـأنَّهـا
صـريـفُ خـطـاطـيـفٍ بِـدَلْـويْـنِ تمْـتَـحُ[4]

تُـبَـغِّـي أبـاهـا في الـرفـاق وتـنـشـني
وألـوى بـه في لُجَّـة الـبـحـر تِمْـسَـحُ[5]

أمُـرتحـلٌ وفـدُ الـعـراق وغُـودرت
تَحِـنُّ بـأبـواب المـديـنـة صَـيْـدَحُ[6]

فـإنـك لا تـدريـن فـيـهـا أصـابـني
أريـثُـك أم تـعـجـيـلُ سـيـرك أنـجـحُ[7]

---

(١) الرواح : السَّيْرُ في العشيّ .
(٢) الرَّوح : الرَّاحة ـ المُتسَرَّحُ : انْفراجٌ بعد غمٍّ وضيق .
(٣) الكُبُول : جمع الكَبْل : القيد الضخم .
(٤) صرفت : رددت ، حرَّكت ـ الخطاطِيف : جمع خُطَّاف وهو حديدة في جانبي البكرة متَحَ الماءَ : نَزَحَهُ
(٥) ألوى به : ذهب به ـ التِمسح : التِمساح .
(٦) صيدح : اسم ناقته .
(٧) الرَّيْثُ : الابطاء .

أَظَـنَّ أبـو الحـدراء سـجـني تجـارةً
تـرجًـى ، ومـا كُـلُّ الـتـجـارة تُـرْبِـحُ

وَلَمَّا عاد الشاعر بعد أن أُطلق سراحه الى الكوفة بكتاب يزيد بن معاوية الى عبيد الله بن زياد ، دَخَلَ عليه وأنشده ( وكان عنده أسماء بن خارجة ) ( غ ١٤ : ٢٢٧ ) :

حـنَّـت قـلوصي وهْـنـاً بـعـد هـدأتهـا
فـهيَّجتْ مـغـرَمـاً صَـبًّـا عـلى الـطَّرَبِ(١)
حـنَّـت الى خـير مـن حُـثَّ المـطيُّ لـه
كـما كـان البـدر أبي سـفـيـان والعُـتَـبِ
تـذكَّـرت بـقُـرى الـبـلقـاء نَائِـلَهُ
لـقـد تـذكـرتُـه مـن نـازحٍ عَـزَبِ

وفي الفترة التي ولي فيها مُصْعب بن الزُّبير ولاية الكوفة حَبَسَ الشاعرَ أيضاً ثم أطلقه وبقي معه يَمُنُّ عليه ويَصِله وهو يمدحه الى أن قتل مُصْعَبٌ وعمي عبد الله بن الزُّبير بعدها ومات في خلافة عبد الملك بن مروان .

---

(١) القَلوص من الإبل : الفتيَّة ـ الوَهْنُ : مُنتصفُ الليل ـ .

# عبد الله بن الحجَّاج

هو شاعرٌ شجاع فاتكٌ صعلوكٌ من صعاليك العرب ومن معدودي فرسان مُضر ذوي البأس والنجدة فيهم وكان مِمَّنْ خَرَجَ مع عمرو بن سعيدٍ على عبد الملك بن مروان ، ولمَّا قتل عبدُ الملك عَمراً خرج مع نجدة ابن عامر الحنفيّ ثم هرب وضاقت عليه الارض من شدة الطلب (غ ١٣ : ١٥٨ ـ ١٦٢ ) فقال في ذلك

رأيت بلادَ الله وهي عريضةٌ
عَلى الخائف المطرود كِفَّةَ حابلِ [١]
تُؤَدَّى إليه أنَّ كُلَّ ثنيَّة
تيمَّمَها ترمي إليه بقاتلِ [٢]

ثُمَّ لجأ الشاعر الى « أُحَيح بن خالد بن عُقبة بن أبي مُعيط ، فَسَعى بِهِ الى الوليد ابن عبد الملك ، فَبَعَثَ إليه بالشُّرَط ، فأُخذ من دار أُحَيْح

(١) الكِفَّة للصائد : حبالته وهي المِصْيدة .
(٢) تؤدَّى : تُخيَّل ـ الثنية : الطريق الصعبة في الجبل او العقبة او الجبل نفسه

فأُتي به الوليد فَحَبَسه فقال وهو في الحبس أبياتاً فيها الشوق والحنين والدّمع المسفوح بعد أن حال السجن بينه وبين حبيب الأمس :

أقولُ وذاك فرط الشوق مِنيٍّ
لعيني اذ نأت ظمياءُ فيضي[1]
فما للقلب صَبْرٌ يوم بانت
وما للدمع يُسْفَحُ من مَغِيْضَ
كأنَّ مُعَتَّقاً من أذرِعات
بماء سحابةٍ خَصِرٍ فَضيضِ[2]
بِفيها، إذ تخافِتُني حياءً
بِسِرٍّ لا تبوحُ به خفيضِ

ويُتابع الشاعر قصيدته مُخاطباً أبا العباس الوليد بن عبد الملك آملاً ألاَّ يُعرض عنه أميرُ المؤمنين الذي فاق بني أبي العاصي كرماً وشجاعةً والذي يَتلقَّاه بأغلالٍ ثقيلة :

فإن يُعْرِض أبو العبَّاس عنيٍّ
ويركب بي عَروضاً عن عَروضِ
ويجعلْ عُرْفَهُ يوماً لغيري
ويُبغضْني فإنّي من بغيضِ
فإني ذو غنىً وكريمُ قومٍ
وفي الأكفاءِ ذو وجه عريضِ

(١) ظمياء : اسم امرأة . والظمياء من الشفاه : الذابلة في سمرة ، ومن العيون ، الرقيقة الجفن .

(٢) المُعتَّق : الشراب الذي عُتِّق زَمَناً ـ أذرعات : بَلَدَ بالشام شهرت بالخمر ـ الخَصر : البارد . الفضيض : المنتشر ـ .

غلبتَ بني أبي العاصي سَمَاحاً
وفي الحرب المذكّرة العَضُوضِ[1]
فِدىً لك من إذا ما جئتُ يوماً
تَلَقَّاني بجامعةٍ رَبُوضِ[2]

قيل : فدخل أُحيْحٌ على الوليد بن عبد الملك ، فقال يا أمير المؤمنين : إن عبد الله ابن الحجّاج قد هجاك ، قال : بماذا ؟ فأنشده قوله :

فإن يُعرضْ أبو العباس عنيّ
ويركبْ بي عَرُوضاً عن عَرُوضِ
ويجعلْ عُرْفَهُ يوماً لغيري
ويُبغضْني فإني من بغيضِ

فقال الوليدُ : وأيُّ هجاءٍ هذا ! هو من بغيضٍ إن اعرضتُ عنه ، او أقبلتُ عليه ، او أبغضته ، ثم ماذا ، فأنشده .

كأني إذ فزعت الى أُحَيْحٍ
فَزِعْتُ الى مُقوقيةً بَيُوضِ[3]

فضحك الوليدُ : ثم قال : ما أراه هَجَا غيرك . فَلَمَّا خرج من عنده أُحَيْحٌ أَمَرَ بتخلية سبيل عبد الله بن الحجّاج فأطلق .

ويُروى أن عبد الله بن الحجّاج كان من أنصار كثير بن شهاب بن الحصين وهو والي المُغيرة بن شعبة[4] على ثغر الري ، واتفق أن أغار الناس على الدَّيلم فأصاب عبد الله بن الحجّاج رجلاً منهم ، فأخذ سَلَبَهُ ،

(١) العَضُوض : الشديدة .
(٢) الجامعة : الغُلُّ ، القيد ـ الربوض : الضخمة الثقيلة .
(٣) المُقوقية : المصوتة .
(٤) كان المُغيرة بن شَعبة يومئذٍ خليفةَ مُعاوية على الكوفة .

فانتزعه منه كثير وأمر بضربه فَضُرب مئة سوط ، وحُبسَ ، فقال الشاعر في ذلك وهو محبوسٌ « بِأَبْهَرَ » مُغْمَدَ السَّيف لا يُسمح له بالإياب :

تسائلُ سلمى عن أبيها صِحَابهُ
وقد علقَتْه من كثيرٍ حَبَائلُ[1]
فلا تَسْألي عنّي الرِّفاق فإنَّه
بأبهرَ لا غازٍ ولا هو قافِلُ[2]
ألستُ ضربتُ الدَّيلميَّ أمامَهم
فَجَدَّلتُه فيه سنانٌ وعامِلُ[3]

ومَكَثَ الشاعر في السجن مدة ثم أُخلي سبيله ، فقال ينشد الذهاب لأمرٍ نكبه :

سأترك ثُغر الري ما كنت والياً
عليه لأمر غالني وشجاني
فإن أنا لم أدركْ بثاري وأتَّئِرْ
فلا تدعني للصَّيد من غطفانِ[4]

ولمَّا عُزِلَ « كثير » وقدمَ الكوفة كَمِنَ له عبدُ الله بن الحجَّاج في سوق التَّمارين ، وذلك في خلافة معاوية وإمارة المُغيرة بن شعبة على الكوفة ، وكان « كثيرٌ » يخرج من منزله الى القصر يُحدِّث المُغيرةَ ، فَخرج يوماً يُحدِّثه فأطالَ ، وفي طريق العودة الى داره ضربه عبد الله بعمود حديدٍ

---

(١) الحبائل : المصائد .
(٢) أبهر : اسم مدينة .
(٣) جدل : صَرَع - السنان رأس الرمح وجمعها الأسِنَّة - العامل : صدر الرمح
(٤) الصَّيد : جمع الأصيد وهو الملك - وتُقالُ للرَّافع رأسَهُ كِبْراً وللأسد .

على وجهه فَهَتَّمَ مقاديم أسنانه كُلَّها (غ ١٣ ١٦٥) وقال في ذلك مُفْتخِراً بما فعل إذ ستترك ضربتُه أثراً على وجهه ينمُّ على ذلِّهِ وخزيه أبَدَ الايام والضربة التي تلقَّاها «كثير» جاءته من رجلٍ مِقدامٍ الى الهيجاء لا يهاب الرَّدَى وهو وَاحِدٌ من عديد من فرسان قومه الاشدَّاء .

مَنْ مُبْلِغٌ قيساً وخندف أنَّني
ضربتُ كثيراً مضربَ الظّربانِ[1]

فأقسم لا تنفكُّ ضربةُ وجهه
تُذلُّ وتُخزي الدَّهر كُلَّ يَمَانِ

فإن تلقني تلق امرءاً قد لقيته
سريعاً الى الهيجاء غير جبانِ

وحوليَ من قيسٍ وخندف عصبةٌ
كرامٌ على البأساء والحَدثانِ

وقيل : «كَتَبَ ناسٌ من اليَمَانية من أهل الكوفة الى معاوية : إن سيِّدنا ضربه خسيسٌ من غطفان ، فإن رأيت أنْ تُقيدَنا[2] من أسماء بن خارجة[3] . فلمَّا قرأ معاوية الكتاب قال : ما رأيتُ كاليوم كتاب قوم أحمقَ من هؤلاء . وحَبَسَ عبد الله بن الحجَّاج وكتب إليهم إنَّ القَود (القَصَاص) ممَّن لم يَجْنِ محظورٌ والجاني محبوسٌ ، حَبسَته فلْيقتصَّ منه المجنيُّ عليه» فقال كثير بنُ شهاب بن الحصين : لا أستقيدها إلاَّ من سيِّد مضر . فبلغ قوله معاوية فَغضب وقال : أنا سيِّدُ مُضر فَلْيَسْتَقِدها منِّي وأمَّن عبد الله بن الحجَّاج وأطلقه وأبطَلَ ما فعله بابن شهاب»

---

(١) الظربان : دُويبةٌ نَتِنَةُ الرَّائحة .

(٢) أقاد القاتل بالقتيل : قتَله ، والقَوَدُ : القَصَاصُ .

(٣) انظر رقم (٤) من حاشية الصفحة (٧٨) .

وكان لعبد الله بن الحجَّاج ابنان عُوَين وجُنْدَب ، فمات جُندب ودُفن قرب الكوفة ، فمرَّ أخوه عُوين بحرَّاثٍ الى جانب قبر أخيه فنهاه أن يقرِّبه ، فلمَّا أصبحَ وَجَدَهُ قد حَرَث وأضرَّ بالقبر فَضَربه بالسيف وعَقر فدَّانه ، فاعتقل عُوين وضرب ثم هرب فوفَد أبوه الى عبد الملك يسْتَوْهِبُ جرم ابنه مَوهَبَهُ وأمرَ ألاَّ يتعقَّبَ . فقال عبد الله في ابنه عُوين :

لِمثْلُك يا عوينُ فدِتْك نفسي
نَجَا من كربةٍ إن كان ناجي
عرفتك من مُصَاص السِّنْخِ لَمَّا
تركت ابن العُكامِسِ في العجاجِ[1]

... وأمَّا الشعر الذي أنشده عبد الله بن الحجَّاج بين يدي عبد الملك عندما وفدَ عليه بسبب ما كان من ابنه عُوين ، فقوله مادحاً :

يابنَ أبي العاصي ويا خير فَتىً
أنتَ النجيب والخيارُ المُصطفى
أنتَ الذي لم تَدَعِ الامر سُدىً
حين كشفتَ الظلمات بالهدى
ما زلتَ إن نازٍ على الأمر انتزى
قضيته إن القضاء قد مَضى

فَأَمَر عبدُ الملك بِتَحَمُّلِ ما يلزمُ ابنَهُ من غُرْمٍ وأَمَّنَهُ .

(١) مُصاص السِّنخ : يُقال : فلان مصاص قومه : إذا كان أخلصَهم نَسَبَاً ويُقال للمفرد والمثنى والجمع بلفظ واحدٍ . السِّنخ : الأصل ( القاموس المحيط : ١ ٢٦٢ السطر الأوَّل )

# سُراقةُ بن مِرْداسٍ البارقيّ

كان سُراقة شاعراً ظريفاً حَسَنَ الإنشاد وقد نظم في المديح والفخر والهجاء وهو شاعر أمويٌّ له قِصَّة تطول مع المختار بن أبي عبيدة الثقفي الذي استولى على الكوفة زمناً .

ولمَّا ثار أهل الكوفة تغلَّب عليهم المختار ووقع العديد منهم أُسرى وكان أحدهم سراقة ( والمختار ماجِيءَ بأسيرٍ اليه إلاَّ قتَلَه ) . فجيء سُراقة وهمَّ المختار بِقَتْلِهِ فقال له الشاعر يُدغدغ كبرياءه : إنك لن تستطيع قتلي حتى تفتح الشام فَعَفَا عنه . ثم جيء بسراقة أسيراً ثانيةً وثالثةً وأقسم بين يديه على أنه لم يقع أسيراً الاَّ لأن الملائكة كانت تقاتل في جيش المختار ، وأن الملائكة هم الذين أسروه ، فأطلق المختار سراحة بعد أن أخبر سراقة الجند بما رأى . وهكذا بدهائه استطاع أن ينجو ثلاث مرَّات من موتٍ مُحَتَّم .

. . . وفيما بعد عادى سراقة المختار فَقُبض عليه وجيء به إليه مُشيعاً أن الذي أسره الملائكة التي تقاتل مع المختار وليس جن المختار . واستغلّ المختار الأمر وطلب من سراقة أن يُعلن ذلك لينال تأييداً أكثر بين

أتباعه . فَعَفَا عنه وأمره أن يخرج مَن العراق ، فلحق سراقة بمصعب بن الزبير وقال مُتهكّماً بالمختار :

ألا أبلغ أبا اسحق أني
رأيتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمَتَاتِ[1]
كفرتُ بوحيكم وجعلتُ نَذْراً
عليَّ قتالُكم حتى المماتِ
أري عينيَّ ما لم تر أياه
كِلانا عالمٌ بالتُرَّهات[2]
إذا قالوا أقولُ لهم : كذبتم
وإن خرجوا لبستُ لهم أداتي[3]

---

(١) البلق : جمع أبلق : أبيض ـ الدهم : جمع أدهم : أسود .
مصمت : ممتلىء الجسم ، ثقيل ( من صفات الخيول ) ـ أبو اسحاق : كنية المختار .
(٢) ترأياه : تَرَياه ـ التُرّهات : الأقوال التي لا معنى لها ، الخداع والكذب .
(٣) ( إذا صدقوا أن الملائكة كانت تقاتل معهم فلسوف يقول : إن هذا كذبٌ وإذا خرجوا الى القتال لبس لهم درعه وشهر سلاحه يقاتلهم ) ـ الأداة : الدرع والسلاح .

# يزيد بن مُفَرِّغ(١)

هو الشاعر الذي شُهر بمناهضته للسلطة التي غيَّبت شعره في ثنايا الارهاب وخفايا القمع الذي أرهب حتى الرواة خشية الحاكم أو مُسايرةً له . وعُرف الشاعر بجودة الشعر في الغزل والحماسة وكان هَجَّاءً لاذع القول في هجائه المُرّ .

وكان الشاعر على صلة طيِّبة حَسَنة بآل زياد بن أبيه الذين مَدَحهم ثمَّ انقلب عليهم فهجاهم ، وأول من هجا منهم هو عبَّاد بن زياد بن أبيه وكان والياً على سجستان . قال فيه يسخر من لحيته الكبيرة التي تمنَّاها حشيشاً ليعلف به الخيول :

ألا ليتَ اللِّحى كانت حَشيشاً
فَنَعْلِفَها خيولَ المسلمينا

ولَمَّا سمع عبَّاد وأخوه عبيد الله بن زياد ـ وكان والياً على البصرة ـ

(١) هو يزيد بن مُفَرِّغ الحميري واسمُه في النَّسب يزيد بن ربيعة ، وسُمِّي والده « مُفَرِّغاً لأنه شرب سقاءين ففرغهما » . ( الكامل ١ ٢١١ ) .

بالهجاء ، أخذاه وحَبَساه واستأذنا معاوية في قتله ، فلم يأذن إلاَّ بتعذيبه . وتولَّى ذلك التعذيب عبيد الله بن زياد الذي أذاقه أبشع الوان العذاب ، وجرَّحه بالحديد والقيود الضخمة الثقيلة التي اقتاتت من لحم ساقيه ، وَأَطافَ به على المَلأ سخريةً واستهزاءً .

ولمَّا فرغ عبيد الله بن زياد من تعذيبه والتشهير به أرسل إليه أُناساً يقتضونه دَيْناً وهو العاجز عن وفائه فأمر عبيد الله ببيع فرسه وسلاحه وأثاثه وغلامه وجارية كان يهواها . واشترى عبَّاد بن زياد بن أبيه الغلام والجارية[1] ثمَّ ردَّ عبيد الله الشاعر الى أخيه عبَّاد في سجستان فَحَبَسه . ويُروى أن يزيد بن مُفرّغ وهو في طريقه الى سجستان ـ كَتَبَ على جدران بعض الخانات » التي مرَّ بها أشعاراً من الهجاء اللاذع لآل زياد ، فأَمره خَافِرُهُ من الشُّرط أنَّ يحكَّها بأظافره ، فحكَّها حتى تهرَّأت أطراف أنامله ونزَّت دماً .

ولمَّا كان الشاعر حميريَّاً من اليمن ( عَرَب الجنوب ) ناصرتُه اليمانيةُ ورفعت أمره الى معاوية فاستقدم الشاعر وعنَّفه وأمر بتخلية سبيله وخيَّره في المقام فاختار أرض الموصل وفيها كانت رقدته الاخيرة .

وأمَّا شعره في السجن فَلَه قصيدةٌ لاميَّةً قالها وهو في سجن البصرة نزيلَ عبيد الله بن زياد . والقصيدة تتَّسِمُ بقوة معانيها وعنفِ التمرُّد فيها وثورة التحدِّي لكل ألوان العسف والاضطهاد .

ويستهلُّ الشاعر قصيدته بتساؤلٍ حارٍّ صارخ : كيف يرقد الأسير ويُغمض له جفنٌ والحديدُ يصرُّ ويحزُّ ساقيه ، والهَمُّ يؤرِّقه ؟

---

(١) اسمُ غلامه « بُرْد » كان قد ربَّاه وصار عنده بمنزلة ولده . وأمَّا الجارية فكان اسمُها « الاراكة » .

دارَ سلمى بالخَبْتِ ذي الأطلالِ
كيف نوم الأسير في الأغلالِ ؟

ثم يتذكر الشاعر ما هو قريبٌ الى فؤاده ومن هو غالٍ على قلبه ، يتذكر الفَرَس والسلاح ومطايا الارتحال والجارية التي أَحَبَّ وحال الزمانُ بينَه وبينَها فنأت به عنها المسافات ولكن قَرَّبها الفؤاد :

أين منيّ السلام من بعد نأيٍ ؟
فارجعي لي تحيتي وسؤالي
أين مِنيَّ نَجَائبي وجيادي
وغزالي ؟ سقى الله غزالي
أين ؟ لا أين ، جُنتي وسلاحي
ومطايا سيَّرتها لارتحالي

تذكَّر الشاعر في سجنه المُوحش هذا كُلَّه والألم يعتصره ، وما أعذب الذكريات وأمرَّها في البُعد ! وانتفض ثائراً أبيَّاً لينفيَ أن يكون أتى أمراً دنيًّاً وذلك بيمين المؤمن الواثق :

لا وصومي لربّنا وزكاتي
وصلاتي أدعو بها وابتهالي
مَا أتيتُ الغداةَ أمراً دنيَّاً
ولدى الله كَابِرِ الأعمالِ

ثُمَّ راح « يزيد » يخاطب الوالي بأبياتٍ تنمُّ على عمق المُعاناة من اضطهادٍ مُفْزَعٍ وتنكيلٍ مُرعب ، ممهورةٍ بمشاعر إنسانية دفَّاقة ما استطاع الإسارُ أن يخنقها ولا التعذيب أن يُطفىء لهيبها ، بكل الوانه التي يُعدِّدها في هذه الأبيات ، كما راح يُنذر الوالي الظالم الذي تجاوز

الحدود في قَصَاصه ، بظلم الأيام واقتصاصها منه ، وبأن آثار التنكيل التي تركتها أصابعُ جوره ستمحوها الليالي ، بينما سيبقى قوله الذي يُعَرِّي الظلم ويَدينُه ؛ خالداً أبداً بصدق معاناته وروعة مَعَانيه ، صارخاً في وجه العسف مُنَدِّداً بحاكمٍ صلِفٍ ظالم ما وفَّر لوناً من التعذيب والتشهير الا واستخدمه :

أيها المالك المُرهِّب بالقتل
بلغتَ النكالَ كُلَّ النكالِ
فاخشَ ناراً تشوي الوجوه ويوماً
يقذف الناس بالدَّواهي الثقالِ
قد تعدَّيت في القصاص وأدر
كت ذحولاً لمعشرِ أقتالِ[1]
وكسرت السن الصحيحةَ مِنِّي
لا تذلْني فمنكرٌ إذلالي
وقرنتم مع الخنازير هراً
ويميني مغلولة وشمالي[2]
وأطلتم مع العقوبة سجناً
فكم السجن ؟ أو مَتَى ارسالي؟
يغسلُ الماءُ ما صنعتَ ، وقولي
راسخ منك في العظام البَوَالي[3]

وَأَمَّا في أبياته الثلاثة فيبدو أن الشاعر قد هجا زياداً وولديه بتأييدٍ من قريش التي تخلَّت عنه عند اعتقاله وسجنه وتعذبه :

(١) الذَّحل : الثأرُ أو طلبُ مكافأة بجناية جُنيت او هو العداوة والحقدُ .
(٢) الغُلُّ : القيد ـ .
(٣) البالي : المُهترىء ، الفاني .

ليتَ أني كنت الحليفَ للخمٍ
وجُذام وطيٍّء الأجيالِ
بدلاً من عصابة من قريش
أسْلمُوني للخصم عند النّضالِ
خذلوني وهم لذاك دعوني
ليس حامي الذمار بالخذّالِ

تلك كانت قصيدة يزيد بن مُفرِّغ التي ينتحر الاستعطافُ والتذلُّل على عَتَباتها، وتفيض في الوقت نفسه بنبرة العزَّة والتحدِّي لسلطانٍ قاهرٍ ظالم.

... ويُذكر أن عبيد الله بن زياد لَمَّا باع كُلَّ ما يملك الشاعر حتَّى غُلامه بُرْداً وجاريته الأراكة » ويُذكر ايضاً أن الذي فَعَلَ ذلك هو عَبَّاد بن زياد أخو عبيد الله ( طبقات الشعراء للجمحي ١٤٣ ) - قال « يزيدُ » القصيدة التالية :

أَصَرَمْتَ حَبْلَك من أُمامَهْ
من بعد أيامٍ بِرامهْ ؟
لَهْفِي على الامر الذي
كانت عواقبُهُ ندامهْ
تركي سعيداً ذا النَّدى
والبيتُ ترفعه الدعامهْ[1]
وتبعتُ عبد بني عِلا
جٍ ، تلك أشراطُ القيامهْ

(١) سعيد : سعيد بن عثمان بن عفّان الذي اصطحب يزيد ابن مُفرِّغ في أثناء ولايته « خراسان » ( لكنَّ يزيد آثَرَ عبَّاد بن زياد بن أبيه ) .

(٢) عبد بني علاج : يقصد عبيد الله بن زياد أو أخاه عبَّاداً أشراط القيامة : علاماتها

جاءت به حبشيَّة
شَكَّاءُ تَحْسَبُها نعامة
من نسوةٍ سودِ الوجو
هِ ترى عليهنَّ الدّمامة
وشَرَيْتُ بُرْداً ليتني
من بعد بُرْدٍ كنتُ هامه[1]
أوبُومَةً تدعو الصَّدَى
بين المُشقَّر واليَمَامه[2]
العَبْدُ يُقرعُ بالعَصَا
والحُرُّ تكفيهِ الملامة

... وللشاعر في بيع بُرْدٍ والأراكة » أبياتٌ من عمق الوجدان :

يا بُرْدُ ، ما مَسَّنا دَهْرٌ أضرَّ بِنَا
من قبلِ هذا ولا بِعْنا له ولدا
أمَّا الاراكُ فكانت مَحَارِمنا
عيشاً لذيذاً وكانت جنَّةً رَغَدَا
لولا الدعيُّ ولولا ما تعرَّض لي
من الحوادث ، ما فارقتُها ابدا[3]

---

(١) يتمنى الموت من بعد « بُرْدٍ » .
(٢) اليمامة : في شبه الجزيرة العربيَّةوالمُشقَّرُ : حِصْنٌ فيها .
(٣) الدعيَّ : يقصد زياد بن أبيه الذي كان مجهول النَّسَب . ( ولد زيادٌ في مكَّة وكانت أمُّه سمَيَّة » جاريةٌ من الطائف ، ولم يكن أبوه معروفاً ، فدعاه الناس زياد بن سُميَّة ثم اشتهر باسم زياد بن أبيه ( وكان ذكيَّاً وسياسياً قديراً وحازماً فَعُدَّ من دهاة العرب بولاية ( معاوية والمغيرة وعمرو بن العاص ) .

# عبد الله الطالبيّ

هو من أحفاد جعفر بن أبي طالب شقيق الإمام عليٍّ ، ومن رجال الكوفة وفرسانها المُناهضين لسلطة الحكام الامويين الذين قاتلوه حتّى فرَّ الى فارس . وفي الفترة العباسيَّة أَمَرَ أبو مسلم الخراساني باعتقاله وقتله لتمرُّده على السلطة العبَّاسية . وتدلُّ أبياتٌ له على أنه ذاق مرارة السجن وقساوته على يد أبي مسلم قبل أن يقتله . ونلمس في هذه الأبيات غربة السجين القاتلة ، وعنف السجن وشقاوته وأساه ، وكآبته العميقة . كيف لا ؟ والعقوبة جاءته ممَّن كان قد شهر سيفه في وجه الأمويين .

ويبدأ عبدُ الله الطالبي أبياته[1] بمُناشدة المروءات الانسانيَّة :

أَلَا أَحَدٌ يأوي لأهلِ مَحَلَّة
مُقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا

(١) رُويت الأبيات للشاعر صالح عبد القدوس ، أيضاً تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأوّل » ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ) د . شوقي ضيف

ويُتابع الشاعر قوله بتململٍ وسأمٍ يحمله لفظه ، وحزنٍ مُضْنٍ تجودُ بِهِ تعابيرُهُ :

خـرجنـا من الـدنيـا ونحنُ من أهلها
فـلسنـا مـن الاحيـاء فـيهـا ولا المـوتى

ومن أبياته التي تهزُّ بروعتها الضمير الانساني ؛ وتُعبِّر عن اغتـراب مُوْغِلٍ في النفس الانسانية قوله معبِّراً عن حياة مُرَّة قاسية وعن دنيا أخرى غير دنيا الناس خارج حدود السجن والتي كاد ينساها لـولا سجَّا نهُ القادم من فضائها الرَّحب :

إذا دخـل الـسَّـجَّـانُ يـومـاً لحـاجـةٍ
عَـجِبْنَـا وقـلنـا جـاء هـذا من الـدنيـا
ونـفـرح بـالـرؤيـا ، فجـلُّ حـديثنـا
إذا نحن أصبحنـا ، الحـديثُ عن الـرؤيـا
فـإن حـسُنـتْ لم تـأتِ عجـلى وأبـطأت
وإن قـبحـت لم تحـتـبسْ وأتـت عـجـلى

ويقبـع الشاعـر في ظلمات سجنـه ، لا خبر يُسرّ ولا منـظر يُفرج ، ويحْسَبُ نفسه مُقيماً في رمسٍ مظلم ينبي بالموت ونهاية الحياة ، وأما حارسُه فلا يكل ولا يملّ بل تهدأ العيون ولا يهدأ .

طـوى دونَـنـا الاخـبـارَ سـجـنٌ ممـنَّـعٌ
لَـه حـارسٌ تَـهْدَا الـعـيـون ولا يهـدا
قُـبـرنـا ولم نُـدفـن ونـحـنُ بمـعـزلٍ
عن الـنَّـاس لا نُـخشى فَـنُـغشى ولا نَـغْشى

ومـاذا بعد ؟ لا شيء غـير الإقرار بصـدق الابيـات التي تُمثِّـل بعمقٍ

نفسيَّة سجينٍ لفَّهُ اليأسُ بوشاحٍ أَرْبَدَ فقَنِط ومات الرَّجاء ، وهـذه الابيات التي يختلج لها الوجدانُ الإنسانيُّ غنيتْ بمعاني ومشاعر إنسانية رقيقة خفَّفت من سلبيَّة خلوِّها من معاني وأحاسيس التمرُّد والتحدِّي

# أعشى هَمْدان

هـو عبد الـرحمن بن عبد الله بن الحـارث من بني هَمْدان ، مشـاعـر فصيحٌ مُجيدٌ من شعراء الدولة الأموية ، وله شعرٌ في أغلب فنونه كالحماسة والعتـاب والهجـاء والغـزل والحكمـة . وكـان أعشى هَمْـدان ممَّن أغـزاهم الحجَّـاج بَلَدَ الدَّيلم فَـأُسر ، ومَكَثَ أسيراً في أيـدي الديلميـين مُـدَّةً حتّى جـاءته بنتٌ للعلج الـذي أسره فمـالت إليه هَـوَىً وقالت لـه : أتصطفيني لنفسك إن خلَّصتُك ؟ فقال لها : نعم ؛ وعاهدها ، فلمَّا كان اللَّيـل حلَّت قيوده وأخذت به طُرُقاً تعرفها حتّى خلَّصته وهربت معه ( غ : ٦ : ٣٣ - ٣٤ ) ولأعشى هَمْـدان قصيدةٌ يـذكر فيهـا ما لحقـه من أسر الديلم ، وهي ذاتُ مطلع تقليدي فيه الرَّحيلُ المؤلم ، وتنهّداتُ المُتلفِّت نحـو مَطَايـا الحبيبة التي شُغف بها فؤادُه :

لِمَـن الـظَّعـائـنُ سـيـرُهُـنَّ تـرجُّـفُ
عَـوْمَ الـسَّـفـيـن إذا تـقـاعس مِجذفُ[1]

---

(١) التـرجُّف : الاضـطراب الشـديـد .

مـرَت بـذي خُـشُـب كـأن حُمـولَهـا
نـخـلٌ بيـشـربَ طَلْعُـهُ مُـتَـعـصِّـفُ[1]
عُـولـين ديـبـاجـاً وفـاخـرَ سـنـدسٌ
وبـخـزٍّ أكـسـيـة الـعـراق تُحَـفَّـف
وغـدت بهـم يـوم الـفـراق عَـرَامِسٌ
فُـتْـلُ المَـرافـق بـالهـوادج دُلَّـف[2]
بـان الخـليطُ وفـاتـني بـرحـيـله
خـوْدٌ إذا ذُكـرت لـقـلبـك يُـشْـغَـفُ

ويرسم الشاعر في قصيدته صورة المحبوبة التي إن ضحكت أجْلت مُنَظَّماً عذباً ، وإن أسكرت سكبت في الكؤوس رضاباً عسلاً وخمراً ، وإن نظرت فبِمُقْلَةِ شادنٍ ؛ ويا لسحر العينين ! :

تجـلو بمـسـواك الاراك مُـنـظَّماً
عـذبـاً اذا ضـحـكـت تهَـلَّلَ يَـنْـطُفُ
وكـأن ريـقـتـهـا عـلى عَـلَلِ الـكَـرى
عَـسَـلٌ مُـصَـفًّـى في الـقِـلال وَقَـرْقفُ[3]
وكـأنمـا نـظرت بـعـيـني ظـبـيـةٍ
تحْـنـو عـلى خـشـف لهـا وَتَـعَطَّفُ

ويتابع الشاعر حديثه عن محبوبته التي اكتنزت لحماً ، فإن بادرها

---

(١) ذو خشب : وادٍ على مسيرة ليلة في المدينة .
والروايةُ فيه : حمْلُهُ مُتضعِّفُ » ـ وقيل : « مُتعصِّف » و« مُتعطِّفُ » .
(٢) العَـرَامِسُ : جمع عرمس : النـاقـة الصلبـة ـ دُلَّفُ : جمـع دَالِف ؛ المـاشي بالحمل الثقيل مُقارباً للخطو .
(٣) القِـلاَل : جمع قلة : الجَـرَّةَ ( وقيل : الكـوز الصغـير ) ـ القـرقف : الخمـر البـاردة .

القيام تدافعت كالسكران الذي ناء وضعف عن القيام ، فهي ذات ردفين ثقيلين وكَفَلٍ يميل بالخصر وذاتُ بهجةٍ وسحرٍ في النساءَ وهي الشمسُ ودفئُها :

وإذا تـنـوء الى الـقـيـام تـدافَـعَـت (١)
مثـلَ الـنـزيف يـنـوء ثـمَّـةَ يَـضْـعُـفُ

ثَـقُـلت روادفُـهـا ومـال بـخـصـرهـا
كـفَـلٌ كـمـا مـال الـنـقـى الُمـتـقـصِّـفُ

ولهـا ذراعـا بكـرةٍ رحـبـيَّـةٍ
ولهـا بَـنَـانٌ بـالخـضـاب مُـطَـرَّفُ[٢]

وعـوارضٌ مـصـقـولـة وتـرائـبٌ (٣)
بـيضٌ وبَـطْـنٌ كـالـسـبـيـكـة مُخْـطَـفُ

ولهـا بَهَـاءٌ في الـنـسـاء وبهـجـةٌ
وبهـا تحـلُّ الـشـمـسُ حـيـن تُـشـرِّفُ

تـلـك الـتي كـانـت هـواي وحـاجـتي
لـو أن داراً بـالأحـبـة تُـسْـعِـفُ

ولـئـن بـكـيـت مـن الـفـراق صـبـابـةً
إنَّ الـكـبـيـر إذا بـكـى لَـيُـعَـنَّـفُ

عَـجَـبـاً مـن الايـام كَـيـف تَـصَـرَّمـت
والـدار تـدنـو مـرَّةً وتـقـذَّفُ

ويُفيق الشاعر من حُلُمه الهَني الجميل على صرير الحديد الذي يأكل من لحم ساقيه وهو رهن السجن والاعداء ، يرسُف بالأغلال ودونه جبالٌ

---

(١) تنوء : تنهض بجهدٍ ومشقَّة ـ النَّزيف : السَّكران ( فاقد الوعي ) .
(٢) طرَّفت المرأة بنانَها :خَضَّبتْ أطراف أصابعها بالحناء ـ .
(٣) مُخْطَفُ : ضامِرٌ .

مُنيفات تحول بينه وبين الأحباب والخلّان وكأنّها جاثمة ، على صدرة تكاد تقطع أنفاسه فيصرخ مستغيثاً مُتَمَنِّياً :

أصبحت رهناً للعُداة مُكبَّلاً
أُمسي وأصبح في الأداهم أرسف
فجبالُ ويمةَ ما تزال منيفة
يا ليت أن جبال ويمة تُنْسَفُ

ويرجع إليه صدى صراخه فيهوي في شدق السجن ذليلاً مُهَاناً وهو الرجل الفارس العفُّ الكريمُ الأبيُّ الشجاع الذي عرفته الهيجاء مقداماً يكرُّ ولا يفرُّ، يُقدم ولا يُحجم ، ويُبلي بسيفٍ عضْبٍ قاطع وسنانٍ يقطر دماً ، ويضرب ضربة الشجاع التي يهلع لها قلب الجبان وتكاد تُخمد أنفاسه :

ولقد أراني قبل ذلك ناعماً
جذلان آبى أن أُضامَ وآنَفُ
واستنكرت ساقي الوثاق وساعدي
وأنا امرؤٌ بادي الأشاجع أعجفُ[1]
ولقد تُضرِّسني الحُروبُ وإنَّني
أُلفى بكل مَخَافَةٍ أَتَعَسَّفُ
أتسربلُ الليل البهيمَ وأسترى
في الخبْتِ إذ لا يسترون وأوجِفُ[2]
ما إن أزال مُقنَّعاً أو حَاسِراً
سَلَفَ الكتيبة والكتيبة وقَّفُ[3]

---

(١) الاشاجع : أصول الأصابع أو عروق الكفِّ أعجف قليل اللحم .
(٢) استرى : سَرَى .
(٣) السلف : المتقدم .

فأصابني قومٌ فكنتُ أصيبهم
فالآن أصْبِرُ للزمان وأعرفُ

إني لطلاَّبُ الترات مطلب
وبكلِّ أسباب المنيَّة أُشرفُ

بانٍ على الحدثان غير مُكذِّبٍ
لا كاسفٌ بالي ولا مُتَأسِّفُ

إن نلتُ لم أفرح بشيءٍ نِلْتُهُ
وإذا سُبقتُ به فلا أتلهَّفُ

إني لأحمي في المضيق فوارسي
وأكرُّ خلف المُستضاف وأعطفُ[1]

وأشدُّ إذ يكبو الجبانُ وأصطلي
حرَّ الأسنة والأسنَّة تَرعُفُ[2]

فَلئن أصابتني الحروب فرُبَّما
أُوْعَى إذا مُنِع الرِّداف فأُرْدِفُ

ولربما يروى بكفي لَهْذَمٌ
ماضٍ ومُطَّرِدُ الكُعوب مُثقَّفُ[3]

وأُغير غاراتٍ وأشهد مشهداً
قلب الجبان به يطير ويرجف

وأرى مغانمَ لو أشاء حويتها
فيصدني عنها غنىً وتعفُّفُ

(١) المُستضاف : من يفزع إليه غيره ويلتجىء به ( ويقصد الكميَّ الشجاع ) .
(٢) ويُروى : « يَنْبُو » وقيل « الجواد » مكان الجبان :
(٣) مُطرِّد الكعوب : الرمح ، واطراد كعوبه : تتابعها ـ المُثقَّف : المُقوَّم ، المسوَّى .

... وكـــان أعشى هَمْــدان في جيـــوش الحَجَّــاج التي وَصلت الى « مَكْـرِان » بجنوب الأفغان ، وطال مقامه فيهـا ومرض فكَــرهها وشَكَا من حَرِّها ( غ ٦ : ٤٠ ) وقال في ذلك :

وقـــولا لــذي طَــرَبٍ عــاشــقٍ
أشط المـــزارُ بمـــن تـــذكُـــرُ؟
بِكُوفــيَّـــةٍ أصـــلُهـــا بـــالــفُــرا
تِ تــبــدو هــنــالــك أو تحضرُ[1]
وأنــت تــســيـر الى مُــكّــران
فــقــد شــحط الـــورد والمـــصــدر
ولم تَــكَ مـــن حــاجــتي مُــكــران
ولا الــغــزو فــيــهــا ولا المــتــجــرُ
وخُــبِّــرتُ عــنهــا ولم آتــيــهــا
فــما زلــتُ مـــن ذكــرهــا أُذْعَــرُ
بــأن الــكــثــير بهــا جــائــعٌ
وأن الــقــلــيــل بهــا مُــقْــتَرُ
وأن لِحَــى الــنــاس مـــن حَــرِّهــا
تــطول فَــتُــجــلَمُ[2] أو تُــضْــفَــرُ

... ويُروى أن عبد الرحمن بن الاشعث أحد قواد الحَجَّاج قـد ثار عليه فانضمَّ أعشى هَمْدان اليه ومدحه وَهَجا الحجاج ، ولمَّا ظفر الحجاج في معـركة « ديـر الجماجم » وانهزم ابن الأشعث وهـرب أُسر بعضُ أصحابـه وجيء بهم الى الحجَّاج وفيهم أعشى همدان فقتله في الأغلب .

---

(١) تَبْدُو : أقام في البادية ـ تَحضر : أقام في الحَضرَ .
(٢) تُجلم : تُقطع بالجلم : المِقصْ .

# هُدْبَةُ بن خَشْرَم

هُدْبة من شعراء العصر الأمويّ ، نَشَأ في أسرة تقول الشعر : الأب والأم والاخوة الثلاثة وابن عمه عبد الرحمن كانوا شعراء ، ونظم في الغزل والهجاء والحماسة والحكمة ، وجاد شعره في فترة سجنه .

ويُروى أن هدبة قتل صهره زوج أخته سلمى ، زيادة بن زيد بن مالك بن عامر في فترة ولاية سعيد بن العاص على المدينة ، ثم لاذ بالفرار . فأمر الوالي باعتقال عددٍ من أهل الشاعر فيهم عَمُّه « زُفر بن كُرز » حتى يأتي هدبة ؛ ولمَّا عاد أفرجَ سعيد بن العاص عن أهله وأدخله السجن .

ولم يرغب سعيد بن العاص حسم القَضية ، فأرسل الطَّرفين المُتنازعين أخا القتيل عبد الرحمن بن زيد ، والشاعر الى معاوية الذي سأل عبد الرحمن : هل لأخيك بنون ؟ فقال : نعم ، له طفلٌ اسمه المُسَوَّر . فقال معاويةُ : لننتظر حتىَّ يَرْشُدَ المسَوَّرُ فيأخذ بثأر أبيه .

. . . ويعود الشاعر الى سجنه الذي قَضى فيه ـ قبل عرض القضية

على معاوية وبعده ـ ثلاث سنوات ، وقيل بل « خمس سنين أو ستاً » ( معجم الشعراء : ٤٦٠ ) . وفي سجنه يتجدَّد حُبُّه وتحلو ذكراها في قلبه على الرغم من وحشة السجن وقسوة البعاد ، وفي سجنه أيضاً يزداد صبراً على أحداث الزمن ومن يصبر يَلْقَ الفرج القريب والأمن والسلام والحرية بعد أسرٍ تحمله على جانحيها الى الأهل والاحباب بعد طول بعاد ( معجم الشعراء ٤٦١ )

يُجِدُّ النأيُ ذكرك في فؤادي
إذا أوهِلت على النأي القلوبُ[1]
وقد علمت سُليمي أنَّ عُودي
على الاحداث ذو وَتَدٍ صليبُ[2]
عسى الكربُ الذي أمسيتُ فيه
يكونُ وراءه فَرَجٌ قريبُ
مَيَأمَنَ خائفٌ ويُفكُّ عانٍ
ويأتي أهله النائي الغريبُ[3]

وذُكر أن معاوية قال الى هدبة عندما مَثَل أمامه مع أخي قتيله عبد الرحمن بن زيد : يا هدبة ! قُلْ ، فقال : إن هذا رجلٌ سجَّاعةٌ[4] فإن شئت أن أقصَّ عليك قصتنا كلاماً أو شعراً فعلت . قال معاوية : لا ، بل شعراً . فأنشده هدبة مُرْتَجلاً[5] .

ألا يا لقومي للنوائب والدَّهرِ
وللمرء يُردي نفسه وهو لا يدري[6]

---

(١) يُجدُّ : يُجدِّدُ ـ وهلت : ضعفت والمقصود هنا « نسيت » .
(٢) ذو وتدٍ : راسخ ، ثابت ـ صليب : شديد .
(٣) العاني : الأسير « السجين » ويُفَكُّ عانٍ : يُطلق سراحُه .
(٤) سجَّاعة : يقول السجع ( الكلام المنثور المُقفَّى ) .
(٥) شعراء النصرانية بعد الاسلام ١٠١
(٦) الرَّدى : الهلاك ، فيُرْدِي : يُلقي نفسه في التهلكة .

وللأرض ، كم من صالحٍ قد تأكّمت
عليه فوارَتْهُ بلمّاعةٍ قَفْرِ[1]

تباريحُ يلقاها الفؤاد صبابةً
إليها وذكراها على حين لا ذكرِ[2]

فيا قلبُ ، لم يألف كإلفك آلفٌ
ويا حُبَّها ، لم يُغْرِ شيءٌ كما تغري

وما عندها - للمستُهام فؤادُه
بها إن ألَّمت - من جزاء ولا شُكْرِ

فلا تتَّقي ذاهيبةٍ لجلالهِ
ولا ذا ضياع هُنَّ يُتركن للفقر[3]

فلمّا رأيتُ أنَّها هي ضربةٌ
من السيف أو إغضاء عين على وترِ

عمدتُ لأمرٍ لا تُعَبِّرُ والدي
خزايتُهُ ولا يُسَدُّ به قبري

وكم نكبة لو أن أدنى مرورها
على الدهر ذلّت عندها نُوَبُ الدهرِ

رُمِيْنا فَرامَيْنَا فصادفَ رمْيُنا
مَنَايا رجال في كتاب وفي قَدْرِ

وأنتَ أميرُ المؤمنين ، فما لَنَا
وراءك من مَعْدىً ولا عنك من قَصْرِ[4]

---

(١) تأكّمت : أصبح فيها آكام مرتفعات » ويقصد القبورَ - اللّماعة الفلاة - .
(٢)تباريح الشوق : توهُّجُهُ « شدَّتُه » - الصَّبابة : شدة الهوى .
(٣) الضياع : الاراضي والقُرى .
(٤) أنت القاضي والحكم الذي نحتكم اليه وليس الى غيره - من قَصْرٍ ، من مانعٍ .

فإن تَكُ في أموالنا نضِقْ بها
ذراعاً ، وإن صَبْرٌ فنصبرُ للصَّبْرِ[1]

ولَّما بلغ «المُسَوَّرَ» رُشدَهُ قَتَلَ هدبة آخذاً بثأر أبيه .

---

(1) ذراعاً : ذرعاً ـ وإن صَبْرٌ : وإن سجنٌ بلا طعام : أو شرابٍ حتَّى الموت . إمَّا الدِيَّةُ أو السجن ) وهدبة في الحالينْ راض ٍ بحكم معاوية ) .

# جعفر الحارثي [1]

هو من الشعراء الْمُقِلِّينَ المشهورين في قومهم وكان شاعراً فارساً ومُتفنناً في الغزل ، وكان أبوه شاعراً أيضاً[2] وهو من مُخضرمي الدولتين الاموية والعباسية . ويُقال : شرب جعفر الحارثي حتى سكر فأُخذ الى الحاكم وسجن . وفي سجنه قال مُبرِّراً معاقرة الخمور ؛ لأن العار ليس في احتسائها وانما في أن يكون الانسان لئيماً :

لقد زعموا أني سكرت ورُبَّما
يكون الفتى سكران وهو حليمُ
لعمرُك ما بالسكر عارٌ على الفَتَى
ولكن عاراً أن يُقال لئيمُ
وان فَتىً دامت مواثيقُ عَهْدِهِ
على دون ما لاقيتُه لكريمُ

(١) يُقال : قتل في قَصَاص اختلف في سببه النَّا س ( حماسة أبي تمام ـ الجزء الأول ـ الصفحة التاسعة ) .

(٢) أبوه الشاعر علبة بن ربيعة الحارثي .

وقال أيضاً في سجنه ـ وقد هاجه الشوق والحنين ـ يصف زيارة طيف الحبيب الذي كاد يتلاشى عند وداعه وهو الفارس الشجاع الذي كان يقدُّ هامات الرجال بسيفه العضْبِ ورمحه الطَّاعن :

عجبت لمسراها وأنَّى تخلَّصت
إليَّ وباب السجن بالقفل مُغْلَقُ
ألَّمت فحيَّت ثم قامت فودَّعت
فلمَّا تولَّت كادت النفس تزهقُ
فلا تحسبني أني تخشَّعْتُ بعدكم
لشيء ولا أني من الموت أَفْرَقُ
وكيف وفي كفي حُسَامٌ مُذَلَّقٌ
يعضُّ بها مات الرجال ويعلق[١]
ولا أن قلبي يزدهيه وعيدُهم
ولا أنَّني بالمشي في القيد أخرقُ[٢]
ولكن عرّتني من هواكِ صبابةٌ
كما كنتُ ألقى منك إذ أنا مُطْلَقُ[٣]
فأما الهوى والودُّ منِّي فطَافِرٌ
إليك وجثماني بمكَّة مُوْثَقُ

. . . وحُبس الشاعر مع رجل من بني قومه من بني الحارث في حَبْسٍ يقال له « دوران » ورُوي باسم « دَوَّار » وقد ذكره « جريرٌ » :

---

(١) مُذَلَّق : مُحدَّد .
(٢) لأخرق : الدهش فزعاً .
(٣) يروى : « ولكنَّ ما بي من هواكِ ضمانة » والضمانة : المرض والزمانة .

لَمَّا عَصَتني كليب اللؤم قلت لها :
ذوقي الحديد وشمِّي ريحَ دَوَارِ[1]

وقال السمهري وقد سجن فيه :

كانت منازلنا التي كُنَّا بها
شتّى فألَّفَ بيننا دَوَّارُ[2]

وأمّا الشاعر فقد وصفه ووصف سَجّانة الذي يدور في الليل بالجرس الصغير إقلاقاً وإزعاجاً ووصف أيضاً حُرَّاسه الذين لا يبخلون بإساءاتهم :

اذا بابُ دوران ترنَّم في الدُّجى
وشُدَّ بأغلاقٍ علينا وأقفالِ
وأظلم ليلٌ قام علجٌ بِجُلْجلٍ
يدورُ به حتَّى الصباح بإعمالِ[3]
وحُرَّاسُ سرير ما ينامون حوله
فكيف لمظلومٍ بحيلة مُحتالِ

وأمام التنغيص والإذلال والإهانة والاستعباد ليس للإنسان الشجاع الحُرّ الكريم إلّا الصَّبْرُ وتحمُّلُ المظالم من سجان علج وحارس سيء وحاكم ظالم :

ويصبر فيه ذو الشجاعة والنَّدى
على الذل للمأمور والعلج والوالي

---

(١) (٢) في معجم البلدان ( لياقوت ) : دَوّار ( بفتح الدّال وتشديد الواو ) اسم سجن باليمامة

(٣) العلج : الرجل الشديد الغليظ ـ الجلجل : الجرس الصغير .

ويُروى أن الشاعر قَتَلَ رجلاً من بني عقيل فاستعدوا عليه السلطان فأقاد[1] منه (غ ١٣ : ٤٥) .

(١) أقادَ منه : قَتَلَه به ، والقَوَد : القصاص .

# اسماعيل بن عَمّار

هو شاعرٌ مُقِلٌّ من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسيـة ، كان مُحِبّاً للغناء مُدْمِناً للشراب ، وكان له بعض النشاطات السياسية التي اضـطرت واليَ العراق يوسف بن عمر الى اتّهامه بأنه من الخوارج .

... وكان للشاعر أيضاً جارٌ يُقال له : عثمان بن دِرْباس ، يُؤذيه ويسعى به الى السلطان في كل حال ثم سعى به أنه يذهب مـذهب الشُّراة ( الخوارج ) فأخذ وحُبس ( غ ١١ : ٣٧٥ ) وقال يهجوه :

مـن كـان يحسـدني جـاري ويَـغْـبِـطني
من الأنـامِ بـعـثـمـانَ بـن دِربـاسِ

فـقـرَّبَ الله مـنـه مـثـله أبـداً
جـاراً وأبـعـد مـنـه صـالـح الـنّـاسِ

جـارٌ لـه بـابُ سـاجٍ مُـغـلقٌ أبـداً
عـليـه مِـن داخـلٍ حُـرّاسُ أحـراسِ [1]

---

(١) السّاج : خَشَبٌ أسود ( شجره ينبت في بلاد الهند ) .

، يُفتح البابُ عنهم بعد عاشرةٍ
نظنُّهم خرجوا من قَعْرِ أرماسِ[1]
ليتَ دار ابن درباس مُعَلَّقةٌ
بالنَّجم بين سلاليم وأمراسِ[2]
كان آخرَ عهدي منهمُ أبداً
وابتعتُ دارا بغلماني وأفراسي

وقال فيه أيضاً :

و تَبَدَّلْتُ سواه
طابَ ليلي ونهاري
سترحْنَا من بلايا
ه صغارٍ أو كِبَارِ
و جَزَيْنَاه بها كُنَّا
جميعاً في فَجَارِ[3]
سكْتَنَا كان ذلاًّ
داخِلاً تحت الشِّعارِ[4]

فاستعدى جاره عليه السلطانَ وذكر أنه من الشُّراة وأنَّهم مُجتمعون
ده وهم دُعاةُ عبد الله بن يحيى[5] وأبي حمزةَ المختار بن عوف الازديّ ؛

---

(١) الأرماس : القبور .
(٢) الامراس : الحبال .
(٣) في فَجَار : في فجورٍ .
(٤) الشعار : الثوب اللاصق بالبشرة .
(٥) هو عبد الله بن يحيى الكندي ، خرج في ايام مروان بن محمد مع أبي حمزة
ختار بن عوف الأزدي من أهل البصرة وتبعهما مُرِيْدُون فَغَلبوا على اليمن والحجاز ثم
لا أخيراً .

فاعتقل وسُجن . ومن سجنه كَتَبَ الى ابن أخٍ له اسمه مُعَانٌ يذكر لـه ما نابه من دهره ويُظهر له وُدّاً لا يرتجي غيرَ مَثِيْلِهِ

أبـلغْ مُـعَـانـاً عـنيِّ وإخـوتـه
قـولاً ومـا عـالِمٌ كَـمَـنْ جـهـلا
بـأنّـني والمـصـبِّـحـات مِـنـىً
يـعـدُون طـوراً وتـارةً رَمَـلا
لخـائِـفٌ أن يـكـون وُدُّكُـمُ
إيَّـايَ بـعـد الـصَّـفـاء قـد أفـلا
أَإِنْ عَـرَاني دهـري بِـنَـائـبـةٍ
أصـبـح مـنـهـا الـفـؤادُ مـشـتـعـلا
حـاولـتـمُ الـصَّـرْمَ أولَـعَـلُّكُـمُ
ظـنـنـتُـمُ مـا أصـابـني جَـلَلا
لا تُـغـفـلونـا بـني أخـي فَـلَقـد
أصـبـحـتُ لا أبـتـغـي بـكـم بَـدَلا
تمـسَّـكُـوا بـالـذي امْـتَـسَـكْـتُ بـه
فـإن خـيرَ الإخـوان مَـنْ وَصَـلاَ

وَكَتَبَ إليه ابن أخيه :

يـا عـمِ عُـوفـيـتَ مـن عـذابهـمُ
الـنُـكْـر وفـارقـتَ سجـنـهـم عَـجِـلاَ
كـتـبْـتَ تـشـكـو بـني أخـيـك وقـد
أرسـل مـن كـان قـبـلنَـا مَـثَـلا
زعـمـتَ أنـا نـرى بـلاءك في
دارِ بـلاءٍ مُـكـبَّـلاً جـلَلا

يا عمّ بِئْسَ الفتيانُ نحن اذاً
أَمَّا وفي رجلك الكُبُول فلا[1]
عليَّ إن كنتَ صادقاً ، حِجَجٌ
للبيت عامين حافياً رجلا
بُعِّدَ عنك الهموم فارْجُ من الله
خلاصاً وأحسن الأملا

وَلَمَّا ولي الحكمُ بن الصَّلْتِ أطلق سراحه وأحسن إليه ، فلم يزل يشكره ويمدحُه ثم عُزِل الحَكَمُ بعد ذلك (غ ١١ : ٣٧٧) فقال الشاعرُ فيه قصيدةً منها :

تبارك الله كيف أوحشتِ الكوفةُ
أن لم يكن الحَكَمُ
الحَكَمُ العَدْلُ في رعيَّته
الكاملُ فيه العفافُ والفَهَمُ
يُذري عليه السَّريرُ عَبْرَتَهُ
والمِنْبَرُ المشرفيُّ يلْتَدِمُ[2]
والنَّاسُ من حُسْن سيرة الحَكَمَ بن
الصَّلْتِ يبكون كُلَّما ظُلموا

(١) الكُبُول : جمع الكَبْل : القيد .
(٢) المشرفي : السيف المنسوب الى المشارف وهي قرىً في اليمن - يَلْتَدِمُ : يلتطم ، واللدم والالتدام : لطم المرأة صدرَها أو وجهها من الحزن .

# أبو دُلامة

هو أبو دُلامة زَنْدُ بن جون من مُخضرمي الدولتين الأموية والعبّاسية ، نشأ في الكوفة شاعراً مُولعاً بالشراب وفي شخصيته دُعابة وظَرَفٌ ؛ واتّصل بالسفّاح والمنصور والمهدي ؛ ونَظَم في المديح والهجاء والعتاب :

« ولّما ولي المنصور بعد موت أبي العبّاس السّفّاح دخل عليه أبو دُلامة فقال له أبو جعفر : ألست القائل لأبي العباس :

وكُنّا بالخليفة قد عَقَدْنا
لواء الأمر فانتقض اللواءُ
فَنَحْنُ رعيّةٌ هلكت ضَيَاعاً
تسوقُ بنا الى الفِتَن الرِعاءُ

قال : ما قلت هذا يا أمير المؤمنين . قال : كذبتَ والله ، أفلستَ القائل :

هَلَكَ النّدى إذ بِنْتَ يابن محمد
فجعلته لك في التراب عديلا

ولقد سألتُ الناسَ بعدَكَ كُلَّهم
فوجدت أكرم من سألت بخيلا
ولقد حلفتُ على يمينٍ بَرَّةٍ
باللهِ ما أعطيت بَعْدكَ سُولا

فقال أبو دُلامة : إن أخاك غَلَبني على صبري ، وسلبني عزيمتي ، وعزَّني بإحسانه إليَّ فقلت ما لم أتأمله وإني أرغب في الثمن . فإن أعطيتَ ما أعطى أخذتَ ما أخذ . فأمَرَ بِه فَحُبِسَ ثلاثاً ثم خلَّى سبيله ودعاه اليه فَوَصَلَه ، ثم عاد الى ما كان عليه » ( غ ١٠ ٢٣٤ ) .

ويُروى أن أبا دُلامة دخل على المنصور فأنشده :

رأيتُك في المنام كسوتَ جلدي
ثياباً جَمَّةً وقضيتَ ديني
فكان بَنَفْسَجيُّ الخزِّ فيها
وساجٌ ناعمٌ فأتَمَّ زيني[1]
فَصَدِّقْ يا فَدَتْكَ النَّاس رؤيا
رأَتْها في المنام كذلك عيني

فأَمَرَ له بذلك وقال له : لا تَعُد إليَّ ثانيةً ، فاجعل حُلمك أضغاث[2] ولا أُحَقِّقه ثم خرج من عنده ومضَى الى حانةٍ فسكر وغادرها وهو يترنَّح ، فَلَقِيَهُ العَسَسُ فأخذوه بعد سُؤاله : مَنْ أنت ؟ وما دينك ؟ فقال :

ديني على دين بني العَبَّاسِ
فاختُم الطِّين على القرطاسِ

(١) السَّاج : الطيلسان الأخضر أو الأسود .

(٢) أضغاثِ أحلام رؤيا لا يصحُّ تأويلُها لاختلاطها .

إني اصطحبتُ اربعاً بالكأسِ
فقد أدار شربُها برأسي
فهل بما قلت لكم من بأسِ ؟

ومضوا به وخرَّقُوا ثيابه وساجه وجيء به الى الخليفة فأمَر بحبسه مع الدجاج . فلمَّا أفاق أخذ ينادي غلامه مرَّة وجاريته أخرى ، فَلاَ يُجيبُه أَحَدٌ ؛ ولا يسمع سِوَى صوت الدَّجاج . فلمَّا أكثر قال له السَّجانُ : ما شأنُك ؟ فَرَدَّ أبو دُلامة : ويلك من أنت ؟ وأين أنا ؟ أجابه : في الحَبْسِ ، وأنا السَّجَّانُ . قال : ومن حَبَسني ؟ قال : الخليفة . قال : ومن خَرَّق طيلساني ؟ قال : الحَرَسُ . فَطَلَبَ منه أن يأتيَه بدواةٍ وقرطاسٍ فَفَعَلَ فكتَب الى أبي جعفر المنصور ( غ ١٠ : ٢٥٢ ) مُندهشاً من عقوبة السجن بسبب مُعاقرته الخمرة التي يتحدَّث عنها في قصيدته بِتَوادُدٍ وتواجُد :

أميرَ المؤمنين فَدَتْك نفسي
علامَ حَبَستني وخَرقْت ساجي[١]
أمِن صفراءَ صافيةِ المزاجِ
كأن شُعاعَها لَهَبُ السِّراجِ
وقد طُبِخَت بنار الله حَتّى
لقد صارت من النُّطَفِ النِّضاجِ[٢]
تهشُّ لها القلوبُ وتشتهيها
إذا بَرَزَتْ ترقرقُ في الزُّجاجِ[٣]

(١) ما : اسم استفهام تُحذف ألفها مع حروف الجرّ ، فنقول ، عَلاَمَ ، إلامَ ، لِمَ ، فيم . . .

(٢) بنار الله : يقصد الشمس ( تنضج الخمرة بحَرِّها ) ـ النُّطفة : الماء الصَّافي قلَّ أو كثر ـ

(٣) ترقرق : تلألأ

أُقَاد الى السجون بغير جرمٍ
كأني بعضُ عُمَّال الخراجِ
ولو مَعَهم حُبِسْتُ لكان سهلاً
ولكني حُبِسْتُ مع الدَّجاجِ
وقد كانت تُخَبِّرني ذنوبي
بأني من عقابك غيرُ ناجي
على أني وإن لاقيتُ شَرّاً
لخيرك بعد ذاك الشرِّ راجِ

فَطَلبه الخليفة وسأله : أين حُبستَ يا أبا دُلامة ؟ قال : مع الدَّجاج ؛ قال : فَمَا كنت تصنع ؟ قال : أُقَوْقِيءُ مَعهنَّ حتَّى الصَّباحِ فضحك وأطلق سراحه وأَمَر له بجائزة .

فَلَمَّا خرج قال له « الربيعُ » إنه شرب الخمرَ يا أميرَ المؤمنين . أمَا سمعتَ قَوْله : وقد طُبخت بنار الله » - يعني الشمس - فَأَمَرَ الخليفة بإرجاعه ثم قال : يا خبيث ! شربت الخمر ؟ قال : لا . متى : أَفَلَمْ تقلْ : ( طُبخت بنار الله ) تعني الشمس . قال : لا والله ما عنيتُ إلاّ نار الله المُوقدة التي تَطْلِعُ على فؤاد « الرَّبيع » فضحك وقال : خُذْها يا ربيعُ ! ولا تُعَاوِدِ التَعرُّضَ .

# منصور النَمَري

ولد الشاعر ونشأ في بلدة رأس العين في جزيرة ابن عُمَر في شمالي الشام ، وهو من الشعراء المحدثين الذين قالوا شعراً سهلاً مُمتعاً ؛ وأجاد في وصف الشيب والنهود والسَّيف ، وله أشعارٌ ذاتُ جودة وروعة في آل النبيِّ وفي الشعر هو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابيّ وكان مُعاصراً للرشيد .

وذُكر أن الرشيد قد حَبَس منصوراً النمريّ بسبب الرفض[1] فَشَفع له الفضل بن الربيع ، ثم بلغه شعره في آل علي فقال للفضل : اطلبه . فَسَتَره الفضل عنده ، وجعل الرشيدُ يلحُّ في طلبه ، حتى قال يوماً للفضل : ويحك يا فضلُ تفوِّتني النمري ؟ قال : يا سيِّدي ، هو عندي قد حصَّلته ، قال : فَجِئني . وكان الفضل قد أمره أن يطوِّل شعره ويكثر مباشرة الشمس ليشحُب وتسوء حالته ـ ففعل ، فَلَمَّا أراد إدخاله عليه ألبسه فروةً مقلوبة وأدخله عليه وقد عَفَا شعره ( طالَ وكثر ) ، وساءت

(١) الرفض : ضربٌ من التشيُّع والروافضُ : جندٌ تخلّوا عن قائدهم ، والرافضة : الفرقة منهم وفرقةٌ من الشيعة بايَعَتْ زيد بن علي ثم قالت له : تبرَّأ من الشيخينْ ، فأبَى وقال : كانا وزيري جدِّي ، فتركوه وارفضُوا عنه ، والنسبة رافضيّ .

حالته ، فلمَّا رآه ، قال : السيف ! فقال الفضل : يا سيدي من هذا حتى تأمر بقتله بحضرتك ؟ قال : أليس هو القائل : ( غ ١٣ : ١٤٩ ) .

إلا مساعيرَ يغضبون لها
بسلَّة البيض والقَنَا الذَّابلِ

فقال منصورٌ : لا يا سيِّدي ما أنا قائلُ هذا ولقد كُذب عليَّ ولكني القائلُ :

يا منزل الحي ذا المغاني
انعم صباحاً على بِلاكا[1]
هارون يا خيرَ مَنْ يُرْجَى
لم يُطع الله من عصاكا
في خبر دينٍ وخير دنيا
من اتَّقى الله واتقاكا

فأمر بإطلاقه فقال الشاعر يمدح الفضل بن الربيع :

رأيت المُلْك مُذْ آزر
تَ قد قامت محانيهِ[2]
هو الأوحد في الفضل
فما يعرف ثانيه

ولَّما أيقن الرشيد أن الشاعر ما زال يدعو الِى الثورة عليه غضب وأرسل اليه من يقتله فوجده قد تُوفي .

---

(١) البلى : القِدم .

(٢) آزر : عاون ( وهنا : صرتَ وزيراً ) ـ مَحَانيه : معاطفه ( يقصد أركانه ) .

# ابراهيم بن المهدي

هو ابن الخليفة المهدي وأخو هرون الرشيد ، وكانت أمه جارية سوداء فنشأ أسودَ ، وكان شاعراً يهْوى العزف والغناء في أشعارِهِ ومن فُنونه الغزل الرقيق . يقول :

نَظَرُ العيون الى العيون هو الذي
جَعَلَ العيون على العيون وَبَالا

وكانت أخته عُليَّة[1] « شاعرة » ومُغنّية ؛ وعنها أخذ ابراهيم بعضَ غنائه[2] .

ولمّا أقرَّ الخليفة المأمون ولاية العهد لعليّ الرضا غضب العباسيون في بغداد وثاروا عليه وبايعوا ابراهيم بن المهدي . فأرسل المأمون جيشاً لمحاربته وهُزم ابراهيم وجيشه وفرَّ ولكنه ظلَّ يَهْجُو المأمون وهو مُسْتخف تقوم على خدمته جاريةٌ جميلةٌ قال فيها :

(١) الأغاني : ١٠ : ١٦٢ : ١٨٦ .
(٢) الاغاني ٩ : ٩٣ـ ١٤٩ .

يا غزالاً لي إليه
شافعٌ من مُقلتيهِ
والذي أجللتُ خَدَّيْهِ
فقَبَّلْتُ يديهِ
بأبي وجهك ما
أكثر حُسَّادي عليهِ
أنا ضيفٌ ، وجزاءُ
الضَّيف إحسانٌ إليه

. . . وبعد بضع سنين من تَخَفّيهِ يظفر به الخليفة المأمون ويسجنه ثم يُخلي سبيله فيقول الشاعر مادحاً :

قَسَماً وما أُدلي إليك بِحُجَّةٍ
إلّا التضرُّع من مُحِبٍّ خاشِع
ما إن عصيتُك والغواة تمدُّني
أسبابُها إلّا بنيَّة طائعِ[1]
حَتَّى اذا عَلِقَتْ حبائلُ شِقوتي
بِرَدَىً على حُفر المهالك هائعِ
لم أدر أن لمثل ذنبي غافراً
فأقمتُ أرقبُ أيَّ حَتْفٍ صارعي
وعفوت عمَّنْ لم يكن عن مِثْلِهِ
عفوٌ ولم يشفع إليك بشافعِ
إلّا العلوُّ عن العقوبة بعدما
ظفرت يداك بمُسْتكينٍ خاضعِ

---

(١) الغواة : الضالّون .

فَـرَحِـمــتَ أطــفــالاً كــأفــراخِ الــقَــطَا
وعــويـــلَ عَـــانســـةٍ كـقــوس النَّـــازعِ[1]
أســـديــتَــهــا عـــفـــواً إليَّ هـــنــيـئـــةً
فـــشـكـــرتُ مُـــصْـــطَـنَـعـــاً لأكرمِ صـــانـــعِ

(١) كقوس النازع : مُنحنية .

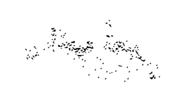
# عليٌّ بن الجهم

كان عليٌّ بن الجهم شاعراً فصيحاً مطبوعاً ـ ورجلاً شجاعاً أَنِفاً ؛ وكان أيضاً من مُعاصري أبي تمام الذي مَحَضَه خالص الودّ والحبّ .

وخُصَّ الشاعر بالخليفة المتوكل حتّى صار من جلسائه ثم أبغضه لأنه كان كثير السعاية إليه بندمائه والذكر لهم بالقبيح عنده (غ : ١٠ : ٢٠٥) .

ولمَّا كَشَفَ المتوكل حقيقة الامر حَبَسَه ثم نفاه الى خراسان وفي السجن كتب الشاعر الى المتوكل عِدَّة قصائد ، ومن المُرجَّح أن أُولاها قصيدةٌ ارسلها الى أخيه تُعبّر عن مشاعر الانسان الذي أسلمَ أمره لقدره وللأيام التي تأتي بالسعادة حيناً وبالشقاء حيناً آخر :

توكَّلنا على ربِّ السماءِ
وسلَّمنا لأسبابِ القضاءِ
ووطَّنّا على غِيَرِ الليالي
نفوساً سامحت بعد الإباءِ



« طاهر بن عبد الله بن طاهر » بأن يصلبه من الصَّباح الى الليل ، فَصَلبه ثم أعاده الى السجن (غ ١٠ : ٢٠٨) .

ولمَّا صُلب في « الشاذياخ » بِخُراسان مُجرَّداً من لباسه قال مفتخراً بنفسه إذ هي عَلَمٌ يُشار اليه وأسد هصور يُهاب ! وبدرٌ يُطِلُّ ؛ وشاعرٌ كبيرٌ يقول القوافي السائرة بمديحٍ يُعزّ أو هجاء يذل وهي التي أَكْسَبَهَا الحَدَثُ شَرَفاً ورفعة :

لم يَنصبوا ابا الشاذياخ صبيحة
الاثنينْ مغموراً ولا مجهولا

نَصَبوا - بحمد الله - مِلءَ عُيونهم
شرفاً وملء صدورهم تبجيلا

ما ازداد إلَّا رفعةً بِنُكُولِهِ
وازدادت الأعداء عنه نكولا

هل كان إلا الليث فارق غيله
فرأيته في محملٍ محمولا

ما عابه أن بُزَّ عنه لباسُه
فالسيف أهول ما يُرى مسلولا

إن يُبتذلْ فالبدرُ لا يُذري به
أن كان ليلة تِمِّهِ مبذولا[1]

أو يحبسوه فليس يُحْبَسُ سائرٌ
من شعره يَدَعُ العزيزَ ذليلا

والشاعر ما اكْتَرَثَ بما فَعلوه لأنه لم يرتكب ذنباً عظيماً يستحق عليه

---

(١) مبذول : ظاهر غير محجوب .

هذا العقاب : ولم يذلَّ أو يُسِفَّ فيُعَاب :

لم تنقصوه وقد ملكتم ظلمه
ما النقصُ إلا أن يكون جهولا
كادت تكون مصيبةٌ لو أنَّكم
أو ضحتمُ ذنباً عليه جليلا
أو كان سَفَّ الى الدنيَّة او رأى
غيرَ الجميل من الأمور جميلا

ويُروى أن المتوكل كتب الى طاهر بن عبد الله يأمره بإطلاق سراح علي بن الجهم ، فلمَّا خَلَّى سبيله جَلَس بين القبور فرآه رجلٌ من أهل خراسان فقال له : ويحك ! ما يُجلسُك هنا ؟ فقال :

يشتاق كل غريبٍ عند غربته
ويذكر الأهل والجيران والوطنا
وليس لي وطن أمسيتُ أذكره
الا المقابر إذ صارت لهم وطنا

وقال أيضاً :

أطاهرُ إني عن خراسان راحلُ
ومستخبرٌ عنها فما أنا قائلُ
فلا تَقطَعَن غيظاً عليَّ أناملاً
فقبلَكَ ما عُضَّت عليَّ الأناملُ
أطاهرُ إن تُحْسِن فإنيَّ مُحْسِنٌ
إليكَ وإن تَبْخَلْ فإني باخِلُ

... ومن أحسن شعره في السجن قصيدته الداليَّة الزاخرة

لإنصافه ودينونة من شهدَزوراً وهو بعيدٌ في سجنه عالمٌ بهذا الحق وذاك الباطل :

أبلغ أمير المؤمنين ، ودونه
خوف العدا ومخاوفُ لا تنفدُ

يا أحمد بن أبي دؤادٍ إنَّما
تُدعى لكل كريهة يا أحمدُ

إن الذين سعوا اليك بباطلٍ
أعداء نعمتك التي لا تُجحدُ

شهدوا وغبنا عنهمُ فتحكَّمُوا
فينا ، وليس كغائب من يشهد

لو يجمع الخصماءَ عندَك منزلٌ
يوماً لَبَان لك الطَّريقُ الارشدُ

. . . ومما كتبه أيضاً الى طاهرٍ بن عبد الله من سجنه قوله :

إن كان لي ذنبٌ فَلِي حُرْمَةٌ
والحقُّ لا يدفعه الباطِلُ

وحرمتي أعظم من زلَّتي
لو نالني عدلكم نائِلُ

ولي حقوقٌ غير مجهولةٍ
يعرفها العاقل والجاهلُ

وقد تعجَّلْتَ الذي خِفْتُهُ
منك ولم يأت الذي آمل

. . . وبعد أن رضيَ الخليفة عليه عاد الشاعر الى بغداد وعاش فيها لاهياً عابثاً ماجناً الى أن غادرها متوجِّهاً الى الشَّام ؛ وفي طريقه وعلى

مقربة من مدينة حَلَب خرج عليه نَفَرٌ من الأعراب وقاتلهم قتالاً شديداً حتى أصابته طعنةٌ مُميتة فنزف كثيراً ، ولمَّا أَحَسَّ بالموت قال :

أَزِيْدَ في اللّيْلِ ليلُ
أم سالَ بالصُبح سيلُ

ذكرتُ أهلَ دُجَيْلٍ
وأين منّي دُجَيْلُ

وقيل : أبكى من كان معه ، ومات مع السَّحَر ، ودُفِنَ قرب حلب (غ ١٠ : ٢٣٣)

أبي فـراس » التي وجَّهها الى أُمٍّ حـانية » عـطوف وابنة « تـوَّاقـة لـرؤيتـه » وصديقٍ أليفٍ أنيس ، وقريب فارسٍ أمير هو ابن عمه سيف الدولة الـذي تباطأ في افتدائه فتألَّم المأسور الذي تـاق الى قيادة الـرجال وخـوض المعارك وقتال الفرسان .

. . . ومن روائع رومياتـه قصيدتـه التي كتبها الى ابن عمـه بعد أن بَلَغَـه أن والـدتـه قصـدتـه تـرجـوه السعيَ من أجـل افتـدائـه ولكن دون جـدوى . فآلمـه الموقف ونـظم أبياتـاً دفَّاقـةً بالانفعالات النفسيَّة الصـادقـة العميقـة ، يتذكـر فيها أُمَّـاً عليلةً تفصل بينهـما مسافـات الذكـرى والحنين والآلام ويُناجيها بنداءات صادقـة مَبْحُوحـة من أعماق مُلتهبـة شوقـاً للقاءٍ دافىء بعد أسْرٍ أليم :

يـا حـسـرةً مـا أكـاد أحمـلُهـا
آخـرهـا مُـزعـج وأوَّلُهـا

عـليـلةٌ بـالـشـآم مُـفـردة
بـات بـأيـدي الـعِـدَا مُـعَـلِّلُهـا

تُمـسـك أحـشـاءهـا عـلى حَـرَقٍ
تـطفئـهـا ، والهـمـوم تُـشْـغِـلُهـا

يـا أمـتـا هـذي مـنـازلـنـا
نـتـركـهـا تـارة ونـنـزلهـا

يـا أمـتـا هـذي مـواردنـا
نـعـلُّهـا تـارةً ونـنـهـلهـا

هذه الأم المُجْهَدَةُ لفراقه تسأل عن حبيب فؤادها المُوثق بالقيود :

تـسـأل عـنَّـا الـركـبـان جـاهـدةً
بـأدمـع مـا تـكـاد تمـهـلهـا

يا من رأى لي بحصنِ خرشنةٍ
أسد شرًى في القيد أرجلها

ويتابع الشاعر أبياته مُعاتباً سيف الدولة الذي لم يُسْتَجِبْ لنداء الأم المكلومة الفؤاد ، ومُوضِحاً المُفارقة بين حياة الملك وحياة الأسر الشقيَّة الأليمة وهو يقتات من غربتها المُوحِشة :

بأي عذرٍ رددت والِهةً
عليك دون الورى مُعَوَّلُها
جاءتك تمتاحُ رَدَّ واحدها
ينتظر الناسُ كيف تُقفلها
تلك المودات كيف تهملها
تلك المواعيد كيف تُغفِلُها
يا واسع الدار كيف تُوسعها
ونحن في صخرة نزلزُها
يا ناعم الثوب كيف تبدله
ثيابنا الصوف ما نبدلها؟
يا راكب الخيل لو بصرت بنا
نحمل أقيادَنا وننقلها

وَيُلِحُّ على الشاعر ألمُ الأسر فيندفع الى الكتابة من جديد الى ابن عمه سيف الدولة يصوِّر السُّهاد الذي قرَّح الجفون والأعداء الذين أصبحوا أرأفَ به من أقارب عليهم أن يفتدوا فارساً له جولات الرجولة العظيمة وصولات البطولة الحقَّة مع الروم بسيفٍ قاطع وقَلَمٍ ناطق :

دعوتُكَ للجفن القريح المُسَّهدِ
لديَّ ، وللنوم القليل المُشرَّدِ

فيـا أُمَّتـا لا تـعـدمـي الـصـبـرَ إنـه
علـى قـدر الـصـبـر الجـمـيـلِ جـزيـلُ

... ويقلِّب الشاعر ناظريه فَيَرى صديق الامس وصوليَّ اليوم ، فيصرخ مُتحسِّراً : أين الخِلُّ المُصَافي يبثُّه لواعجه في زمنٍ قليلٍ فيه الكرام :

أَقَـلِّبُ طـرفي لاِ أرى غـيرَ صـاحـبٍ
يمـيـل مـع الـنـعـماء حـيـث تمـيـل
أكـلُّ خـلـيـلٍ أنـكـدٍ غـير مُـنـصـفٍ
وكـل زمـانٍ بـالـكـرام بـخـيـلُ
فـيـا حـسـرتي مـن لي بـخـلٍّ مـوافـقٍ
أقـول بـشـجـوي تـارَّة ويـقـولُ

... وفي ليلةٍ من ليالي السجن الحزينة إذ تَسْبَحُ النفسُ في عالم الخيال والذكريات ، الشجيَّة ، يسمع الشاعر حمامةً نائحةً فيخفق الفؤاد لهذا الهديل الشجي الحزين وتجود قريحتُه برائعة من روائع الشعر الغنائي العذب :

أقـول وقـد نـاحـت بـقـربي حمـامـةٌ
أيـا جـارتـا لـو تـشـعـريـن بـحـالي
معـاذَ الهـوى مـا ذقت طـارقـة الـنـوى
ولا خـطـرت مـنـك الهـمـوم بـبـالي
أتحـمـل محـزون الـفـؤاد قـوادمٌ
عـلى غُـصُـنٍ نـائـي المـحـلَّة عـالي
أيـا جـارتـا مـا أنـصفَ الـدهـرُ بـيـنـنـا
تَـعـالي أقـاسـمـك الهـمـوم تـعـالي

أيضحك مأسورٌ وتبكي طليقةٌ
ويسكت محزون ويندبُ سالي

لقد كنت أولى منك بالدمع مقلةً
ولكن دمعي في الحوادث غالِ

وتطول مُدَّة الأسرِ ولا مُعين إلَّا الشعر الملتهِبُ حماسةً ولهفةً وعزَّةً وإباءً :

أسرتُ وما صَحْبِي بعزل لدى الوغى
ولا فرسي مهر ولا ربُّه غمرُ

ولكن إذا حُمَّ القَضَاء على امرىء
فليس له بَرٌّ يقيه ولا بحرُ

وإني لجرَّار لكل كتيبة
مُعوّدة أن لا يخلّ بها النَّصْرُ

وقال أصيحابي : الفرار أو الرَّدى
فقلت : هما أمران أحلاهما مُرُّ

ولكنَّني أمضي لما لا يعيبني
وحسبك من أمريْنِ خيرُهُما الأسْرُ

سيذكرني قومي إذا جَدَّ جِدُّهُمُ
وفي الليلة الظلماء يُفْتقَدُ البدر

. . . وهكذا يقبع الشاعر سجيناً في أرض الروم التي عرفته فارساً لا يُغلب ومُغيراً لا يُحجم ؛ يقبع في خرشنةَ أسيراً وقد اكتحلت عيناها بمرأى سيفه الحاصد ورمحه الطَّاعن ونارِ رجاله التي امتدَّت ألسنتها تلتهم المنازل والقصور والتي أَقْفَرَتْ من نسائها الحوْر العِين بعد سبْيٍ لَهُنَّ ويُعيّره الدمستق ، بالأسر ويَمُنُّ عليه أنه عامله بإحسان وأبقى ثيابه عليه فيَقُولُ

ابو فراس في ذلك :

يَمنّـون ان خلّوا ثيابي وإنّما
عليَّ ثيابٌ من دمائهم حُمْرُ

يقبع الشاعر في أسره حتى افتداه أخيراً سيف الدولة الذي توفي بعد عام واحدٍ من فكاك أسره ، ويحاول أبو فراس ان يقْتَطع « حِمْصَ » من ابن أخته أبي المعالي سعد الدولة الذي ارسل اليه جيشاً تَغَلّب على أبي فراس ورجاله وقتله . . . . وبقتله يُسدل السِّتار على تجربةٍ سجنيَّة غنيَّةٍ بمعاني العزّة والإباء والحنين والشوق والشكوى والعتاب ، ودفّاقة بالفخر والعظمة ورقّة المشاعر الانسانية المُعبِّرة عن حالة الانسان الصادق مع ذاته ، الذي ترجمها في شعره قوةً لا ضعفاً وعزّةً لا ذلًّا وصبراً لا نُحيباً .

لقد كنت أولى منك بالدمع مقلةً
ولكنَّ دمعي في الحوادث غالِ

. . . ومَرَّت قرونٌ ولسوف تمرُّ ورومّياته « قصائد الأسر » خالدةً خلود الزمن بروحها السَّامية ، وعاطفتها المتأجّجة الصَّادقة ؛ وأسلوبها القويّ وطابعها الأقوى ، وهي التي جعلت الزمن يَلْهَجُ بذكر الفارس الشاعر والأسير البطل الذي سَطَّر في سفر الزمن معاني خالدةً في التواصل الانساني بين الحاكم ورجال حكمه :

نت سماءٌ ونحن أنجمها
أنت بلادٌ ونحن أجبُلها
نت سحابٌ ونحن وابله
أنت يمينٌ ونحن أنمُلها

كان أبو فراسٍ فارساً شجاعاً وشاعراً عظيماً وكان في أسْرِهِ سانا .

# أبو العتاهية(١)

هو اسماعيل بن القاسم ، نشأ في الكوفة وقال الشعر فبرع فيه وتقدَّم ؛ وأصبح هذا الشعر لعذوبته وسهولته سائراً ذائعاً .

عشق الشاعر جاريةً من جواري المهدي اسمُها « عُتبة » وأخذ يتغزَّل بها ، ورغب الخليفة في أن يمنحه الجارية ولكنَّها أبت ، وكان هذا سبباً ـ كما يُرْوى ـ في زهده .

وقيل : إن أبا العتاهية لمَّا تناسك ولبس الصوف أمره الرشيد أن يقول شعراً في الغزل فامتنع فضربه الرشيد وحلف الا يخرج من حبسه حتى يقول شعراً في الغزل » (غ ٤ : ٢٩ ) . فقال أبو العتاهية شعراً ولكن في امرأته وذلك للتخلُّص من محنته :

مَنْ لقلبٍ مُتيَّمٍ مشتاقِ
شفَّه شوقه وطولُ الفراقِ

(١) الأغاني : ٤ : ١ ـ ١١٢

طال شوقي الى قعيدة بيتي
ليت شعري فَهَل لَنَا من تلاقِ
هي حظي قد اقتصرت عليها
من ذوات العقود والاطوافِ
جَمَعَ الله عاجلاً بكِ شملي
عن قريب وفكّني من وَثاقي

وفي الأغاني : إن الرشيد لما ضرب أبا العتاهية وحَبَسه وكَّل به صاحب خبرٍ يكتب إليه بكلِّ ما يسمعه ، فكتب إليه أنه سمعه ينشد :

أما والله إن الظلم لومٌ
وما زال المسيء هو الظَّلُومُ
الى ديَّان يوم الدين نمضي
وعند الله تجتمع الخصومُ

قال : فبكى الرشيد ، وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه ، وأمر له بألفي دينار . وللشاعر قصائد عديدة نظمها في سجنه يصف همومه وَسُهاده . ففي إحداها يقول :

أنا اليوم لي والحمد لله أشهرُ
يروحُ عليَّ الهمُّ منكم ويبكرُ

ويقول في قصيدة أُخرى :

أرقتُ وطار عن عيني النعاسُ
ونام السامرون ولم يُواسوا

ومن قصائده الرقيقة المُعبِّرة عن مِحْنَةِ السجين الذي يبقى أبداً يرقب لحظة الخلاص ، التالية :

يـا رشـيـد الأمـر أرشـدني الى
وجـه نُـجـحـي لا عـدمـتَ الـرُّشَـدا

لا أراك الله سـوءاً أبـداً
مـا رأت مـثـلـك عـيـنٌ أَحَـدَا

أَعِـنِ الخـائـفَ وارحـم صـوتـه
رافـعـاً نـحـوك يـدعـوك يَـدَا

وابـلائـي مـن دعـاوى آمـلٍ
كُـلَّما قـلـتُ : تَـدَانَـى بَـعُـدا

كـم أُمـنِّيَ بِـغَـدٍ بـعـد غـدٍ
يـنـفـد الـعـمـر ولم ألـق غـدا

وفي سجنه يُذَكِّر الشاعر الخليفةَ بالعَدَم ، وبأمم ٍ تقضَّت ، وبقادةٍ راموا الخلود في الدنيا فَغَيَّبتهم هذه الدنيا في أرماسٍ مُطبقة :

تـنـام ولم تـنـعـم عـنـك المـنـايـا
تـنَـبَّـهْ لـلـمـنـيَّـة يـا نـؤومُ

سَـلِ الأيـام عـن أمـم تـقـضَّـتْ
سـتُـخـبـرك المـعـالم والـرسـومُ

تـروم الخـلـد في دار المـنـايـا
وكـم قـد رام غـيـرك مـا تـرومُ

. . . ويرجو الشاعر مليكه أن يُخلِّصَه من ضيقه ويُفرّج عنه :

ألا يـا أيهـا المـلك المُـرجَّـى
عـلـيـه نـواهضُ الـدنـيـا تحـومُ

أقـلْني زلَّـةً لم أجْـرِمـنْـهَـا
الى لـومٍ ومـا مـثـلي مَـلومُ

وخلّصني تخلُّصْ يوم بعثٍ

إذا للنَّاس بُرّزتِ الجحيمُ

# محمد بن صالح

هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن عبد الله ، كان شاعراً مُكثراً ومُجيداً في الغزل ، وكان أيضاً في عداد الذين اشتركوا في ثورة نشبت في مصر والحجاز ضد الخليفة المتوكل وبعد إطفاء لهيب هذه الثورة جيء بالشاعر الى سامرًا وأُلقي في السجن ثلاثة أعوام حيث الأشجان والهموم وفي سجنِه بثَّ حنين الأيام السَّالفة وأَحَسَّ بنار الوجد المضطرمة في أعماقه شوقاً وحنيناً الى الاهل والخِلَّان ؛ وقد سحَّت عبراته تنطق بهذا الشوق وذاك الحنين :

طربَ الفؤاد وعاودت أحزانُهُ
وتشعَّبت شُعَبابِهِ أشجانُهُ

وبَدَا له من بعدما اندمل الهوى
برقٌ تألَّقَ مَوْهِناً لَمَعَانُهُ

فالنار ما اشْتَمَلَتْ عليه ضلوعُهُ
والماء ما سحَّت به أجفانُهُ[1]

(١) سَحَّ المطر : هَطَلَ بغزارة .

ويستسلم الشاعر لقدره حزيناً كسير الفؤاد ( فحَبَسُهُ كان بتقديرٍ من ربّه ) وهو مؤمنٌ بأنَّ بعد عُسره فَرَجاً :

وبدا له أن الذي قَدْ نَالَهُ
ما كان قَدَّره له ديَّانُهُ[1]

واقنعْ بما قَسَمَ الإلهُ فأَمَرُهُ
ما لا يزال على الفَتَى إتيانُهُ

والبؤسُ ماضٍ ما يدوم كما مَضَى
عصرُ النَّعيم وزال عنك أوانُهُ

ثم مدح الشاعر الخليفة المتوكل فخلَّى سبيله ، ولكن لم يأذن له بالعودة الى الحجاز كما يُروى ، فمكثَ في سامرًا الى أن أصيب بالجُدري ومات .

ومن الشعراء الذين رثوه الشاعر سعيد بن حُميد الكاتب[2] صاحب فضل[3] الشاعرة .

---

(١) ديَّانُهُ : ربُّهُ .

(٢) سعيد بن حميد الكاتب : هو أبو حُميد سعيدُ بن حُميد بن سعيد ، كان شاعراً رقيق الغزل ( أحب فضلَ الشاعرة ) .

(٣) فضلُ الشاعرة او فضلُ العبديَّةُ : جاريةٌ سكنت البصرة وبرعت في الشعر والنثر ، ولها شعرٌ عذبٌ رقيقٌ في النسيب .

# أبو الطيب المتنبي

هو الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، والفارسُ الشجاع الذي شهد المعارك مع سيف الدولة وكان ذا تفكير عميق ومعرفة واسعة وعفيف النفس أبيّاً ، ووفيّاً لمن صادقهم في حياته ، وهو الذي غادر حلب مجروح الكبرياء ، وترك مصرمَكْلُوم الفؤاد .

وكان الشاعر يحمل نفساً بها ظمأ الى العلياء والمجد ، ولكن الدهر يعبس في وجهه فَيَشب ناقماً ثائراً ويقود تمرُّداً بين الأعراب ضد الوالي ، فيقبض عليه بأمرٍ منه وَيُلْقَى في السجن وهو في التاسعة عشرة من عمره ، فعرف السجن بجدرانه القاتمة وقيوده الثقيلة على يدي لؤلؤ الإخشيدي والي حمص .

ومهما يكن فقد أَلِفَ المتنبي السجنَ رجلاً عظيماً أُنِفاً شموخاً ؛ استخفّ بأهواله وعذابه وهمومه ، وكان لهذا السجن سجّانٌ يُدعى أبا دلف وكان صديقاً للمُتَنبِّي من قبلُ وفيه يقول :

أهون بطول الثّواء والتّلَفِ
والسجن والقيد يا أبا دُلَفِ

والشاعر يصور مأساة الرجال العظام الذين تُكرههم الأيام أن يرضوا ما يأبونه :

غيرَ اختيارٍ قبلتُ بِرَّك لي
والجوعُ يرضي الأسودَ بالجيفِ

وينطق متحدياً العسف والاضطهاد ومُتعالياً مستخفّاً بالسجن :

كن أيها السجن كيف شئت فقد
وطَّنْتُ للموت نفس مُعْتَرِفِ

ويبلغ الشاعر ذروة روعته في اعتذاره لنفسه بأن السجن دار العظماء في دروب نضالهم ، ومفخرة لهم :

لو كان سكناي فيك منقصةً
لم يكن الدُرُّ ساكنَ الصَّدَفِ

وجاء في الصبح المُنبي » : لَمَّا اشتهر أمر المتنبي وشاع ذكره وخرج بأرض سلمية من عمل حمص في بني عديّ قبض عليه ابن عليّ الهاشمي في قريةٍ يقال لها كوتكين وجعل في رجله وعنقه خشبتين من خشب الصفصاف ( الديوان : ٤٦ ـ دار القلم ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ) فقال المتنبي :

زعم المقيمُ بكَوْتَكِينْ بأنه
من آل هاشم بن عبد مَنَافِ

فَـأَجَـبْـتُـهُ مُـذْ صـرتَ مـن أبنـائـهـم
صـارت قـيـودُهُـم مـن الـصـفـصـافِ

. . . ولمّا طال اعتقاله وضاق ذرعاً بقيوده وهمومه وضعف جسمه ونحُل كتب الى الوالي مُستعطفاً وهذا الاستعطاف لا ينال من شخصيته العظيمة ولا من نفسه الأبيَّة :

أَمَـالِـكَ رِقـيّ ومَـنْ شـأنُـهُ
هـبـاتُ الـلجـين وعـتـق الـعـبـيـدِ
دعـوتـك عـنـد انـقـطاع الـرجـا
ء والمـوت مـني كـحـبـل الـوريـدِ
دعـوتُـك لمّـا بـراني الـبـلاء
وأوهـن رجـليَّ ثـقـل الحـديـدِ
وقـد كـان مـشـيُـهـما في الـنـعـال
فـقـد صـار مـشـيُـهـما في الـقـيـودِ
فَـمَـالـك تـقـبـل زور الـكـلام
وقـدرُ الـشـهـادة قـدر الـشـهـودِ

وكتب الى الوالي بعد طول مُعاناته يطلب الأخذ بيده وإنقاذه من غربته وَيسْتثيرُ عواطفه بِنَفَثات عميقةٍ صادقة :

بِـيَـدي أيهـا الأمـيرُ الأريـبُ
لا لشيءٍ إلّا لأني غـريـبُ
أو لأُمٍّ لَهَـا إذا ذكـرتـني
دَمُ قـلبٍ في دمـع عـينٍ يـذوبُ
إن أكـن قَـبْـلَ أن رأيـتُـك أخـطأ
تُ فـإني عـلى يـديـك أتـوبُ

... وهكذا استقبل الشاعر الشاب الثائر سجنه ، استقبله في البدء عظيماً أبيَّ النفس وفي الختام مُستعطفاً راجياً خافت الصوت ، وهذا لا يعيب التاسعة عشرة من عمره التي تختبر الحياة من أعْنَفِ جوانبها فتَعَاملت مع الثورة والسجن فكأنَّها تعاملت مع الموت وليس سهلاً تصارعُ الحياة مع العدم .

ويُطلق سراح المتنبي ، ولكن هل رُدَّت اليه حريته ؟ حرية النفس الطموحة ذات الكبرياء التي أذاقته مُرَّ العذاب في حياته ، فأحَسَّ في مصر عند كافورٍ الاخشيدي بالسجن الكبير حوله ، ودفع ثمنها حياته في مواجهته فاتك الأسدي ورجاله وقد قاتلهم حتّى هوى النسر من عليائه ، فهَوى الكبر والشموخُ والأنَفَة والعظمة مُضرَّجةً مُخضَّبة ورحل المتنبي وبقي الناس على مَرّ الازمان والأجيال يدقُّون باب معبده الفنيّ بخشوع ويقفون على عتَبات صرحه الفكريّ والنفسيّ المعتدّ بتقديرٍ وإجلال ؛ ولسوف يظلُّ أبداً رمزاً لمعانيَ قومية عظيمة ولأفكارٍ إنسانية نبيلة ولتمرُّدٍ شبابيٍ مُوحٍ للشبيبة على مَرِّ العصور .

# صالح بن عبد القُدُّوس

هو من الشعراء المُجيدين المُكثرين ومن الذين اشتهر أمرهم بالزندقة ، ولمَّا تعقَّب المهديُّ الزنادقة ونَصَب لهم ديواناً لمحاكمتهم ( ومن تثبت عليه الزندقة يُصلب فوراً ) فَرَّ الشاعر من البصرة الى دمشق واستتر فيها مُدَّة حتى قُبض عليه وألقي به في أحد سجون بغداد ينتظر محاكمته .

وأخذ الشاعر في سجنه يَستَعْطِفُ الرشيد[1] حتَّى رقَّ له :

لا يبلغ الاعداء من جاهلٍ
ما يبلغ الجاهل من نفسِهِ
والشيخ لا يترك أخلاقه
حتى يوارى في ثَرى رمسِه

(١) « ويختلف الرواة في زمن هذه المحاكمة والخليفة الذي تولَّاها فمن قائلٍ إنه المهديُّ ومن قائل إنه هرون الرشيد ، وقد ضعَّف ابن المعتز القول الأول ، وقال الصحيح أن الذي حاكمه وناظره في زندقته هو الرشيد » . تاريخ الادب العربي ـ العصر العباسي الأول ـ الصفحة : ٣٩٦ ) د . شوقي ضيف .

إذا ارعوى عاد الى جهله
كذي الضَّنا عاد الى نُكسِهِ[1]
وإن مَنْ أدَّبْتَهُ في الصِّبا
كالعود يُسقى الماء في غرْسِهِ
حتًى تراه مُورِقاً ناضراً
من بعد ما أبصرتَ من يُبْسِهِ

ولمّا استقدمه الرشيد تَلَا عليه البيت الثاني وقال له: «نحن نمتثل وصيتك وما شهدت به على نفسك من أنك لا تترك الزندقَةَ ولا تحول عنها أبداً ، وأَمَر فَضُربت عُنقه وصُلب على الجسر ببغداد عقاباً له وتنكيلاً » .

(١) الضّنا : يقصد المرض ـ النكس : الانتكاس ( عودة المرض ثانيةً ) .

# ابن زيدون

هو أبو الوليد أحمدُ بن عبد الله بن زيـدون ، ولد في قـرطبة في بيت عزٍّ وفقه وأدب . وكان لأبيه الفقيه الكنبير أثـرٌ هامٌّ في نشـأة الابن العلمية الثقافية ، وكذلك نهل الشاعر من مَنـاهل علماء وعلوم عصـره حتَّى أصبح من أساطين الفكر والأدب في ذلك العصر .

وكان للشـاعر صلاتٌ وثيقةٌ بأبي الحزم بن جَهْوَر الـذي لقبه « بـذي الـوزارتين » ؛ ثمَّ بـالخليفة المستكفي الـذي جذبتـه ابنتـه « ولاَّدة » إليهـا فعشقها وهام بها ، وقضى الاثنان مَعَاً أحلى أيـام الحب وأغنى ليالي الهـوى الى أن صَدَّت ولادة ومالت الى الـوزير أبي عـامر بن عَبْـدُوس الذي تلقَّى من الشاعر « الرسالة الهزلية »[1] التي سخرت منه على لسان الحبيبة فَسَعَى الوزير في سبيـل سجنه وَتَمَّ الأمـرُ وأمضى فيه الشاعر ما يقربُ مِنْ سَنَتيْنْ

(١) لابن زيدون مجموعة رسائل أشهرها اثنتان : الـرسالـة الهزليـة التي كتبها عن الوزير أبي عامر بن عبدوس ساخراً فيها منه على لسـان حَبِيْبَتِهِ والـرسالـة الجديـة التي كتبها الى أبي الحزم مُستعطفاً .

ينظم شعر الحب والنجوى والعتاب ويكتب مسترحماً مستعطفاً دون جدوى .

ومن سجنه يرسل الشاعر لأبي الحزم بن جهور عتابه : الرقيق :

حمائمُ شكوى صبَّحتك هَوَادِلاً
تُناديك من آداب أفناني الهُدْلِ[1]

أفي العدل أن وافَتْك تَتْرى رسائلي
فلم تَتّرِك وضعاً لها في يَدَيْ عَدْلِ

وما ذاك وعد النفس لي منك بالمُنَى
كأني به قد شمت بارقة المَحْلِ

ومثلِيَ قد تهفو به نشوة الصِّبا
ومثلك قد يعفو ومالك من مثلِ

وإني لتنهاني نُهايَ عن التي
أشار بها الواشي ويعقلني عقلي

ومن قصائده الرائعة التي نظمها في السجن سينيَّتُهُ التي بَعَثَ بها الى صديقه أبي حَفْصٍ بن بُرْد وهي الغنيَّةُ بجانب « فلسفيٍّ » حياتيٍّ ينمُّ على خبرة الشاعر الكبيرة بالنفس الإنسانية :

ما على ظنيَ باسُ
يجرح الدهر وياسو

رُبَّما أشرف بالمرء على
الآمال ياسُ

---

(١) الهوادل : جمع الهادلة الحمامة ذات الهديل ـ الهُدَّل : جمع الأهدل : الغصن المُتدلّي .

ولقد يُنجيك إغفالٌ
ويُرْديك احتراسُ
والمحاذيرُ سِهَامٌ
والمقاديرُ قياسُ
ولكم أجدى قعودٌ
ولكم أكدى التماسُ
وكذا الدهر إذا ما
عزَّ ناسٌ ذلَّ ناسٌ

وفي القصيدة نفسها يشكو الشاعر ممَّن صَدَّ وخان العهد وأضحى أَشْبَهَ بذئبٍ هَمُّه النَّهْشُ

ما نرى في معشرٍ حالوا
عن العهد وخاسوا
أذْؤبٌ هامت بلحمي
فانتهاش وانتهاسُ [1].
كُلُّهم يسأل عن حالي
وللذئب اعتساسُ [2].

ويتابع الشاعر شكواه من الدَّهر والنَّاس والسجن الذي أَمَضَّه وآلمه والألم أذكى شاعريته وحرَّك أعماق نفسه وجعله ينظم عن شعورٍ مُتأجِّجٍ وتجربةٍ نفسيةٍ عنيفة صادقة :

---

(١) نَهَسَ اللحم : أخذه بمقدَّم أسنانه ونتفهُ.
(٢) اعتسَّ : طافَ بالليل .

إن قَسَا الدَّهْرُ فَلِلْمَا
ءِ من الصخر انبجاسُ[1]

ولئن أمسيْتُ محبو
ساً فللغيث احتباسُ

يلبد الورد والسَّبنْتَى
وله بَعْدُ افتراسُ[2]

فتأمَّل كيف يغشى
مقلة المجد النُّعاسُ

ويُفَتُّ المسكُ في التر
بِ فيُوطا ويُداسُ

لا يكن عهدُك ورداً
إن عهدي لك آسُ[3]

وأدر ذكريَ كأساً
ما امتطت كفَّك كاسُ

واغتنم صفو الليالي
إنَّما العيش اختلاسُ

وعسى أن يسمح الدَّهرُ
فقد طال الشِّمَاسُ[4]

ويعود الشاعر الى الامير ابن جهور فينظم له في سجنه قصيدة مدحٍ وشكوى وقد اسْتَبَدَّ به سوءُ الحال ·

---

(١) انبجاس : تفجُّر يخرج معه الماءُ .
(٢) الورد : من اسماء الاسد ـ السَّبَنْتَى: الجريء ـ ويَلْبُدُ : يَلْصقُ مُلازماً عرينهُ .
(٣) الآس : دائم الخضرة والورد يذبل بسرعة .
(٤) الشماس : التمرُّد ـ الامتناع ـ شمَسَ الفَرَسُ : شموساً وشماساً مَنَعَ ظهره .

الهوى في طلوع تلك النجوم

والمُنى في هبوب ذاك النَّسيم

سَرَّنا عيشُنا الرقيقُ الحواشي

لو يدوم السرور للمستديم

وطَرٌ ما انقضى الى أن تَقَضَّى

زَمَنٌ ما ذمامه بالذَّميم

وغريض الدَّلال غضٌ ، جَنى الصَّبْوَة

نشوان من سُلاف النعيم

أيُّها المؤذي بظلم الليالي

ليس يومي بواحدٍ من ظلوم

وإليه ألأسل أيضاً من سجنه قصيدة أخرى تَفِيض بالذكريات الدافئة وشكوى السجن المرير الذي جرَّعه مُرَّ الليالي وعلقم الأيام فبات يكابد الهمَّ الذي.وَخط فُوْدَيْهِ شَيْبُه وهو في عنفوان شبابه :

ما جال بعدكِ لحظي في سَنَا القمر

إلا ذكرتُك ذكر العين بالأثر

نباهيك من سَهَرٍ بَرْح تألَّفهُ

شوقٌ الى ما انقضى من ذلك السَّمرِ

من يسأل الناس عن حالي فشاهِدُها

محضُ العَيان الذي يُغني عن الخَبَر

لم تطوِ بُرْدَ شبابي كبرةٌ وأرى

برق المشيب اعتلى في عارضِ الشعر

إن طال في السجن إيداعي فلا عَجَبٌ

قد يُوْدَعُ الجفنَ حَدُّ الصَّارم الذكر

وإن يُثبِّط أبا الحزم الرضى قَدَرٌ
عن كشف ضُرِّي فلا عَتْبٌ على القَدَرِ

والشاعر القابع في سجنه يقتات الآلام والأحزان ، تعودُه ذكرياتُ الامس أمس الحب والشباب الذي عاشه في ربوع قرطبة الجميلة التي لم تُفارق صورتها الزاهيةُ مخيلته وهو الذي رزأه الزمن فَصَبر على رزئه ورشقته الليالي بنبال نوائبها فَأَرِقَ تنهشه الهموم في ليلٍ طويلٍ مديد :

تنشَّق من عَرْف الصَّبَا ما تنشَّقا
وعاوده ذكر الصِّبَا فَتَشَوَّقا
وما زال لمعُ البرق لَمَّا تألَّقا
يُهيب بدمع العين حتّى تدفَّقا

***

رمتني الليالي عن قسيّ النوائبِ
فما أخطأتني مرسلات المصائبِ
أُقضِّي نهاري بالأماني الكواذب
وآوي الى ليلٍ بطيء الكواكبِ

وينادي قرطبة الغَرَّاء بصوت أبحَّ خارجٍ من الاعماق التي تموجُ بالوجد والحنين :

أقرطبةُ الغَرَّاء هل فيكِ مَطْمَعُ ؟! . .
وهل كبدٌ حَرَّى لبيْنِكِ تنفعُ
وهل لليالیك الحميدة مرجعُ
إذ الحُسْنُ مرأى فيكِ واللهو مسمعُ

ويُفيق الشاعر من نشوة الذكرى وتفيق معها مشاعر الافتخار والاعتزاز فيتابع قصيدته مُعَبِّراً عن عَثْرة حظه وغنى ثقته بحريَّة قادمةٍ إليه في الغد القريب إذ أن لِكلِّ أمرٍ بدايةً ونهاية :

أإخواننا للواردين مصادرُ
ولا أوّل إلاَّ سيتلوه آخِرُ    وإني لإعتاب الزمان لناظِرُ
فقد يستقبل الجدَّ والجَدُّ عَاثِرُ

وفي القصيدة نفسها يُشبِّه نفسه وهو مغيَّبٌ في سجنه ، بالشمس التي تُحجب في يوم الدَّجن[1] وبالسيف العضب[2] في جفنه[3] وبالأسد في غابة ، وبالصَقْرِ في وكْنه[4]

ولا يغظ الاعداء كونيَ في السجنِ
فإني رأيت الشمس تُحْصَنُ بالدَّجن
وما كنت إلا الصارم العضب في جفنِ
أو الليث في غابٍ ، أو الصقر في وَكنِ

ويمرُّ الزمن ويطول أَمَدُ السجن والشّاعر يقضي فيه زهوة العمر والشباب لم تُفِدْهُ قصائده المُرسلة ورسائله الموجَّهَة ، فَفَكَّرَ بالهَرَبِ وفرَّ موفَّقاً الى إشبيلية حيث كرَّمه أميرها المعتضد » وجعله وزيراً له . وبعد وفاته زاد ابنه « المعتمد » في تكريمه فجعله نديمه في شرابه ولهوه ، ومن إشبيلية أرسل الشاعر الى محبوبته « ولّادة » رائعته الخالدة التي وَضَعها

---

(١) يوم الدجن : هو اليوم الذي يُلبِسْ فيه الغيمُ الارضَ والسماء ويكثر فيه المطر .
(٢) العضْبُ : القاطع ـ الضارب .
(٣) الجفْن : يقصد : غمدَ السَّيف .
(٤) الوكن : عُشُّ الطائر .

المستشرقون في مَصَافّ روائع الشعر العالمي واهتمّوا بترجمتها لسموّ مشاعرها وتنوّع معانيها وعذوبة لفظها ورقّة تعبيرها :

أضحى التَّنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ويطفح في أعماق الشاعر الحنين الى ولّادة وهو البعيدُ عنها ، المُشتاق إليها ، فَراحَ مُخاطراً مُتخفِّياً في سبيل رؤيتها ، الى ضاحية الزهراء بالقرب من قرطبة ومنها نَفَحها قصيدته المشهورة :

اني ذكرتُك بالزهراء مشتاقاً
والأفق طَلْقٌ ووجه الأرضِ قد راقا

ولَمَّا نَفَدَ صبره ولم تكتحل عيناه التائقتان برُؤيةِ ولّادة رجع أدراجه من حيث أتى ، والأسى يحزُّ في النفس المتوقدة وجداً وشوقاً . وفي دروب العودة نَثَر أرق المشاعر في قصائد رائعة ساحرة .

عاد الى إشبيلية مكلوم الفؤاد حزيناً يشتدُّ عليه هُيامه وشوقُه الى قرطبة ، والحبيبة التي تقطنها :

هل تذكرون غريباً عَادَهُ شَجَنُ
من ذكركم وَجَفَا أجفانَهُ الوَسَنُ ؟

وبعد مَرَضٍ أثقل كاهل الشاعر توفي ابن زيدون . وأما ولّادة فقد تَنَاسَتْهُ بعلاقتها[١] مع ابن عبدوس إذ بقِيَا يَتَساقيان كؤوسَ الهوى مُترعَةً حَتّى نيَّفا على الثمانين من العُمُر .

---

(١) بعض الادباء وصف هذه العلاقة بالعفّة ؛ ورأى أيضاً أن علاقاتها مع عاشقيها لم تكن تتجاوز الأحاديث العذبة وتبادل القريض والدُّعابات اللطيفة البريئة .

# المعتمد بن عبَّاد

هو ابن المعتضد العبادي صاحب إشبيلية ، كان شاعراً يتَّسِمُ بالنبوغ والعبقرية ، وهو الذي جعل بلاطه مَوْئِلَ الشعراء ، وكان رجلَ حروبٍ وأعظم ملوك الطوائف في الأندلس وهو شاعر النعيم قبل أسره وشاعر الهموم والذكريات بعده .

وفي النزاع بين المعتمد وبين يوسف المرابطي ابن تاشفين صاحب مراكش ينهزم الملكُ الشاعر ويُؤسَرُ ويُحمل مع ذويه الى أغمات قرب مراكش التي ظلَّ فيهاحتىَّوفاته في دارٍ من الطين خُصِّصت له تحت أغصان النخيل .

وفي أسره نظم المعتمد شعراً وجدانياً نابعاً من أعماقٍ جائت فيها عواطف إنسانية شتىَّ .

ولَمَّا قُبض عليه قال :

قالوا : الخضوعُ سياسةٌ
فَلْيَبْدُ منك لهم خضوعُ

وألــذُّ مــن طــعــم الخــضــوع
عــلى فــمــي الــسُّــمُّ الــنــقــيــعُ

... ويستقرُّ الشاعر في أسره والقيود في ساقيه ويدخل عليه ابنه « أبو هاشم » ليراه في هذه الحلى ، فيقول المعتمد مخاطباً قيده الذي اقتات من لحمه أن يرحمه ويرحم طفله وأخيَّات له سقاهن كأس الهم والعذاب :

قــيــدي أمــا تــعــلــمــني مُــسْــلِماً
أبــيــتَ أَنْ تُــشــفــق أو تــرحَــمــا
دمي شــرابٌ لــك والــلــحــم قــد
أَكَــلْــتَــهُ لا تَــهْــشِــم الأعْــظُما
يُــبــصــرني فــيــك أبــو هــاشــمٍ
فَــيَــنْــثَــني الــقــلــبُ وقــد هُــشِّــمَا
ارحــم طــفــيــلاً طــائــشــاً لُــبُّــهُ
لم يخش أن يــأتــيــك مُــسْــتــرحِــمــا
وارحــم أَخــيَّــات لــه مــثــلــه
جــرَّعْــتَــهُــنَّ الــسُّــمَّ والــعــلــقــما
مِــنْــهُــنَّ مــن يــفــهــم شــيــئــاً فــقــد
خِــفْــنــا عــلــيــه لــلــبــكــاء الــعَــمَــى
والــغَــيْــرُ لا يــفــهــم شــيــئــاً ، فَــمَا
يــفــتــح إلَّا لــرضــاعٍ فَــمَا

... ويرى الشاعر قُمريةً أمامها وَكْرٌ فيه طائران يَصْدَحانِ ، فيهيج المنظر الشاعرَ المأسورَ الحزين فيبكي طفلاً صغيراً أو خليلاً منكوباً أو عزيزاً راحلاً :

بـكـت أن رأت إلـفـيْنِ ضـمَّـهـما وَكَـرُ
مـسـاءً ، وقـد أَخْنَى عـلى إلْفهـا الـدَّهْـرُ
ونـاحت وبـاحت فـاسـتـراحت بـسـرِّهـا
ومـا نـطقـت حـرفـاً يـبـوح بـه سِرُّ
فـمـالي لا أبـكـي أم الـقـلبُ صـخـرةٌ
وكـم صـخـرة في الأرض يجـري بها نَهْرٌ
بـكـت واحـداً لم يشْـجُهـا غـيْرُ فـقْـدِه
وأبـكـي لألَّاف عـديـدُهُـمُ كُـثْرُ
بُـنَيٌّ صـغـيرٌ أو خـلـيـلٌ مُـوافِـقٌ
يُمـزِّق ذا فـقـرٌ ويُـغـرق ذا بَـحْـرُ
ونـجـمـان زيـنٌ لـلزمـان ، احـتـواهمـا
بـقـرطـبـةَ الـنـكـراء أورنـدةَ ، الـقـبـرُ
غـدرتُ إذاً إن ضـنَّ جـفـني بـقـطرةٍ
وَإنْ لَـؤُمَتْ نـفسي فَـصَـاحَـبَـهـا الـصَّـبْـرُ
فَـقُـل للـنجـوم الـزهـر تـبـكـيهـما معي
لِمـثْـلِهـما فَـلْتَـحْـزَنِ الأنْـجُـمُ الـزُّهْـرُ

. . . ودخـل عليه بنـاتُهُ وهـو في الأسر ، وكان اليـوم يوم عيـدٍ ، وَكُنَّ يغزلْن للناس بالأجرة في أغمـات ، وقيل : إن إحـداهُنَّ غزلت لبيت صاحب الشرطة الذي كان في خدمة أبيها وهو في سلطانه .

دَخَلْنَ عليه في ثياب بالية وَهَنَّ يَتَضوَّرن جوعاً فَكَاد قلبه ينفطر حزناً فأنشد يتـذكر الأمس القـريب إذ القصور تـرقص في الأعياد فَـرَحاً وغبـطةً وانشراحاً فيـرقص القلب معها طـرباً وبشـراً ، ويُفيق من حُلُمه إذ يقـرع العيد باب الأسر المُوصد وليس هنـا غيرِ الهُموم والاشجان . ويفـرك عَيْنَيْهِ

بعد رحلة الذكرى فيُدرك أنه اليوم السجين المكلوم الذي كان بالأمس المُنصرم الامير الرَّافل في الرَّخاء والنعيم ، ويُهدِّىء من روعه إيمانه بأن كل شيء في هذه الدنيا الى زوال لا مُلْك يبقى ولا حاكمٌ يخلد :

في ما مَضى كنتَ بالأعياد مسرورا
فجاءك العيدُ في أغماتَ مأسورا
ترى بَناتِك في الأطمار جائعةً
يغزلن للناس ، ما يَمْلِكْنَ قِطميرا[1]
برزْن نحوك للتسليم خاشعةً
أبصارُهُنَّ ، حسيرات مكاسيرا[2]
يَطأْنَ في الطين والأقدامُ حافيةٌ
كأنها لم تَطَأْ مسْكاً وكافورا
لا خَدَّ إلاَّ تشكَّى الجَدْبَ ظاهِرُهُ
وليس الا مع الانفاس ممْطُورا [3]
قد كان دهرُك إن تأمره مُمتثلاً
فَرَدَّك الدهر منهيَّاً ومأمورا
من بات بعدك في مُلْكٍ يُسَرُّ بِهِ
فإنَّما بات بالأحلام مغرورا

هذا ما قاله المعتمد في أسره مُعبِّراً عن تجربة السجن بآلامها ومُرِّها وعذابها ، وذلك بشعرٍ وجداني إنساني عذب فيه صدقُ المُعاناة وفيضُ العواطف وروعة المعاني وسهولة التعبير وسلاسته .

---

(١) الأطمار : الثياب البالية ـ القطمير : القشرة الرقيقة ويقصد الشيء الزهيد .
(٢) حسيرات : مُتحسِّرات ـ مكاسيرا : حزينات .
(٣) ممطورا : مُغطَّى بالدمع ( يسحُ الدمعُ عليه ) .

# القاضي أبو محمد بن الزبير )

شاعرٌ مُكثِرٌ فصيحُ العبارة مُحْكَمُ الشعر وهو من مواليد أسوان في صعيد مِصْرَ في مطلع القرن السادس للهجرة .

... وكان للقاضي المهذب أخٌ اسمه القاضي الرشيدُ أحمدُ[1] ذهب الى اليمن ، وقيل إنَّهُ ادَّعى الخلافة هناك فحبسه الداعي الفاطميّ . واتفق أيضاً أن القاضي المهذَّب كان في اليمن فحُبس أيضاً .

ومن السجن بعث الشاعر الى الداعي الفاطمي قصيدةً طويلةً يمدحه فيها ويستعطفه ، ومن هذه القصيدة :

يا ربعُ ، أين ترى الأحبَّة يمَّموا
هل أنجدوا من بعدنا أم أتْهَمُوا ؟[2]

رَحَلوا وقد لاحَ الصباحُ، وإنَّما
يسري - إذا جنَّ الظلامُ - الأنجمُ[3]

(١) خريدة القصر وجريدة العصر ( قسم شعراء مصر ) الجزء الاول : ٢٠٤
(٢) يمموا : قصدوا ، أنجدوا : جاؤوا الى نجد - أتهموا : جاؤوا الى تهامة .
(٣) يسري : يمشي في الليل ويقال : السُّري : المشي في الليل .

إني لأذكُركُمْ إذا ما أشرقتْ
شمسُ الضُّحى من نحوكم فأسلِّمُ
لا تبعثوا لي في النسيم تحيةً
إني أغارُ من النسيم عليكمُ
إني امرؤٌ قد بِعْتُ حَظِّيَ راضياً
من هذه الدنيا بحَظّي منكُمُ
فَسَلَوتُ إلَّا عنكُمُ وقنعتُ إلـ . . .
. . . ـلا منكُمُ ،وزهدتُ إلَّا فيكُمُ[1]
أُثني عليكَ بما مَنَنْتَ وأنتَ من
أوصافِ مَجْدِك ، يا مليكاً ، أعظمُ[2]
فاغفرْ ليَ التقصيرَ فيه وَعُدَّهُ
مَعَ ما تجودُ به عليَّ وتُنعمُ
مَعَ أنني سَيَّرتُ فيك شوارداً
كالدُّرّ بل أبهى لدى مَنْ يَفْهَمُ[3]
وإذا المآثرُ عُدِّدَتْ في مَشْهَدٍ
فَبِذِكرها يُبْدَاالمقال ويُخْتَمُ[4]
وإذا تَلاَ الراوون مُحْكَمَ آيِها
صلَّى عليكَ السامعون وسلَّموا[5]

. . . ثُمَّ نَجَا الأخوان من السجن ورجعا الى مِصْر ولكن لم يَنْجُوا

---

(١) سلا : نسيَ .

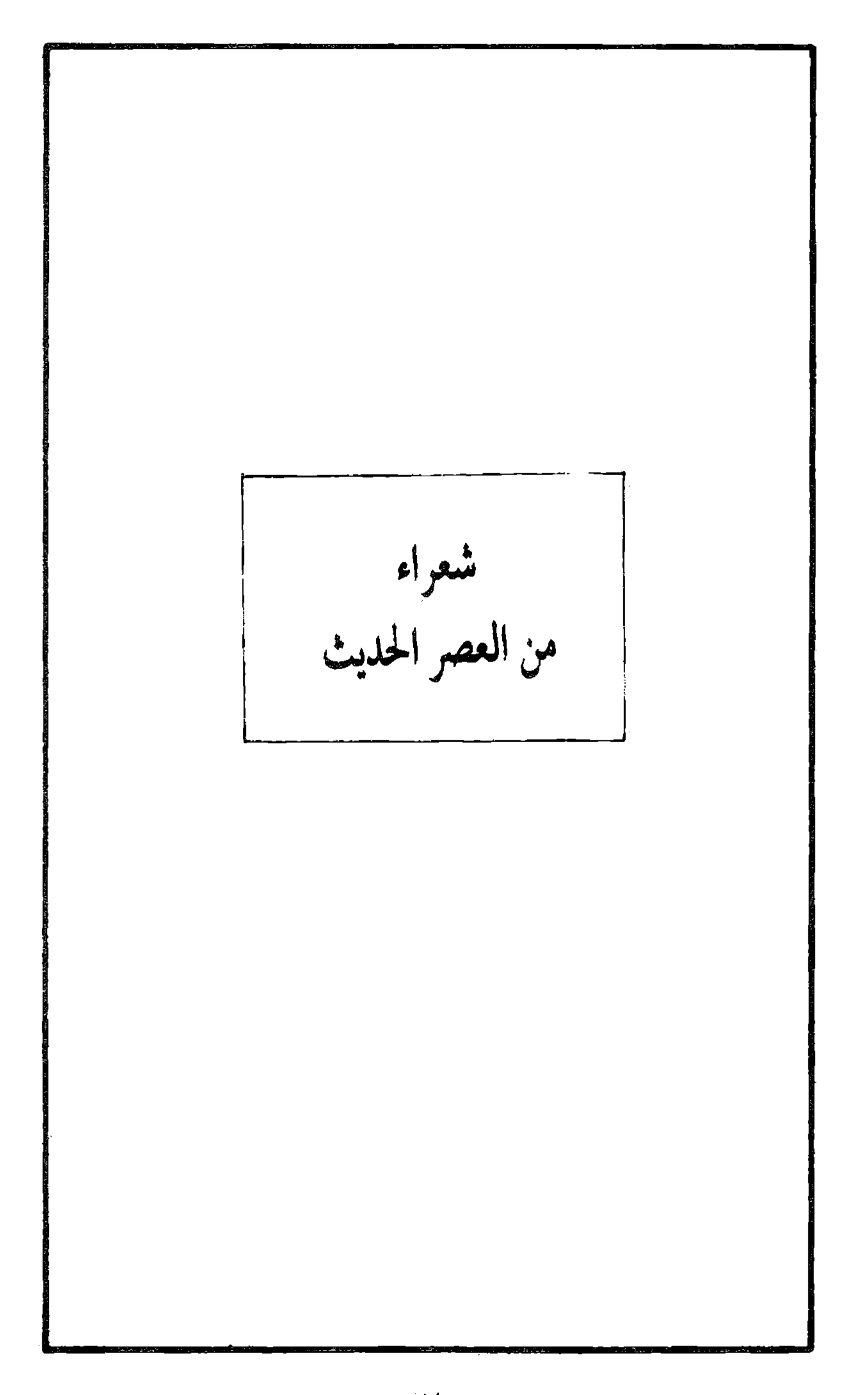
(٢) بما مَنَنْتَ : بما أنعمت .

(٣) الشوارد : القوافي ويقصد : القصائد الغرّ .

(٤) المآثر : الاعمال المجيدة .

(٥) آيها : آياتها : أبياتها الجميلة الرائعة .

من الاضطهاد وبعد أن وزر شاور للعاضد الفاطمي اتُّهم الأخوين بالعداء للدولة وله وحبسهما ، أمَّا القـاضي المُهذَّب فـاستشفع بـالملك الكامـل بن شـاور وخرج من السجن ، ولكن لم يعش بعـد ذلك طـويلاً . وأمَّـا أخوه القاضي الرشيد فقد قَتَلَهُ شاور .



# شعراء
# من العصر الحديث

# محمود سامي البارودي

عُرف الشاعر بعزَّة النفس وسمو الخلق وعلوّ الهمَّة ، وكان شجاعاً مخلصاً لعمله مُتواضعاً ، رقيق المُعْاشرة .

وهو من بلدة « البارود » في مصر وممَّن عاصروا الخديوي اسماعيل الذي أرسله الى « فرنسة » للاطِّلاع على بعض القضايا العسكرية وبعد عودته عُيِّنَ ناظراً ( وزيراً ) للأوقاف ثم الحربية .

ولمَّا شَبَّت الثورة العرابية أسهم البارودي فيها وكان من قادتها[1] وأخفقت الثورة وقُبض على زعمائها وأودعوا السجن وَمَنْ بينهم الشاعر الذي كان سجنه تجربةً مريرةً مرَّ بها قبل نفيه الى « سرنديب » .

.. وفي سجنه وبين جدران اربعة وخلفَ بابٍ مُوصدٍ وحيث الوحدة القاتلة والغربة المُوحشة ، استلقى الشاعر يلفُّه ظلامٌ حالكٌ في ليالي مديدة تطعمه الهموم والاحزان والوجد والسُّهاد فيبقى يرقب صبحاً يُخلِّصُهُ من غمِّهِ ، طال انتظاره ، وسها انبلا جه :

---

(١) إن شعره يصوِّر تردّده في هذا المجال .

شــفَّــنِي وجــدي وأبــلاني السَّــهَــر
وتــغــشّــتــنِي ســمــاديــرُ الــكــدرُ[1]

فــســواد الــلــيــل مــا إن يــنــقــضــي
وبــيــاض الــصــبــح مــا إن يُــنــتــظرْ

لا أنــيــسٌ يــســمــع الــشــكــوى ، ولا
خَــبَــرٌ يــأتي ، ولا طــيــف يَمُــرُّ

بــين جــدرانٍ وبــاب مُــوْصَــدٍ
كــلَّما حــرَّكــه الــسَّــجَّــان صــبــر

يــتــمــشّى دونــه ، حــتّى اذا
لحــقْــتُــه نــبــأةٌ مــنّي اســتــقــر

كُــلَّما درْتُ لأقــضــي حــاجــةً
قــالــت الــظلمــةُ : مــهــلاً لا تَــدُرْ

أتــقــرَّى الــشــيء أبْــغــيــه فــلا
أجــدُ الشي ، ولا نــفــسي تــقــر

ظــلــمــةٌ مــا إن بهــا مــن كــوكــبٍ
غــيرُ أنــفــاس تــرامــى بــالــشَّــرر

وماذا أمام الشاعر غيرُ صبره ؟ فيُهيب بنفسه أن تُقِرَّ بقدرِها المحتوم وتصبر في محنتها فالصَّبْرُ مفتاح الظَّفر بانعتاقه وتحرُّره من سجن العذاب .

فــاصــبــري يــا نــفس ! حــتّى تــظفــري
إن حــســن الــصــبــر مــفــتــاح الــظَّفــرْ

هــي أنــفــاسٌ تَــقَــضّى ، والــفــتى
حــيــثــما كــان ، أســيرٌ لــلــقَــدَر

---

(١) السَّمادير : ضَعْفُ البصر ، وغَشْيُ الدُّوار ، والنُّعاس ( القاموس المحيط : الجزء الثاني الصفحة ٥٢ ـ السَّطر : السَّابع ) .

# أحمد الصَّافي النَّجفي

الشـاعـر من القـطر العـربي العـراقي وَممَّن عـاشـوا فتـرةً طـويلة في سورية . وفي سنة ١٩٤١ ألفٍ وتسعمئةٍ وواحدٍ وأربعين اعتقلته السلطات الانكليـزية وألقت بـه في غياهب السجن الـذي نظم فيـه قصائـد تتحدَّى السلطات الاستعمارية وتُعظِّم البطولات الـرائعة والتضحيـات الجسيمة في سبيل الحريَّات المقدَّسة حرية الأوطان الغاليـة وفي هـذه القصائـد معانيُ شعـريَّة جميلة وصـورٌ حلوةٌ فَرَّت من بـين جدران مُـوْحشة وعتمـات ليالٍ طويلة قاسية

يقول الشاعر الصَّافي في بدء قصة السجن الأليمة :

رمـونـا كـالـبـضـائـع في سـجـونٍ
وعـافُـوا ولم يُـبْـدوا اكـتـراثـا
رمـونـا في الـسـجـون بـلا أثـاثٍ
فـأصـبـحـنـا لـسـجـنـهـم أثـاثـا

ويقول مُرحِّباً مفتخراً بسجنه الذي يحمل معنىً قومياً سامياً ، إذ

السَّجانُ سلطةٌ استعمارية جاءت تُدنِّس ارض الوطن الغالي وترابه المقدَّس ، وهي رمزُ الخِسَّة والنذالة :

أهلاً بِسِجْنِي لشهرٍ أو لأعوامِ
فإنَّما يوم سجني تاجُ أيَّامي
قَضَّيْتُ حُرّاً ، حقوق النفس كاملةً
واليوم في السجن أقضي حق أقوامي
إن يسجنوني فجرمي يا له شرفاً
أنّي أحارب قوماً أهل إجرامِ
مُحَمَّدُ كَسَّرَ الأصنام شامخةً
من لي بتكسير « لورداتٍ » كأصنامِ
يكفيهمُ حِطَّةً أن ليس يتبعهم
منَّا سوى كل منحطٍّ ونمَّامِ
يا دولةً يتساوى في نذالته
جنديُّها الفَدْمُ في مندوبها السَّامي[1]

وأمَّا نصيبُ الشاعر من سجنه فكانَ غرفةً عاريةً جرداءَ افترشَ أرضَها ، والتحف غطاءً بالياً مُتَّسِخاً ينتثرُ منه في فمه وَبْرُه وغُباره :

سَجَنوني في غرفةٍ قد تعرَّت
فكأني سجنت وسط قفارِ
جاعلاً من ترابها لي فراشاً
وغطاءً يلفُّني من غُبارِ
ثُمَّ زادوا على الغبار غطاءً
من نسيجٍ مُضَعْضَعٍ مُنْهَارِ

(١) الفَدْمُ : الغبيُّ والغليظ الاحمق الجافي .

ثم يُكمل الصّافي الصُّورة :

فـإذا نمـتُ يـكـتسي مـنـه وجـهـي
بـغـريـب الأصـواف والاوبـار
فَـتَـرَاني في الـصـبـح أمـضـغ شـعـراً
وتـرابـاً بـرغـم حـلـقـيَ ، سـارِ
فـكـأنّي أكـلـتُ نـصـف فـراشي
وكـأني شـربـت نـصـف دثـارِ
وكـأني والـصـوف كـلَلٌ وجـهـي
نـوعُ وحشٍ مـا مَـرَّ بـالأفـكـارِ

.. وفي هـذه الغرفـة المظلمـة سُجِن الشـاعـر ولم يكن ذنبـه إلّا أن يُسخّر كلمته في سبيـل بلاده مُـدافعاً عنها ضد طغمـةٍ استعماريـة حاقـدةٍ طامعةٍ بالوطن وخيراته مُستخدمةً عملاءها الانذال الأخسَّاءَ سَجّانين عُتَـاةً ضد الوطنيّين الاحرار المؤمنين بالوطن ، السَّاخـرين بالسجن والسَّجـان في سبيله .

فَمَتَى إذاً يَحْلُو السجن ؟ يُجيب الصّافي : عندما تكون خدمة الوطن سببه :

حُـبسـت وضـاق الحـبسُ بي حـين زُجَّ بي
الى غـرفـةٍ ظـلـماء محـكـمـة الـسَـدِّ
فـقـلـت : عَـلاَمَ الحـبس ؟ لا أنـا سـارقٌ
ولا آثـم عـمـداً ولا دون مـا عـمـدِ
فَـجَـاء دنيٌّ بـاعَ عـزَّ بـلاده
لـيشـتـريَ الـنَّـزْرَ الخسيسَ مـن الـرفـدِ

أتى لابسـاً تحت السَّواد من الدُّجى
سـواداً على قـلب ، سـواداً عـلى جـلدِ
جرى مسـرعـاً ينسـاب نحـوي مُبـاغِتـاً
كصـلّ أتى من فـوهـة الحـجـر الصَّـلْدِ
وراح يـصبّ الـسُـمَّ مـن فـيـه نـاقـعـاً
عـلى أذن تـستقبـل الـسُـمَّ كـالـشـهـدِ
مَضى شـارحـاً ذنـبـي ، إذا الـذنـبُ أنَّني
خـدمت بـلادي ، قلت ويحـك من وغـدِ
فـإنَّـك قـد أَلْـبسـتْني تـاج سـؤددٍ
ومـلَّكـتـني عـرش الـفـخـار بـلا قـصـدِ
فـيـا لـك مـن نـذل كـريـمٍ تجـود لي
بتـاج العـلا يـزهـو وقـد عشت تستجـدي
ولمَّـا رأيـت الـذنـب خـدمـة مـوطـني
حَـلاَ الـسجنُ حَـتَّى خِـلْتُـهُ جَـنَّـة الخـلدِ

وفي سبيل الوطن يتحمَّل الشاعر قساوة السجن وفيه يَحْيا زَمَناً نفسيًّا مُمِضّاً لَيْلُهُ طويلٌ لا يأتي إلَّا بالهموم والأحزان يُلقيها فوق صدره ولا يُنذر إلَّا بالنوائب والخطوب .

نهاري مـن عـبـوس الـسـجـن لـيـلٌ
ولـيـلـي ألـفُ لـيـلٍ مـن الـكـروبِ
ألا يـا لـيـلُ لـيـتـك لم تُـسـارع
ولـيـتـك ضـعـت في أقصى الـدروبِ
تـسـارع في خـطاك إليَّ شـوقـاً
مُـسـارعة الـمحـب الى الحـبـيـبِ

وتُلقي كُلَّ رحلك فوق صدري
وتجثم فوق قلبي كالخطوبِ
ألا يا ليلُ كم لك من خطوبٍ
وكم لك في الجوانح من نُدوبِ
فكم وسعت ثيابك من أفاعي
هموم مُتلقاتٍ بالدُبيبِ
ألا يا ليلُ حسبك ليلُ سجني
وحسبك عن كروبك لي كروبي

ويتوق الشاعر للحريَّة ، ولكن لا يرجو الخروج من السجن إلا لَيَرى بأم عينيه نهاية المستعمر الغادر ، وفرحةَ الشعب الكبرى بتحرُّره الذي انتزعه أبناء الوطن الأحرار من أيدي المستعمرين الطُّغاة

ولقد سجنت بكفٍّ أَجْبنِ أُمَّةٍ
بالرجل تركض للممات وباليد
ما رُمْتُ من سجني الخروج مسارعاً
إلَّا لأنظر كيف موت المعتدي

والصَّافي سُجنَ بسبب أفكاره الحُرَّة المؤمنة بالوطن وقد سيَّته ، والفكر الحُرّ صعبٌ أن يُسجن وإن سُجن صاحبه والسجن لا يضيق بالفكر الحُرّ الذي يستهين به ؛ وإنَّما الكون بَرحابته يضيق بمن ضاق عقلاً :

فكري الحُرُّ أودعَ السجن جسمي
واعتزازي قد كلَّف النفس ذلا
غير أني وإن سجنت ففكري
سائحٌ في الوجود والنفسُ جذلى

لا تضيقُ السُّجونُ بالفكرِ رَحْباً
والفضا ضَيِّقٌ بمن ضاق عقلا
ان كل الأغلال في يَدِ حُرٍّ
لا تُساوي في مُوْثَقِ الفكر غُلاَّ

. . . والفكر الحُرُّ الذي يُجَرِّمُ عقوبة السجن وتعذيب المُناضلين في سبيل شعوبهم وتحقيق أمانيها القوميَّة .

أيُحبس من يُجرِّم أيَّ حَبْسٍ
وكُلُّ مُنَاهُ تحرير الشعوبِ
فما أرضى ولو في الخُلْدِ حَبْساً
ولو ما بين أزهارٍ وطيبِ

. . . وأخيراً اشتدَّ المرض على الشاعر في سجنه واستغاث من دائه دون مُجيب ، وعامله الانكليز معاملةً قاسية لم يكن فيها إلاَّ التعليل وعن مَرَضه قال :

سجنت وقد أصبحت سلوتي
من السقم ، عدّيَ للأضلعِ
أعالج بالصبر برح السقام
ولكنْ علاجي لم ينجعِ
أتاني الطبيبُ وولَّى سدىً
وراح الشفيع فلم يشفعِ
وكم قيل مَدِّد مدى الاصطبار
ومهما عَرَاكَ فلا تجزعِ
وكم ذا أمدُّ مدى الاصطبار
فإن زدت في مَدِّه يُسقَطعِ

وَلَمَّا بكى ساجني رحمةً
أجابوا التشفع للأدمعِ

... ثُمَّ أُطلق سراحُ الشاعر بِمَسَاعي حكومة بَلَده .



# محمد مهدي الجواهري

هو من مواليد النجف ومن أسرة عريقة في العلم والأدب والشعر ، نَظَم الشعر في سنٍّ مُبكّرة ، تأثُّراً ببيئته واستجابة لموهبة كامنةٍ فيه ، وفي أواخر عام الف وتسعمئة وستة وثلاثين أصدر الشاعر جريدة الانقلاب » إثْرَ الانقلاب العسكري الذي قاده « بكر صدقي » وإذْ أحَسَّ الشاعر بانحراف الانقلاب عن أهدافه التي أعلن عنها بدأ يعارض سياسة الحكم فيما ينشر في هذه الجريدة ، فأخذت الحكومة تتحيَّنُ الفرصَ للإيقاع به ، وتمَّ لها ذلك ، وحكم عليه بالسجن وبإيقاف الجريدة عن الصدور[1] .

وفي سجنه نظم قصيدة[2] عبَّر في أبياتها الأولى عن نفسٍ لا ترهب تقلّبات الزمن الذي يُنعم ويشقي ويضحك ويبكي :

ماذا تريد من الزمان
ومن الرَّغائب والاماني

(١) الديوان : الجزء الاول ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٧٩

(٢) الجزء الرابع : ٢٦٥

أوَ كُلَّما شارقت من
آمالك الغُرّ الحسانِ
أُغْرِمْتُ بالآهات إغـ
ـرام الحنيفة بالآذان

وأمَّا السجن فيقول الجواهري خيرٌ أن تسمع به من أن تراه ، وهو دار الهموم والاحزان يُغيَّبُ فيها الرجال ويُحجبون عن الحياة الانسانية الحُرَّةِ الكريمة

دارٌ يَسيرُ لها صديقٌ او عَدُوٌّ بالبَنان
أهوى عليها ألفُ باكٍ وادَّعاها ألفُ باني
حَجَبوك عن لحظ العيو
ن تأنُّقاً لك في الصِّيَانِ
مثل «المُعيديّ» السما
عُ به أحبُّ من العيانِ

ويقول مُتهكّماً من سَجّانيه

سَبِّحْ بأنعُمِهم فأنـ
ـتَ بفضل ما أولَوْك جاني
صَلَّ الحديدُ على يديـ
ـك جزاء ما جنت اليدانِ
يا عابثاً بسلامة الـ
ـوطن العزيز وبالأمانِ
ومُفرِّقاً زمر اليهو
دِ طوائفاً كُلاً لِشانِ

إن الصحافة حُرَّةٌ
لكن على شرط الضَّمَانِ
سَبُّحْ بأنعُمِهِم وإن
عانيت منهم ما تُعاني
إن لم تُفدك عقوبةٌ
فَعَسَى تُفيد عُقُوبَتَانِ

# سليمان العيسى

هو من مواليد قرية « النعيرية » من قرى أنطاكية على نهر العاصي . قال الشعر وهو ما يزال صغيراً يرفُّ مع أترابه على ضفّتي النهر الخضراوين ونشأ في بيتٍ فقيرٍ على أرضٍ ساحرةٍ جميلة انتهت بالاغتصاب والضمّ[1] . وثار اللواء العربي في وجه المؤامرة التي فاقت كل الإمكانات .

. . . وغادر الشاعر مع عددٍ من رفاقه الى دمشق وفي مُخَيِّلته الشاعريَّة صورةُ ما حدث - زادُهُ إيمانه بوطنه وبشعبه الكادح وأمته التي تكابِدُ عَنَت المستعمرين الطُّغاة ؛ وسلاحه الكلمة المُكافحة الثائرة من أجل غدٍ عربيٍّ اشتراكيٍّ مُوَحّد .

. . . وفي فترةٍ من الزمنِ التقى الشاعرُ المناضل الوطنيٌّ المرحوم « الأرسوزي »[2] الذي كان له أثره في حياة العيسى ، والذي ذاق مرارة

(١) في ٢٩ تشرين الثاني من عام ١٩٣٨ سُلب اللواء العربي .

(٢) الأرسوزي : أحد أعلام النضال والفكر في « اللواء » . عاش ومات - بعد نزوحه - في دمشق - له مؤلفاته في الفكر والأدب والفن

السجن والجوع والغربة من مستعمرٍ مستبدٍّ وعميلٍ لـه دنيء . وفي قصيدة « الارسوزي » يقول الشاعر :

ومن حديد السجن لاحت يدُ
تخطُّ للجيل طريقَ الحياهْ
ومن حديد السجن لاحت يَدٌ
تُومىء أن الفجر لا بُدَّ آتْ

وأتمَّ الشاعر تحصيله الثانويَّ في دمشق والعالي في دار المعلمين العالية ببغداد ونال إجازة الآداب منها وعاد الى سورية ليعمل في حقل التدريس في حلب . وفي هذه الفترة كانت قد ظهرت للعيسى مجموعات شعرية تُغنّي الوطن وجماهير الأمة المسحوقة ؛ وتُلهب حماساتها في دروب النضال الوطني ضدّ قوى الاستعمار والرجعيَّة والتخلُّف .

إنَ سليمان العيسى شاعر الكادحين وشاعر جيل البعث في حقبةٍ من الزمن مريرة ، وإن شعره في هذه الفترة يُعبِّر بصدق المُعاناة عن آمال وآلام هؤلاء المضطَهدين وعن طاقاتهم الجبَّارة على النضال والثورة من أجل التحرير وبناء المجتمع الجديد : يقول العيسى :

غدي أجوب بلادي فيه منطلقاً
لا حاجزاً يتحدَّى ولا حَلَقاً

* * *

غدي ! سأحياك منذ اليوم مبتسماً
حسبي تمرُّ دجيلٍ في دمي اضطرما

* * *

غداً ولا بُدَّ أن يأتي الوجودَ غَدُ
وتنطفي ظلم الدنيا . . . ونَتَّقِدُ

. . . وفي سبيل مبادىء البعث التي آمن بها الشاعر والافكار التي غَنّى بها شعبه سُجن . وتبدأ قصة السجن من « النظارة » التي أُلقي فيها . وقصيدته « أبو ياسين » حارس النظارة » تُعبِّر في مقطعها الأوَّل عن إيمان الشاعر بشعبه ، وأبو ياسين واحدٌ من هذا الشعب المقهور الصَّافي الطيّب البسيط الذي يعامل مسجونيه بالرقة والابتسامة التي تُورق في أنفسهم الرَّاحة والانشراح :

تركت خمسون في جبهته
كُلَّ لونٍ من جراح العُمُرِ
صامتٌ كالدَّوح لم تخفق به
نسمةٌ كالخاطر المُستتر
رقَّةٌ تعرفها في والدٍ
شَطَّ عن أبنائه في سَفَر
وصفاءٌ هل تَأَمَّلْتَ الحَصَا
لامعاً في قاع أنقى الغُدُر ؟
وإشاراتٌ توارى لفظه
خلفها تندى بطيب الأثر
رُبَّ إيماءة نُبْلٍ صادقٍ
أورقت منها ضلوع الحجر
لم أعره من خيالي لمحةً
هو من شعبي إحدى الصُوَّر
هو مِمَّن نتغنَّى هَمَّهم
بين كأسٍ في الدُّجى أو وتر

. . . ويُحسُّ الشَّاعرُ بوحشة الاعتقال وبالسَّأم ينساب في النفس ، ويرى المأساة الحقيقية في مُصادرة الحريَّات رهنَ التوقيف ، وفي كمٍّ الأفواه التي تُغنّي أصواتها أنغام الحُبِّ والحياة .

يا أخا الوحشة يَنْهالُ الدُّجى
قِطعاً سُوداً بها في بصري
ليست المأساةُ قيداً أخرقاً
إنَّها لحظةُ روحٍ ضَجِرِ
إنَّها حريَّةٌ مغلولةٌ
أين لاحت خلف هذي الجُدُر
إنَّها أُنشودةٌ كُمَّتْ على
شفة العود ولم تنفجر

وتعودُ الشاعرَ في « نظارته » صور الأمس القريب التي يُلوِّنها الهوى والشعرُ والخمرُ والنَّديم :

يا أخا الظلمة والصمت أمَا
لأراجيع الهوى من خَبَرِ؟
أين من شاعرها شبابي
تُسكر اللَّيْلَ بلحنٍ عَطِرِ
وينام القمر السَّاهي على
رعشة الشعر وضوء القمر
أين من شاعرها كأسي التي
يلتقي فيها النَّدَى بالشَّرَرِ
يعرف النُّدْمان كم دارت على
سمعهم بالباقيات الغُرَرِ

كم قرعناها على قافيةٍ
كم بدأنا قصَّةً في السَّحَرِ

ويُفيق الشاعر من حلُمٍ دافىءٍ هَنِي على وقع خطواتٍ « أبي ياسين » الذي يرجوه أن يُطفيء المصباح ليُطبق من جديدٍ أجفانه على أحلامٍ زاهية خُضْرٍ :

يا أَخا الظلمة ، والصمت ، أَمَا
لأراجيع الهوى من خَبَرِ؟
يا أبا ياسين ! عفواً ، إن أكن
ضُعْتُ في لُجَّة حُلُم مُسْكَرِ
أطفىء المصباح ولننعم بها
رقدةً خضراء بعد السَّمَرِ

... وفي السجن الذي حلَّ فيه الشاعر ، باتت فتاةٌ فلسطينية الى جواره يشقُّ نحيبُها المرير سكون السجن المُطبق ويَسْقُطُ أَمَلُها بالخروج وراء بابٍ أوصد بعنفٍ في وجهها الذي ارتسمت عليه معالم المأساة والنكبة ويهوي ايضاً إثْرَ لطمةٍ أَسْكتتْ إعوالها :

وشقَّ سكوني نحيبٌ مريرٌ
تقطِعُهُ شهقة عاريةٌ
وألقيتُ سمعي وظلَّ النحيبُ
وراء جداري يشقُّ الدُّجى :
أُقَبِّلُ رجلك ، دعني ، هناك
أريد ـ بعرضك ـ أن أخرجا
خذوني ، خذوني ، لا أستطيع
وَبَحَّ على شفتيْها الرَّجا

خذوني وذابت بقايا الحروف
على شهقةٍ لم تجدْ مَفْرَجا
وأسكت إعوالها لطمةٌ
تلاشت مع الباب إذ أرتجا

ويستعيدُ الشاعر في سجنه من خلال مأساة هذه الفتاة، صورَ شعبها المنكوب الذي شُرِّد من أرضه بقوَّة السِّلاحِ وهُدِّمت بيوته بالقذائف المجنونة المُدمِّرة والمُعبِّرة عن وحشيَّة العدوان والقوى الاستعمارية المُسَانِدة :

وَلَاحت جماجم قومي بِيافا
وفي القدس عن وجهنا تُعرِتض

ويقول :

ألوفٌ من الخرق الباليات
تبعثر في الارض أو تُحْشَدُ
ألوفٌ يسمونها اللاجئين
على كل منعطفٍ ... ترْقُدُ

ويقول :

ألوفٌ وهذا حديد السجن
يَصُلُّ أمامي على واحدة

ويشتدُّ على الشَّاعر ألم المأساة فَيَرى أن لا معنى لحياة الأجيال العربية إلَّا بالثورة الحمراء اللَّاهبة والثأر من عدوانٍ قائمٍ على الغدر والطُّغيان :

أيهدأ في عربي دَمٌ
وفي أرضه طيفُ مُستعمر ؟

أَيَـنْـعَـمْ في كـوخـه هـاجـعٌ
وفي صـدره نـصـلة الخـنـجـر ؟
أيُـطربـني في الـرُّبى صَـادِحٌ
بـأشـلاء قـومـي لم يَـشْـعُـرِ ؟
أتخـفـق في قـلمـي لـفـظةٌ
بِهـمِّـي ، وهمُّـك لم تـزخـر ؟
أتهـتزُّ روحـي لأنـشـودةٍ
إذا هـي بـالـثـأر لم تـزأر ؟!

وتعود الشاعرَ صورةُ الوطن المُمزَّق الذي جزَّأته القوى الاستعمارية وَنَهَبَتْ خيراته والذي يُهيب بمُواطنيه أن ثوروا ، ولا مجيب . فإلى مَتَى هذا السُّباتُ وهذه الاستكانة ، تساؤل حارٌ من أعماق الشاعر يحملُ لهفةً لغدٍ يرى فيه أجيال النضال الثائرة من أجل تحرير تراب الوطن الغالي من مستعمرٍ جائر وصهيونيٍّ غادر وعميل مجرم ارتفع على بؤس هؤلاء المنكوبين الذين ترمز اليهم هذه الفتاة البائسة !

أريـني أمـيـنـاً عـلى حـرمـةٍ
وأشـلاؤنـا نُهْـبَـةُ الـنَّـاهِـبِ
وأطـراف أرضـيَ مـبـتـورةٌ
وثـارات قـومـي بـلا طـالـب
مَـتَى يـسـتـفـيـقُ الـتـرابُ الخـصـيـبُ
فـيـفـتـحَ شـدقـيْـهِ لـلـغـاضـب

ويقول :

... عـلى بـؤسـك ارتـفـع المـجـرمـون
عـلى عـارك اتَّـشـحـوا بـالـقـمـم

. . . وبعد أن أمضى الشّاعر فترةً في سجنه أحَسَّ بثقله عليه فتاقَ الى النُّور الذي تخنقُهُ ظلمةُ حفرته السَّوداء ، والى رائحة أرض الوطن رمز الخصب والعطاء وَلَكَأنَّ الارضَ التي هو عليها ليست من أرض هذا الوطن وسجّانيها غرباء عنها ، وعلى الرّغم من ثقل السجن على الشّاعر فقد بقي الامل طافحاً في نفسه التي لا تشكو بل تُؤمِّن بأن فجر الحريَّة آتٍ يحمل معه نهاية الاغلال لتهوي سجون الظلم وَجَلّادوها السَّاديُّون

افتح الباب كاد يخنقني الصَّمْتُ
وجدران حفرتي السوداءِ
ادفع البابَ لحظة أتنفَّسْ
عَبَقَ الترب والحصى والماءِ
لست أشكو ما تمتمت نَبَضاتٌ
للأغاني للشعر خلف ذمائي
لستُ أشكو لكنَّ أرهبَ قفرٍ
يستحي أن يكون قبر الظماءِ
لست أشكو ولو تَمَزَّق صدري
خلف هذي الحجارة الصَّمَّاءِ
لن تراني أشكو ولو طال دفني
خلف هذي الحجارة الصَّمَّاءِ
أنا من بَشَّر السَّلاسل بالمو
ت وِالوى بِبسمةِ استهزاءِ

# أحمد فؤاد نجم

هو من مواليد مصر عام تسعةٍ وعشرين وتسعمئة وألفٍ وفي السّادسة من عمره افتقد أباه فعمل خادماً لفترةٍ من الزّمن في بيت عمّه وكان لهذا العمل أثره المرير المؤلم في نفس الشاعر . وفي مطلع شبابه أسهم أحمد فؤاد نجم في المظاهرات الوطنيّة التي عمّت مصرَ عام ألفٍ وتسعمئةٍ وستةٍ وأربعين .

. . . وفي الفترة ما بين ١٩٥١ ـ ١٩٥٦ ـ عمل الشاعر في السكك الحديديّة فرَأى على أرض الواقع بؤسَ العامل المصري الفقير الذي تسعى الى تحسين وضعه المادي والاجتماعي والثقافي ثورة الثالث والعشرين من تموز[1] . فأدرك الشاعر أن السّبيل الى هذا كُلِّهِ هو النضال لبناء مجتمع مصريٍّ جديد تكون الحريّةُ والقوتُ والعمل والعلم للجميع لا لطبقةٍ واحدةٍ مستغلّة .

(١) الثورة التي قادها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عام ألف وتسعمئة واثنين وخمسين .

وفي عام الف وتسعمئةٍ وتسعةٍ وخمسين اشتدَّ خناق السلطة لليسار في مصر ، فانتقل الشَّاعر وظيفيًّاً الى أَحَدِ الاحياء القديمة في القاهرة . وهنا يقول : « وفي يومٍ لا يغيب أبداً عن ذاكرتي أخذوني مع أربعةٍ آخرين من العُمَّال المتَّهمين بالتحريض والمشاغبة الى قسم البوليس » وهناك ضربنا بقسوة حتَّى مات أحد العُمَّال . وبعد أن أعادونا الى المصنع طلبوا إلينا أن نوقِّع إقراراً يقول : إن العامل الذي مات كان مُشاغباً وإنه قُتل في مُشاجرةٍ مع أَحَدِ زملائه ، ورفضت أن أُوقِّع فضربت »

وفي فَتَراتٍ لاحقةٍ يُسجن الشاعر فيستغل فترة سجنه ويقرأ العديد من الكتب الأدبيَّة والفكرية فتبدأ رؤيته الاجتماعية والفنيَّة تنضج أكثر .

يقول الشاعر

« كنتُ في السجن قادراً على اكتشاف أحشاء المجتمع في نفس الوقت الذي التقيت فيه للمرَّة الثانية المعتقلين اليساريين ، وكنت أَجاهد لإخراج هذا كُلِّه الى العالم الذي نَنْعَزِلُ عنه بِحُكم وضعنا في السجن »

يقول أحمد فؤاد نجم في قصيدة : « فلاح يخاطب إقطاعيًّاً »

الخير اللي أنت نايم فيه بتاعي
واللي غازل كل فتله فيه صباعي
والنعيم اللي عايش انت تحت ظلّه
كل ده من صنع إيدي ، من ذراعي

ويخرج الشاعر من سجنه عام ألفٍ وتسعمئةٍ واثنين وستين ليلتقي بالمُصادفة « الشيخَ إمام » فليتحم البؤسُ مع البؤس والعطاءُ مع العطاء والفنُّ مع الفن ، وأخذ الشيخ إمامُ يُعرِّف الشَّاعر بنفسه

« إنَّه مُلحِّنٌ فقيرٌ رضرير ، وفنَّان تربطه وشائج روحيَّةٌ وفنيَّةٌ عميقةٌ

بالشيخ « سيّد درويش » ويُغنيّ ألحانَ الشيخ « زكريا أحمد » وألحان « محمد عبد الوهّاب القديمة » .

. . . وتتالى الأيّام ويعتقد الشاعر ان صوت الشيخ امام صوتٌ جوهريٌ أصيل ويرى في هذا الصوت كل جمالٍ وأصالةٍ مصرية

وشرع الشيخ إمام يُلحِّنُ للشاعر أحمد فؤاد نجم الى أن وقع عدوان الخامس من حزيران عامَ ألف وتسعمئة وسبعة وستين وكانت الهزيمة التي هزّت أعماق الاثنين ففجّرت فيهما مكامنَ الخير والفنّ والعطاء ، وتدفّق سيلُ هذا العطاء الى جماهير غفيرة من شعب مصر . وراح العديدُ العديدُ من هذه الجماهير يدقُّ أبواب الفنَّانَيْن بحثاً عن شعرٍ ونغمٍ يتَعانقان ليُعَبِّرا عن محنة الامة والوطن ، ويُحرِّضَا هذه الجماهير ضدَّ كل الوان القهر والسَّلب . ولهذا أحَسَّت السلطات الامنيَّةُ بخطورة الاثنين على راحتها فراحت ترصد حركاتهما وإنتاجهما الشعريّ الغنائيّ الذي لم تُرْهِبْهُ السلطة المُلاحقة بل زادتْه إصراراً على المُضيّ في السبيل الذي اختطّه الاثنان برؤيةٍ مُستقبليَّة وتصميمٍ على السموّ بهذا الانتاج الى أعلى درجات الفن والتأثير الجماهيري .

. . . ويتابع الاثنان السَّيْرَ في هذا الدرب حتّى اعتقلا ثلاثةَ اعوام متلاحقة ففي عام الف وتسعمئةٍ وتسعةٍ وستين نَوى الشاعر إعلان خطبته على احدى فتيات بلاده الغالية على نفسه . ومن بيت خطيبته « نعمة » أُخذ الى مُعتقل « القلعة » . وهنا لقي شتّى ألوان التنكيل والتعذيب وغيّبوه في زنزانةٍ حيث وَجَدَ ارضها مُلطّخةً بالدم ، ثم أحضروا له الشيخ إمام » وقالوا لهما معاً « سوف تظلّان في المعتقل مدى الحياة . هل تسمعان ؟ مَدَى الحياة ! » . فقال الشاعرُ للشيخ « نحن في المعتقل هنا ، وفي الخارج مصرُ كُلُّها في المعتقل » .

وتفرَّق الاثنان كَلّ في زنزانته المنفردة ، لا يُسمح لهما بالخروج للاستمتاع بدفء اشعة الشمس التي يحتاج إليها السجين ، ولا باللقاء مُطلقاً . وحَبَسُوا عنهما الكتب والزيارات ما عدا ربع ساعة كُلَّ اسبوع وعبرَ الأسلاك .

وطيلة هذه الفترة لم يلتقيا إلاَّ مرَّةً واحدة قال فيها الشاعر للشيخ « إن ردَّنا الوحيد على كل هذا هو المزيد من العمل . سوف أكتب وأنتُ تلحِّنُ وليكن ذلك ردَّاً شافياً لكلينا ولأحبَّائنا معاً » .

وبعد المزيد من الضغوط والجهود التي بذلها الطلبة وعددٌ من مُثقفي مصر العربية أُطلق سراح الاثنين في الحادي والعشرين من تشرين الاول عام ألفٍ وتسعمئةٍ وواحدٍ وسبعين ، أطلق سِراحُهما وقد تحوَّل الاثنان الى ظاهرةٍ شعرية غنائية متحدِّية مُلتزمة تستحق كل إجلالٍ وتقدير .

وفي عام ألفٍ وتسعمئةٍ واثنين وسبعين شملت معظم أنحاء مصر مظاهرات قام بها الطلاب احتجاجاً على سياسة السادات وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية على جماهير مصر المسحوقة التي قيَّدتها أغلال لعبة الانفتاح الاقتصادي على الغرب الذي تعرفه هذه الجماهير حليفاً للصهيونية وإسرائيل ، وناهباً لخيراتها ومواردها . وإثر هذه الاحداث اعتقل الشاعر والشيخ . وفي سجنهما الجديد نظم أحمد فؤاد نجم قصائد سياسية ـ سيرد ذكرها ـ منها « بلدي وحبيبتي » و « ورقة من ملفّ القضيَّة » . يُحِسُّ قارىء هاتين القصيدتين بنضوج الرؤية وغنى التجربة

. . . ولمَّا أفرج النظام الساداتي عن الطلبة أفرج عن الشاعر وشيخه وراحا يواصلان من جديدٍ مسيرتهما مُجسِّدينَ في عملهما الفني أمانيَّ الجماهير المقهورة التي لامست أشعارهما وألحانها العذبة شغاف قلبها الملكوم بسهام نظامٍ قاهر . ونحن إذ نلمس جمالاً فنيَّاً في شعرهما وغنائهما

فإنه من منبع جماهيريّ ثرٍّ لا ينضب لوحيهما وإلهامهما .

. . . وبعـد حياةٍ مليئـةٍ بالمفـاجآت والتحـديات والشقـاوات يفترق الاثنان معيشيّاً إثر زواج الشاعر . ويبقى الشيخ الضَّـرير في حيّـه الشعبي « الغوريَّة » الذي أمضى فيه أربعين عامـاً . والشيخ إمـام هو من مواليد ريف القاهرة سنـة الفٍ وتسعمئة وثمـاني عشرة ، ويفقـد المولـود بصره في الشهرين الأوَّلين من عمـره ، ولمَّا بلغ الخامسة ذهب الى الكتَّاب ليحفظ القرآن ويُجيد قراءاته حتّى الثانية عشرة وفيها بعد تعرُّف عـلى الشيخ زكـريا أحمد أحد كبار الموسيقيين الذين اهتمّوا بتراث الموسيقى العربية ، واستمع اليه طويلاً .

وبعد الفراق يلتقي الشاعر والشيـخ ويُعتقلان أيضـاً وفي السجن كان عملاء النظام يستمعون خلسةً الى الشيخ إمام وهو يُغني . وكانوا معه يُصرّون على معرفة مغزى أقواله وغنائه ، ويُجيب الشيخ غنـاءً ايضاً يسمـو به ابداعٌ فنيٌّ كانت وراءه ـ الى جانب الموهبة ـ مشـاعر الحب والتقـدير التي مَنَحَتْها الجماهير لهذا الشيخ وللشاعر المُعَبّرين عن طموحات حياتها وآمالها ونضالها ضد العَسْفِ والاستسلام وفي سبيل إغناء المسألة الـوطنية المصـرية التي كانت محور التحرُّك الجماهيري

. . . ومن سجن « القنـاطر » يكتب الشـاعر الى أصحـابه وأحبـابه يؤكّد لهم ثباته وصموده وأن الشوق اليهم يرقُّ في الغربة والحُب تُؤجّج ناره الفرقة ، واللقاء يحلو بعد غياب

يا حبايبنا

فين وحشتونا

لسه فاكرينا

ولاّ نسيتونا

واحْنـا في الغربة

م الهوى دُبْنَا

وانتوا في الغربة

جوه فِ قلوبنا

اوعُوا تفتكروا

اننا تبْنا

مهما فرَّقونا

ولاَّ نسيتونا

يا حبايبنا !

ومن سجن « الاستئناف » يؤكِّد في قصيدته « على الدبابة » ايمانه بشعبه وجيشه ، لكل أولئك المناضلين الشرفاء الاحرار ، رفاق مسيرة الشاعر في دروب النضال الطويلة .

وفي القصيدة نفسها يكشف خيانة النظام الاردني الذي وجَّه رَصَاصَهُ الى صدور الفدائيين طليعة النضال العربي الثوري المُسَلَّح والذي يُسهم بتصفية القضية الفلسطينية التي تُشكِّل قانون النضال العربي الأوَّل والأهمّ . وفي هذا الليل الحالك الذي يلفُّ بدياجيره الآمال ، أين منه أمل الشاعر ؟ إنه في شعبٍ عربيٍّ كان رمزاً للنضال الانساني والحضارة الانسانية . ومن هذا الشعب البطل صلاح الدين الذي يَسْتَنْهِضُ بِهِ هِمَمَ هذا الشعب من أجل الثورة حتىَّ النَّصر ، والنَّصْرُ في فوهة البندقيَّة :

. . . يا كل السَّايرين عَ الشوك معايا

يقول الشاعر المجروح فؤاده

مِن الاندال

ومن عشق الصَّبايا

غرامي في الحروب يسبق سلامي

وأملي ف الشعوب

يخلق غُنايا

وعشقي للكلام

غالبْ سكوتي

وكُرهي للسكات جالب شقايا

يقول ابنْ العرب والجرح نازفْ

صديد الذل

ودموع السبايا

ونار الغِل من ايلول ويونيه

وريق المُر من طعم الرزايا

رضانا بالقليل والخوف رمانا

بُحكام المواكب والهَفَايا

وايش بعد المسيرة الهاشميَّة

على درب الخيانة للنهاية

وبيع الارض بالعرض لِعَدوي

من الاندال

ومن عشق الصبايا

غرامي في الحروب يسبق سلامي

وأمَلي في الشعوبْ

يخلقَ غُنايا

وعشقي للكلام

غالبْ سكوتي

وكرهي للسُكاتْ جالب شقايا

يقول ابنْ العَرَب والجَرح نازفْ

صديد الذُلْ

ودموع السَبايا

ونار الغِل من ايلول ويونيه

وريق المُرّ من طعم الرزايا

رضانا بالقليل والخوف رمانا

بحُكام المواكب . . . والهدايا

وايش بعد المسيرة الهاشميَّة

على درب الخيانة للنهاية

وبيع الارض بالعَرض لِعَدوي

على عينك يا تَاجرْ

ف المراية

ويا شعب العرب يا بن الفوارسْ

يا رافع للنضال ببرق ورايَة

يا واهبْ للزمن أيَّام وضيَّة

بنورُ البذل والجُود والعطايا

على عينَك يا تاجرْ

ف المرايَة

ويا شعب العَرَب يا بن الفوارسْ !

يا رافع للنضال ببرق وراية

يا واهب للزمن أيَّام وضيَّة

بنُور البذل والجود والعطايا

صلاح الدين ينادي من مَنامتهُ

على النايمين على دم الضحايا
لَنَا مِنْكُمْ ولا انتو من ولادي
إذا رضيتم بغير النَّصر غاية
ولا غير السِّلاح فِ الحرب يُحْكُم
ويحْسِم ف المشاكل والقَضَايا

وأمَّا قصيدته « بلدي وحبيبتي » فقد كتبها في سجن « القلعة » وفيها يصف عملاء النظام الذي قَدِموا لاعتقاله وهم اثنان من التنابلة ونصف « دزّينة » من الثيران جاؤوا يسألون الشاعر عن صديقة الشيخ « إمام » وهو بالتالي يسألهم عن هويتهم . . . من أنتم ؟ والجوابُ : نحن أُناسٌ مُكلفون . ويصرخ الشاعر : أنتم ! أنتم سياط الظلم والقهر وعِلَّةٌ تَنْهَشُ جسد الوطن . . .

أثارهم كلامه وهُرعوا لتقييده وكمّ فيه . . . وراحوا يفتِّشون منزله فَما عثروا على أيٍّ من الممنوعات . والممنوعاتُ التي في حوزته هي فكره الحُرُّ وحُبُّ جماهيره . لذلك لم يخف ولم يجبن أمام عميلٍ جبانٍ نذل . وهل يَجْبُنُ الوطنيُّ المخلص المُحِبُّ الوفيُّ لوطنه ؟ وهل يضعف مَن يستمدُّ قوته من جماهير غفيرةٍ على شفتيها أعذب كلماته وفي أعماقها أَحَرُّ نداءاته ؟! . . .

لن يجبن الشاعر وفي عينيه صورة الوطن الغالي التي أطبق عليها أجفانه وصورة محبوبته وهوى أحلامه التي سكنت إحداهما فقرَّت عيناً في سُكناها .

يقول الشَّاعر في قصيدته هذه :

. . . الليلادي جُمْ خدوني يا ملاكي

جُوزتنا بلة ونُصْ دَسْتَة من الثيرانْ

كنت باحلم حبيبتي !

كنت باحلم بيكي أنتي

ايوه إنتي

ومين سواكي

يا حياتي

يا ملاكي !

... . فين إمام ؟!

إنْتو مين ؟

إحْنا ناس مُكلَّفين

إنتو دود الأرض

اِوالآفة المُخيفةْ

إنتو ذرّة رمل في عينين الخليفةْ

إنتو كرباج المظالم والمآسي

إنتو عِلّة فِ جسم بَلَدي

إنتو جيفَةْ

سكتوه ابن الكلابْ

سَفَّعوه من الترابْ

فتشوا كلّ الأماكنْ

طلَّعوا رفوفَ الدولابْ

كتّفوني يا حبيبتي !

قوّموني

قعّدوني

كل شعرةٍ فِ جسمي فتشُوها

المخدَّة من جِنَانهُمْ

شَرَّحوها

وانتهى التفتيش

مَفيشْ

صدُّقيني

ما تخافيشْ

هو فيه يا عزّ عندي ممنوعاتْ

غير باحِبْ النَّاسْ

وباكُرَه السُكاتْ

كان مُنَاه يلمحْ علامة خوف بسيطهْ

طب حيجي الخوف منينْ

ابن العبيطةْ

هوَ مين فينا الجبانْ

ولاَّ مين فينا اللي خانْ ؟!

اللي قلبُه بالمحبة وبالأماني

وبالربيع لخضَرْ مِزَهَّر والأغاني

ولا كلب الصيد وأسيادْه الأباطرة

أكَّالين لحم البشر فوق الصواني ؟! . .

هوَّ مين فينا الجبان

ولاَّ مين فينا اللي خان

هوَّ بَصْ فـِ عيني بَصَّه

ارتجفْ وفـِ حلقُه غَصَّة

وا تعوج ومال وقال

جملتين مِش مفهومين

أَصْلُه شاف صورتين جمال

فِ العيون الطيّبين

مصرفِ العين الشَّمال

وانتي فِ العين اليمين

ايوه انتي ومين سواكي

يا حياتي

يا ملاكي !

. . . وفي سنة ألفٍ وتسعمئةٍ وثلاثة وسبعين يُزجُّ بالشاعر من جديد في سجن « القلعة » حيث نظم قصيدته « شَيِّدْ قصورك » التي يُجسد فيها تلاحم نضال جماهير العمال والفلاحين والطلبة ضد حاكمٍ عاتٍ صلف أطعم شعبه شقاوات وعذابات وأهداهُ السجون رمز صلافته وجوره .

وشيَّد فيها زنزانات القهر والظلم التي لم تُرهب الشاعر ورفاقه الذين بشَّروا بِغَدِ النَّصر القريب وبموت الجائر وسلاسل جوره :

شيِّد قصورك عَ المزارع

من كدِّنا وعرق إيدينا

والخمَّارات جنب المصانع

والسجن مطرح الجنينة

واطلِق كلابك في الشوارع

واقفل زنازينك علينا

وقل نَوْمنا في المضاجع

آدي إحْنا نمنا ما اشتهينا

وإتقل علينا بالمواجع

إحنا اتوجعنا واكتفينا

وعرفنا مين سبب جراحنا

وعرفنا روحنا والتقينا

عُمَّال وفلَّاحين وَطَلَبة

دقَّت ساعتنا وابتدينا

نسلُك طريق مالهش راجع

والنَّصر قرَبْ من إيدينا

والنَّصر أقرب من عينينا

.. وهكذا التحم الشعر النضالي فكرةً ولغةً وصورة باللحن الجميل والاداء العذب ليُلهبا حماسة الجماهير وَيَدْفعاها قُدماً في دروب الثورة والتغيير. وهكذا أيضاً رَسَمَ الشاعر والشيخ طريق الحياة الكريمة فكان شاقاً صعباً، ولكن وجداه هيّنا، ومَن يؤمن بشعبه وجماهيره يهن طريقه ويسهل سجنه وَيَرُقْ له عذابه.

وأخيراً إن الشاعر والشيخ - بتجربتهما ونضالهما وإبداعهما - خرجا من دائرة مصر العربية الى ساحة الوطن العربي بل الى أكثر من بلدٍ على الساحة الدولية فيه الانسان العربي الذي التقى مَعَهُما في الافكار والمشاعر. وفي عام ألف وتسعمئة وثلاثة وثمانين غادرا مصر الى بعض دول امريكا اللاتينية حيث الجاليات العربية. وهناك أَنْشَدَا وأبدعا وسُئِلا: هل تعود ان بعدها، إلى بلديكما؟ فأجابا: لا نَبْتَغي الموت إلا في بلدنا مصر.... وهكذا أكَّدَ الشاعر والشيخ إن الجماهير مُلهمة الابداع والمبدعين، وأن الفنان الذي يكتب ويلحِّن في غمرة القهر يؤكد حقيقة الامل الذي يولد من أجل الحياة تحضنه طليعةٌ متقدمة على المجتمع مع جماهيرها وترعاه وتسكب العرق والدماء حتى يتجسَّد واقعاً رائعاً لها، فيه الجمالُ والخيرُ والخبز والحرية والكرامة

# ـ عبد الوهَّاب البيَّاتي ـ

شـاعرٌ من القـطر العـربي العـراقي ، نشـأ مُتشبِّعاً بـأفكـار التقـدم والوطنية أسهم في مسيرة بلاده الوطنية بالكلمة الجادَّة المسؤولة فكان نصيبه السجن أكثر من مرّة : وفي سجنه كتب العديد من القصائـد التي تُعبِّر عن تجربة البيَّاتي السجنيَّة .

. . . ففي قصيدته « السجين المجهول » يُعبِّـر عن مشاعـر السجين الـذي أمضى في عـالم السجن المُظلم أربـع سنـوات لم تـزدْهُ إلَّا صُمـوداً وصلابةً وإيماناً بالوطن المُفعم بالخيرِ والحُبّ .

لذا يدعو الشاعـر رفاق الـدّرب أن يواصلوا مسيـرة النضال ويُغنّـوا الـوطن أحلى الاشعـار وأعذب الالحـان . . . أن يُغنّوا فيـه الخيـر الـدَّافق والحُبَّ الزَّاخم :

. . . يا رفاقي في الطَّريقِ
عبرَ باب السجن غنّوا يا رفاقِي !
لم يزلِ عالمنا يحفل بالخير

وبالحُبِّ العميقِ

. . . يا رِفاقي في الطَّريق

ومسرّات ليالينا العميقة

والطَّواحين العتيقة

عبرَ باب الليل ما زالت ، وما زلت بسجني

سنواتٌ أربعٌ مرَّت ، وما زلت بسجني

ورفاقي يحرثون الارض في الشَّرق البعيدِ

وأنا ما زلت في السجن ، أُغنّي

وقيودي وهواها

وبطاقات البريد

وأمَّا قصيدة « أغنية زرقاء » الى فيروز : ففيها الشاعرَ ينتقل على جناح الكلمة واللحن الجميل الى دنيا الوطن الصَّامد في وجه الاعداء ، رمز الخصب والحُبّ ومصدر الوحي والإلهام وعزاءُ المناضلين في دروب النضال المريرة . كما يُعبِّر في القصيدة نفسها عن جرحه الصَّامت كالَّليل بين جدران السجن المُعتمة :

. . . افتحي للشمس بوابة سجني

ليرى العالم جرحي

صامتاً كالَّليل ، في صحراء ملح

ليرى العالم شعبي

صامداً في وجه أعداء الحياة

رائعاً كالأغنيات

حاملاً ، كالأرض ، في أحَشائه ، بذرة خصب

مُثقلاً بالورد الاثمار في ليلة حُبِّ

إنَّهُ أغنيتي الأولى وزادي وصباحي

وعزائي في . . . الكفاحِ

ورفيقي في السِّلاحِ

إنَّهُ شعبي

فحسبي

. . . وفي قصيدته « القتلة » يصف الشّاعر البيّاتي القتلة الحقيقيين الـذين تُرهبهُم الكلمـة الصَّادقـة الثائـرة والفكرة الحُـرَّة النيّـرة ؛ والمـوقف النضـاليُّ الصَّلب ، فيتسابقـون الى جلد الكلمـات وكمّ الافـواه ومُصادرة الحُريَّات وحرق الاشعار ومُلاحقة الاطفال بالجوع والدَّمار .

. . . ولكن يبقى الحُبّ في وجه الحقد ، والصبـح في وجه الليـل ، والفكـرة الحُـرَّة مكـان الجسـد المُصفَّى والثـورة المُعبِّـرة عن حـركـة الحيـاة المستمرّة في مقابل الظلم والتخلُّف والاستغلال :

. . . بحيرةٌ من دمٍ

تفصل ما بيننَا

وَليلُهم

ليلُهم

يخنقُ أصباحَنَا

وكلبهم في المدى

ينبح أمواتنا

حبيبتي !أحرقوا بالأمسِ

أشعارَنا

حبيبتي ! شوَّهوا

بالصمت ، تاريخنا

حبيبتي ! موّتوا بالسلِّ أطفالنا

حبيبتي ! أغلق الشتاء شباكنا

لا شمس

لا نسمة

تطرق أبوابنا

حبيبتي ! ها أنا

أحرق نفسي ، هنا

كي أكسر الثلج

والاغلال

يا بُؤسَنَا !

إن أشرقت شمسُهم ونحنُ في سجننا

نجترُّ أحزانَنَا

حبيبتي !

إن هُمُو لم يرحموا حُبَّنا

لَكنَّنا لم نزلْ

نُحِبُّ

لكنَّنا

. . . وفي قصيدة « حتَّى الموت » يُكمل ما بدأه في القصيدة السابقة من وصفٍ للجلّادين الذين لا يوفّرون أسلوباً يخدمهم في أثناء التحقيق سواء أكان ضرباً عنيفاً وتعذيباً مُميتاً أو نزعاً للأظافر رهيباً :

ذاك الرفيق الأسودُ العينين شاهدْ

نَزَعُوا أظافره

وظلَّ طوالَ الَّليل صامدْ

ضربوهُ حتَّى الموت

لم ينبسْ

وظلَّ طوالَ اللَّيل صامدْ

يا أسودَ العينين !

إنَّ اللَّيلَ شاهدْ

ماذا أقولُ ، وأنت في

أيدي الوحوش ،

اللَّيلَ

صامدْ ؟! . . .

. . . سُجن الشَّاعر إذاً ولم تُسجن كلمتُه التي تُلهب الحماسات وتُوقظ المشاعر الانسانيَّة النبيلة في النفس البشريَّة ؛ كمشاعر الحُبّ والعطاء . لم يستطع السَّجان أن يحبس كلمة الشَّاعر المسؤولة التي تتلاحم مع رصاص المُناضلين في إلهاب نار الثورة الحمراء التي تُنذر بنهاية الغُزاة والقتلة :

. . . أنا من أعماق سجني

أُوقِظ الانسان في قلبك

يا فارسَ حزني ، أُوقِظُ الحُبّ الذي داستْهُ

أقدامُ الغُزاة . . .

أُشعِلُ النيران في ليل حياتي

آهِ بارك كلماتي . . .

# ـ من شعراء القضيَّة الفلسطينيَّة ـ

. . . نفَّذ المستعمرون جريمتهم النكراء من بداية عام ألفٍ وتسعمائة وسبعة عشر عندما أَطَلَّ على الوجود وعد بلفور المشؤوم ( وزير خارجية بريطانيا آنذاك ) .

. . . وإثر ذلك تصاعد النضال الوطنيُّ الفلسطينيُّ واحتدم فيما بعد بالثلاثينات لُمجابهة كبرى المؤامرات الاستعمارية الصهيونية والْتحَم معه نضالُ رجالٍ أبطالٍ قدموا من أقطارهم العربية الى أرض فلسطين المنكوبة ليُرسخوا في هذا النضال المُشترك وحدة الشعب والمصير وكان في مقدمة قافلة الشهداء العرب سعيد العاص الذي قدم من مدينة حماة من سورية مع العديد من ثوارها ليذودوا عن فلسطين العربية ويضمّخوا ترابها المُقدَّس بالدم الذي بغيره لا تتحرّر فلسطين .

. . . ويأتي عام ألفٍ وتسعمائة وستة وثلاثين ليشهد أعنف ثورةٍ فلسطينية تُناهِضُ المؤامرة والمتآمرين . ولكن للأسف القاتل تُجهض هذه الثورة العظيمة بمَساعي بعض الملوك العرب ووساطتهم .

وتبلغ المأساة أوجها عامي النكبة والنكسة سنة ١٩٤٨ - ١٩٦٧ . ومن بداية التاريخ الأوّل شُهر في أرض فلسطين المُغْتَصَبة سلاح الكلمة الى جانب البندقية المُصوَّبة الى صدور الصهاينة الاعداء .

هذه الكلمة كانت سلاح أولئك الادباء الفلسطينيين العرب الذين تشبَّثوا بأرضهم ورفضوا النزوحَ عنها ، عن ثراها الطَّاهر الطيّب ، عن بساتين البرتقال الوارفة ، عن زيتونها الأخضر عن كلٍّ ما فيها من جمالٍ وحياة .

بالكلمة قاتلوا الغُزاة ؛ بالصمود والعناد أقلقوا حياة الطُّغاة ، بالاستهزاء والسخرية من زنزاناتهم وغُرفِ تعذيبهم ، قابلوا الجُناة . . .

. . . سُجنوا وعُذّبوا فازداد حبُّهم للوطن والارض ، أخضعوهم لشتّى الوان التنكيل والاضطهاد فاغتنى إيمانهم بقدرة الشعب وقدرتهم على مواصلة مسيرة النضال حتّى التحرير .

سُجن هؤلاء الادباء الثُّوَّار فاغتنت تجربتهم النضالية والشعريَّة وجادت قرائحهم بملاحم شعر الصمود والتصدِّي يكشف أبعاد الجريمة ويدين تحالف الصهيونية والامبريالية العالمية التي نفَّذت مؤامرتها الدنيئة واغتصبت أرض فلسطين العربية .

سُجن هؤلاء وقُهروا ولم ييأسوا ويستسلموا بل طفح شعرهم بالثأر والثورة المُعبِّرة عن حركة الحياة والتاريخ ، وامتلأ بالتفاؤل الثوريّ وبطاقات المُناضلين على تحقيق النَّصر الأكيد للجماهير المقهورة وذلك بالنضال الثوريّ اللاَّهب .

ولنبدأ قصة السجن هنا مع الشَّاعر ( راشد حسين ) . ماذا قال عن السجن ؟ قال : السجن يَحْلُو إذا كانَ في سبيل الشعب والقضيَّة . ولطالما

نحنُ أصحابُ قضيَّة فلا مَفَرَّ من دفع هذه الضريبة والسجنُ لا يعيب المناضلين الشرفاء الاحرار :

قالت : أخاف عليك السجن قلتُ لها
من أجلِ شعبي ظلام السجن يُلتَحَفُ
لو يقصرون الذي في السجن من غُرَفٍ
على السجون لهدَّت نفسَها الغُرَف
لكنْ ، لها أمَلٌ أن يُستضاف بها
حُرٌّ فيزهر في أنحائها الشَّرَفُ
قالت : بساتيننا الخضراء قد نُسفت
متى تعود الأزاهير التي نَسَفُوا ؟
قلت : انظري في سمانا ، لم تزل سُحَبٌ
غَداً تزخُّ الى أن يزهر الأسَفُ
قالت : حلمتُ بطفلٍ لا أريد له
أبا سجيناً ، فقلت الحلم يعتكف
أتحلمين بطفلٍ قلبُ والدِهِ
عبدٌ ، أعندك من عبدٍ له خَلَفُ

أمَّا الشَّاعر ( سالم جبران ) فقد زجَّ مع أحلامه وأشعاره وذكرياته ، مع قصائده المُعبِّرة عن سجنه المنفرد الذي يلوك فيه عتمةً خانقة ووحشةً مقيتةً قاتلة ، حيث السكون المُطبق والبرد اللاذع والبُصاق والعفونة ففي قصيدة « أغنيات في السجن » يقول الشَّاعرُ :

هذي أوَّلُ ليلةٍ ، في الخارج صوتُ مَطَرْ
ألمحُ في العتمة ، من فتحة شباكي
شَبَح النخلة ، البردَ إبرْ

البطانيات : بصاق وعفونةْ
والصَّمْتُ لعنت رنينهْ
وأنا وحدي في السجن سجين

وحدي ، وحدي
ما أعمقَ أمواجَ الوحدة
وحدي في اللَّيل أفكِّرْ
أهمسُ ، أُنشد
أتذكّر : دربي
ما أسخفكم يا أعداءَ الدَّربِ
هذي أوَّلُ ليلة
هذه ليست آخر ليلة

وماذا عن ذكريات « الدامون » ؟

للشاعر ذكرياتٌ عن الدَّامون » عن لياليه المريرة والظلم الرَّهيب الذي يجود به جلاَّدوه للنزلاء الضيوف ، وعن السمر في غرف الدَّامون والحديث عن شعبٍ قويّ العزم والارادة صامدٍ في وجه الغزاة يقاوم الظلم والظلاَّم ويدفع بالمزيد من شبابه الثوَّار الى ساحات المقاومة والقتال ، وعن صمود الرفاق المناضلين وراء القضبان وثباتهم على العهد الذي لا يرضى إلاَّ بالنضال المستمر حتى يعودَ الحقُّ المسلوب لشعبٍ يريد الحياة الحُرَّة الكريمة ، ويأبى حياة الذلّ والخنوع للصَّهاينة المستعمرين الذين لا تؤنسهم رصاصات الكفاح ، وتسرق من أعينهم النَّومَ قذائفُ الثُّوَّار ويسلب الأمن من قلوبهم صواعق الحُمم اللاهبة التي تؤكِّد استمرارية الثورة حتَّى النَّصر والتحرير

كُلُّ هذا جاء في قصيدة الشَّاعر « جبران » ( سَمَرٌ في

السجن ) :

« سمرٌ في السجن »

أتذكَّرُ إني أتذكَّرْ
« الدامون » لياليه المُرَّة ، والاسلاكْ
والعدلَ المشنوق على السور هناكْ
والقمرَ المصلوبَ على فولاذ الشبَّاك
ومَزارعَ من نَمَشٍ أحمرْ ، في وجه السَّجان الانقر
أتذكّرُ إني أتذكَّر
لَمَّا كُنَّا في أحشاء الظلمة نسحرْ
في الزنزانة ، في « الدامون » الأغبرْ
نتنهَّد لَمَّا نسمعُ قصَّة حبِ
نتوعَّد عند حكاية سلبِ
ونُهلِّلُ عند تمرُّدِ شعبٍ يتحرَّر
ونُحدِّثُ عن صلف الأقزامْ
عن شعبٍ لم يَحْنِ الهامة للظُّلام
عن بطن جائعةٍ ، قدم حافيةٍ ، وعظام
عن عزمٍ يتوثَّب ، في وجه الشعب الاسمرْ
عن أمل في عينيه يَتَنَمَّر
عن بسمتِه الأقوى من جور الأيام
عن يومٍ فيه يشبُّ ويكبرْ
ونُحدِّث عن غدنا الأحمرْ
عن دُنْيا من حُبٍّ وسلامٍ ، وحدائق من وردٍ
من عَنْبَرْ
وجداولَ من خمرٍ من سُكَّر

أتذكَّر إنيِّ أتذكَّر

لمَّا كُنَّا في أحشاء الظلمة نَسْمَرْ

ونظلُّ نُحدِّق في ليل الأقزام

وسجائرنا تنفث في وجه الجدرانْ

في صمتٍ . . . حلقات دخانْ

تتحدَّى عن القضبانَ ومِفتاحَ السَّجانُ

وعيونَ السَّجانِ الزرقاء

وشاربَهُ الأصفرُ

يا شعبي يا روح الندِّ

يا أغلى من روحي عندي

إنَّا باقون على العهدِ

لم نرضَ عذابَ الزنزانةْ

وقيودَ الظلم وقضبانهْ

ونُقاسي الجوعَ وحرمانَهْ

إلاَّ لنفكَّ وثاق القمر المصلوب

ونُعيد إليكَ الحقَّ المسلوب

ونطول الغَد من ليل الأطماعْ

حتَّى لا نشرى وتُباعْ

حتَّى لا يبقى الزورقُ

دونَ شراعْ

يا شعبي

يا عود النَدِّ

يا أغلى من روحي عندي

إنَّا باقون على

العهد . . .

... وللشاعر « توفيق زيَّاد » تجربة مع القيد الذي لا يُوهي من عزيمته وإرادة رفاقه الذين اتشحوا بظلام السجن صوتاً يُرْعِدُ وزنداً أقوى من أغلال العدوّ الغادر وعزماً يتّقد ناراً ويستمدُّ صلابته من شعبٍ صمَّم على الكفاح حتَّى النَّصر ، يقول زيَّاد في قصيدة « من وراء القضبانْ » .

ألقوا القيود على القيود ، فالقيد أوهى من زنودي

لِيَ من هوى شعبي ، ومن حُبِّ الكفاح ومن صمودي

عزمٌ تسعَّر في دمي ، ناراً على الخطب الشديد

يا طُغْمَةً أسقيتُها كأس المذلَّة ، من قصيدي

لا تحسبي زَرَدَ الجديد ، ينال من همم الأسود

حولي الرفاق كأنَّهم لَهَبٌ تمنطق بالحديدِ

في غرفةٍ سوداء . لولا حزمة النور البديدِ

يعلو بها صوت النشيد كأنَّهُ قَصْفُ الرُّعودِ

... ويُصمّ هذا النشيد أذني السجَّان بإرعاده فيَعْدُوإلى الغرفة كالذئب الطَّريد يُغلق كل منفذٍ للنور والهواء ، إلَّا كُوَّةً من خلالها ينظر الشَّاعر ورفاقه الى أرض الوطن الخضراء وروابيها الجميلة :

يأتي إلينا بلهث السَّجانُ ، كالذئب الطَّريدِ

وبصيح ما هذا ؟

فيُغرق صوتَه موجُ النشيد

دارت يدُ السَّجان بالمفتاحِ

تُغْلقُ كلَّ بابٍ ، إلَّا بقايا كُوَّةٍ من خلفها

تبدو الرَّوابي

ويلوحُ رأسُ الكرمل المخمور ، بُرْقِعَ بالضباب

الفجرُ فوقَ جبينه المعتزّ ، كالعاج المُذاب

وتلوحُ بين شعابه الخضراء ، في كَنَفِ الهضاب
أعشاش عشَّاقٍ تطوِّف حولها قُبل الشباب

. . . نظر الشاعر فتذكَّر واشتاق ولكن ليس لأكـلٍ او شراب أو لأمّ تعوَّدت غربة الابناء ، ولكن تاق لسـاحة النضـال لقتال الاعـداء لمُشاركـة شعبه الزَّاحف للنضال الذي يُقدِّم الشهيد تلو الشهيد لنُصرة قضيته ودحر العدوان

يا طيبَ تلك الوشوشات ، كأنَّها همسُ التصابي
غمرت جوانحنا ، فهاجت بادّكاراتٍ عذابِ
يا حاملَ المفتاح ، ما شوقي لأكلٍ او شرابٍ
كلاّ ولا للقاء أمّ قد تعوَّدت اغترابي
لكن للشارع المطلول فيه ، دَمُ الشباب
زحفت جوانبُهُ بشعبٍ غير محنيٍّ الرقابِ

وهكـذا يبقى هؤلاء في سجنهم رمـزاً لنضـــال شعبهم البـطل ولعـزم الشباب الـذي لا يلين ، وأغنيةِ الكفـاح الدَّامي من أجـل تحـريـر الأرض الخصيبة والتراب المقدَّس :

إن يحبسونا إنَّهم لن يحبسوا نار الكفاحِ
لن يحبسوا عزم الشباب الحُرّ ، يعصف كالرياح
لن يحبسوا أغنية تعلو على هذي البطاح
لن يحبسوا حُبّاً لشعبٍ ضاربٍ في كلِّ ناح
شعب يقلِّبُهُ الطُّغاة على فراش من جراحِ

ونجد لدى الشاعر زيَّاد في قصيدته هذه تفـاؤلاً ثوريـاً بنهايـة الاجرام وموت الطُّغاة ؛ وبتحقيق النَّصر وتحرير الأرض الحبيبة :

يا طغمة الحُكّام زيدي ، هل لاضطهادك من مزيد ؟!
ألقي القيود على القيود ، سوداء باردة الحديدِ
سيعود شعبي في ضياء الشمس من خلف الحدودِ
سيعود للطلِّ المُهدَّم ، يبتنيه من جديدِ
سيعود للأرض في الحبيبة ، للزنابق للورودِ
سيعود رغم النَّار والأغلال ، خفَّاقَ البنودِ

. . . ومن نُـزلاء سجون العـدوّ الصهيوني الشَّـاعر سميـح القـاسم الـذي يصف في قصيـدتـه « من وراء القضبـان ـ السجن الأوَّل » : قلق السلطات الاسرائيلية الذي زرعه في أفئدتهم ثوار البندقية وشعراؤها :

دوريَّةُ البوليس لا تنامْ
ما فتئت تُبحر في مستنقع الظَّلامْ
وتنكت العتمة في الأزقَّة السَّوداء
من غيظها تكاد أن تقلّب الجيوب
لعابرٍ كان لدى أصحابْ

. . . ويكتب الشَّاعر من سجنه « رسـالةً من المعتقـل » فيها صـورةُ السجين المرميّ في الزنزانة السَّوداء الذي يتسامر مع أشعاره في ليل السجن المديد . يـزوره ـ على حـين غرَّة ـ وطـواط يسألـه ما الأخبـار ؟ يسألـه عن الأهل والأحباب . . . ويعيا الجواب . يـرجوه أن يُخبِّرَ عن حال السجـين الذي لم يُغمض له جفن من شدَّة الحرّ وعقص البقّ :

ليس لديَّ ورقٌ ولا قلمْ
لكنَّني من شدَّة الحرّ ومن حرارة الألم
يا أصدقائي لم أنمْ
فقلتُ : ماذا لو تسامرتُ مع الأشعار

وزارني من كوَّة الزنزانة السَّوداء

لا تستحفّوا ... زارني وطواط

وراح في نشاط

يُقبّل الجدران في زنزانتي السَّوداء

وقلت يا الجريُ في الزوَّار

حدَّثْ ، أما لديك عن عالمنا أخبار ؟!

حدّث عن الدنيا ، عن الأهل عن الأحباب

لكنه بلا جواب

صَفَّقَ بالأجنحة السوداء عبرَ كوَّتي وطار

مهلاً ، ألا تحملُ أنبائي الى الاصحاب

من شدَّة الحرّ من البق من الألم

يا أصدقائي ألم أنم

وينتقل الشَّاعر بخيالـه الى ما وراء سجنـه الى أُمِّه التي تُسْبِلُ الـدَّمع شـوقاً إليه ، الى إخـوتـه الأحبـاب ؛ الى بيتـه الـذي يتـوق الى الضحك والكلام

يتوّق الشَّاعر ويحنُّ ومع الشوق والحنين يزداد إيمانـاً بأن السجن قـد يقتل الجسد ولكن لا يقتل الفكرة الثورية المُكافحة ولا ارادة النضال الثائرة فالحياة تُولد في المعتقلات ؛ تحمل معها نهاية المعتقلات :

والتهبت في جبهتيَ الافكار

أُمَّاهُ ! كم يحزنني أنَّك من أجلي في

ليلٍ من العذاب

تبكين في صمتٍ متى يعود

من شغلهم إخوتِي الأحباب

وتعجزين عن تناول الطَّعام

مقعدي خالٍ ، فلا ضحكٌ ولا كلام

أُمَّاهْ! كم يؤلمني

أنَّك تجهشين بالبكاء

إذا أتى يسألكم عنِّي أصدقاء

لكنَّني أومِنُ يا أُمَّاه ! أو من أنَّ روعةَ

الحياة تولد في معتقلي

لا بُدَّ أن يزورني النَّهار

وينحني السجَّان في انبهار

ويرتمي

ويرتمي معتقلي

مُهدَّماً

لهيبُهُ النَّهار

وفي قصيدة « ما تيسَّر من سورة السَّلاسل » يتأكَّـد التفاؤل الثـوريُّ لدى الشاعر الذي قاوم العدوّ المحتلّ بالكلمة المسؤولة المتحدِّية ، والشِّعـر المؤمن بالشعب المُلهِم البطل وقضيته العادلة يتأكَّد هذا التفاؤل على الـرَّغم من قسـوة السجن ومـرارة ليـاليـه الـطويلة ومُعـانـاة المـرض في زنـازينـه الرّطبة . . .

. . . إن السجن للمنـاضلين يزيـدَهُـم صموداً ونضـالاً وإيمانـاً بـأن موت المُناضل تنكيلاً وتعذيباً خلودٌ له وحياةٌ لشعبه وقضيَّته :

ما الذي تفعله بوابة السجن الغبيَّة ؟

والزنازين

وحيَّات السَّلاسل

. . . كُلُّ وجه توغل القضبان فيه

وتواريه الغيومُ الكاسدة

يَهَبُ الآتين . . . شمساً

وغيوماً واعدة

. . . في وجوه السجناء

لم تزل رزنامة السجن طويلة

والأغاني لم تزل تسخر من آسرها

لم تزل رزنامة السجن طويلة

وأنا انتزع الأوراق من آخرها

. . . ما الذي تفعله بوابة السجن الغبيَّة ؟

بأناشيدي وأزهاري وحُبِّي

ما الذي يفعله داءُ المفاصل ؟

في الزنازين

وآلات العذاب

ما الذي تفعله قضبانُ سجني

ما الذي تفعله

ما دام عمري

في زمان الحُبّ برْهَة

ما الذي تفعله

ما دام حبسي

طرفه

والموت نزْهة

ومن شعراء القضيَّة الفلسطينية الذين كافحوا الاحتلال الصهيوني الآثم ، وكابدوا عَنَتَه وجوره ورهبة سجنه الشَّاعر محمود درويش

صاحب القول :

إنَّ جوهر أدبنا الرفض . . . . . . » .

وَدَفَعَ الشَّاعرُ مع رفاقه ضريبة هذا الرفض فسيقوا الى سجون العدوّ ليكتبوا قصائد الرفض والغضب والتحدّي والثورة .

سُجن محمود درويش لأنه آمن بشعبه وقضيَّة التحرير ، ولأنه غنّى هذا الشعب أشعار الحُبّ والتحدّي التي تلعن التخاذل والخيانة وتُنذر الليالي الأليمة السُّودَ بنور غدِ التحرير الوضَّاء .

. . . ومن الموت تُولد الحياة . . . يموت البطل فيحيا الوطن . . .

كلُّ هذه المعاني الرَّائعة نستشفُّها في قصيدة الشاعر«السجين والقمر »

في آخر الليل التقينا تحت قنطرة الجبالْ
منذُ اعتقلت، وأنت أدرى بالسببْ
ألأنَّ أغنيةً تُدافع عن عبير البرتقال
وعنِ التحدِّي والغضبْ
عَلَمان نحن على تماثيل الغيوم الفُستقيَّة
كلُّ الَّليالي السُّود تسقط في أغانينا ضحيَّة
. . . . . . الموت والميلادُ في وطني المُؤلَّه توأمان

. . . وأمَّا في قصيدة « أغاني الأسير » فإن الشَّاعر يغنّي الحبيبة والحريَّة ؛ الحبيبة التي تنتظر شاعرها خلفَ اسلاك السجن الأسود ؛ والحريَّةَ التي غنَّاها أعذب أشعاره ؛ وكافح من أجلها بكل طاقاته ، ورشف من خمر جماها أصفى كؤوسه ؛ ورسف في الأسر من أجلها من أجل أغلى أُمنياته وأحلام شعبه :

. . . وزنزانتي موصدة مُلوَّنة يا كؤوسَ الطفولة

بطعم الكُهولة

وبيني وبينك نهرُ الدمِ

ألا تعلمين بأني أسيرُ اثنتينْ ؟

جناحايَ : أنتِ وحريَّتي

أحِبُّكُما هكذا ، توأمينْ

ومن غياهب سجنه يُرسل الشاعر محمود درويش تحديَّه الغاضب . ففي قصيدة « تحدٍ » يُرسِّخ سلاح الشعر المقاتل في وجه الاعداء وسجونهم وآلات تعذيبهم :

شُدُّوا وثاقي وامنعوا عني الدفاتر والسجائر

وضعوا التراب على فمي ، فالشعر دمُّ القلب

ملح الخبز ماء العين ، نكتب بالأظافر ، والمحاجر

والخناجر

سأقولُها ، في غرفته التوقيف ، في الحمَّام ، في

الإسطبل ، تحتَ السَّوط ، تحت القيد ، في عنف

السَّلاسلْ

مليونُ عصفورٍ على أغصان قلبي

يخلق اللحنَ المُقاتل

... ويرسل أيضاً قصيدته « برقية السجن » أبياتاً تُلهب حماسة شعبه الثورية وتُؤكِّد صموده في سجون الاعداء وهو الشاعر المُناضل الذي يدفع مَهْرَ الحرف اللاَّهب ، وراء قضبان الحديد التي يستهزيء بها وبأمجاد العدوّ وقد علت بالغدر والخيانة وعلى أعمدة التاريخ المليء بالخزي والعار .

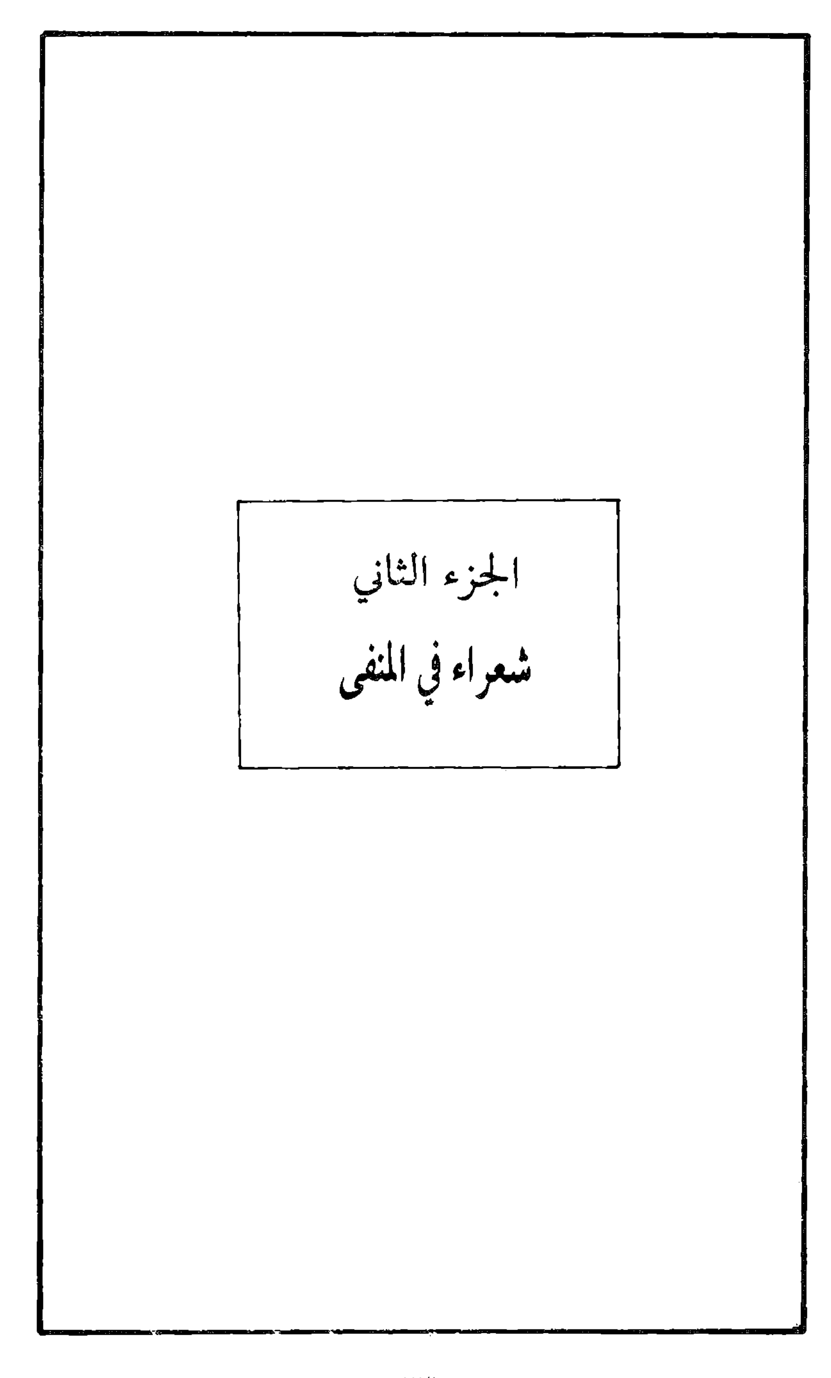
يدفع الشَّاعر مهر الحرف وحُبَّ الشعب والوطن الذي غنَّاه

هَوَىً وعانقه لهَباً ثوريًّاً ومُنى :

من آخر السجن طارت كفُّ أشعاري
تشدُّ أيديكم ريحاً على نار
أنا هنا وراء السور أشجاري
تطوِّع الجبل المغرور أشجاري
مُذْ جئت أدفع مهر الحرف ما ارتفعت
غيرُ النجوم على أسلاك أسواري
أقول للمحكم الأصفاد حول يدي
هذي أساورُ أشعاري وإصراري
في حجم مجدكُم نعلي وقيدُ يدي
في طول عمركم المجدول بالعار
أقولُ للنَّاس للأحباب : نحنُ هنا
أسرى مَحبَّتِكُم في الموكب السَّاري
في اليوم أكْبُرُ عاماً في هوى وطني
فعانقوني عناق الريح للنَّار

... وفي قصيدة أخرى يُؤكِّد الشَّاعر النهاية الحتمية للاحتلال وظلمه وسجونه لطالما تألّق في سماء الوطن لهيبُ الثورة الفدائية :

... يا داميَ العينين والكفَّين إنَّ الَّليْلَ زائلْ
لا غرفةُ التوقيف باقيةٌ ولا زَرَدُ السَّلاسلْ
نيرونُ مات ولم تمت روما ، بعينيها تُقاتلْ
وحبوبُ سُنبلةٍ تجفُّ ستملأُ الوادي سنابلْ



الجزء الثاني

# شعراء في المنفى

# تصدير

يقول البيّاتي :

. . . يا وطني البعيد !

لأجل عينيك : أنا شريد

لأجل عينيك : أنا وحيد

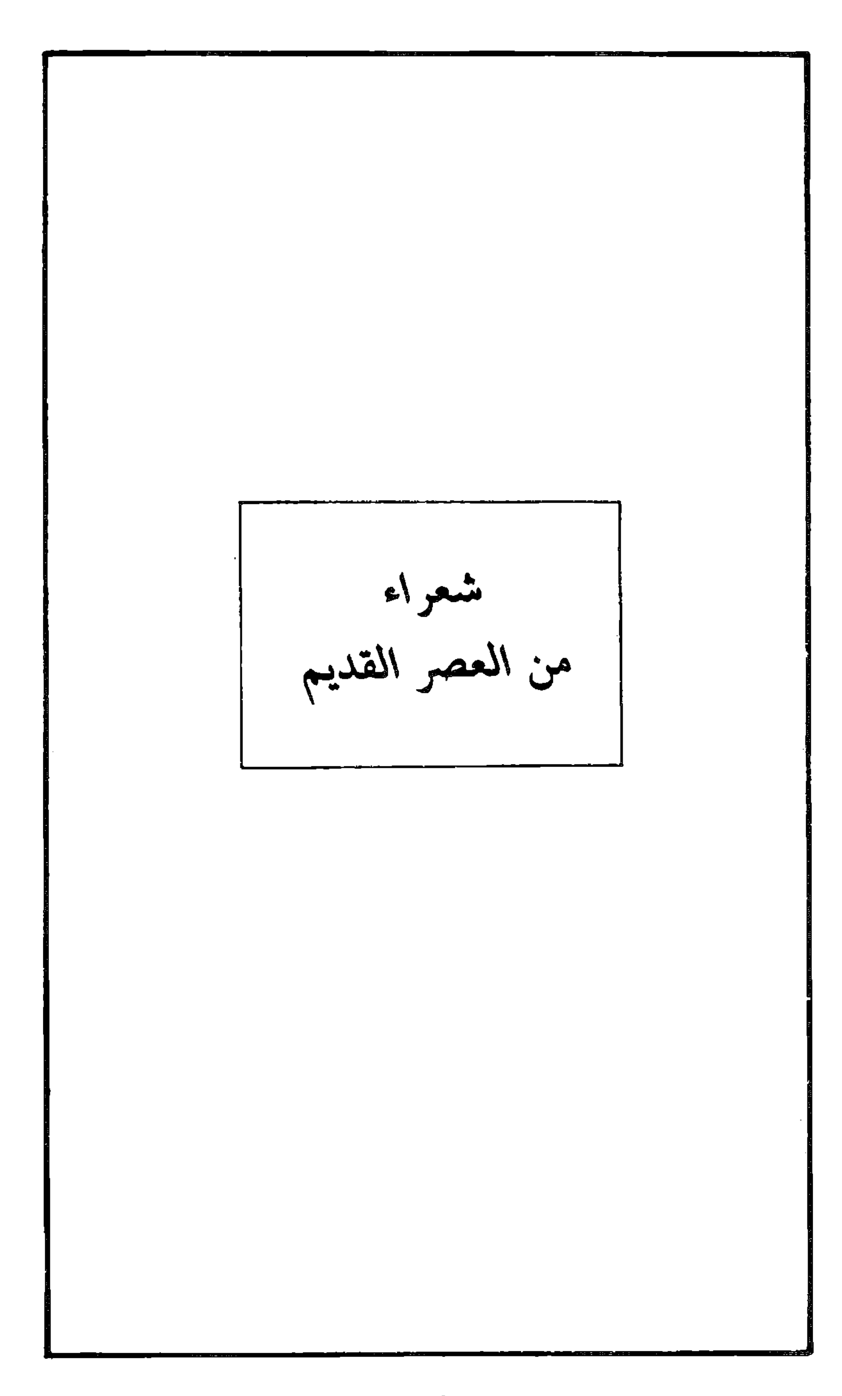
في هذه الدوامة السوداء

في هذه الانواء

متى أرى سماءك الزرقاء

ووجهك الصامد

يا مقبرة الاعداء ! . . .



# شعراء
# من العصر القديم

# المتلمّس

هو جرير بن عبد المسيح والمتلمّس لقبٌ غلب عليه ، وهو خال طرفة بن العبد الذي غضب عليه وعلى خاله عمرو بن هند ملك الحيرة ، فحمَّلهما رسالتين الى عامله في البحرين - وفتح المتلمّس رسالته وأيقن أنه مقتول عند عامل الملك لا محالة ، فألقى الرسالة ورحل ميمّماً شطر الشام حيث الغساسنة وهم الأعداء التقليديون للمناذرة ومُرغماً على هجرة الوطن والاهل بعد أن نذر عمرو بن هند دمه وحرَّم عليه دخول العراق .

وفي الشام أخذ الشاعر يمدح الغساسنة ويهجو عمرو بن هند ويقول القصائد التي تعبِّر عن ألم الغربة وأسى البعاد .

وفي القصيدة التالية فيضُ انفعالاتٍ نفسيَّة عميقة صادقة ، ومشاعر شوق وحنين وصرخات غضب على قومه الذين إستسلموا للظلم واستكانوا للطغيان ؛ ودعوة صريحةٌ الى الثورة على هذا الظلم وذاك الظالم :

يا آل بكرٍ ألا لله أُمُّكُمُ
طال الثواء وثوب العجز ملبوسُ

أغنيت شاني فأغنوا اليوم شانكُمُ

واستحمِقوا في ذكاء الحرب أو كيسوا

ردّوا عليهم جمال الحيّ ، فاحتملوا

والضيمُ يُنكره القومُ المكاييسُ

أُمّي شآميَّةٌ إذ لا عراقَ لَنَا

قوماً نودُّهمُ إذ قومُنا شوسُ

آليت حُبَّ العراق الدهرَ أطعمُهُ

والحبُّ يأكله في القرية السوسُ

وتمضي الايام بلياليها الطويلة والشاعر يستبدُّ به الشوق والحنين وهو في اغترابه في رحلة الآلام والاحزان التي انتهت برحلته الابديَّة بعيداً عن وطنٍ أحَبَّ وأهلٍ أعزّ :

إن العراق وأهله كانوا الهوى

فإذا نأى بي ودُّهم فليبعدِ

فلتتركنَّهم بلِيلةٍ ناقتي

تذر السِّماك وتهتدي بالفرقدِ

لبلاد قومٍ لا يُرامُ هديُّهم

وهديُّ قوم آخرين هو الردي

إن الخيانة والمغالة والخنّا

والغدر أتركه ببلدة مُفْسِدِ

فإذا حَلَلْتُ ودون بيتي غادةٌ

فابرقْ بأرضك ما بدا لك وارعدِ

# عمران بن حَطّان

كان في مقدِّمة خطباء الخوارج وشعرائهم وعُلمائهم ، أدرك صدراً من الصحابة وروى عنهم وروى عَنْهُ أصحابُ الحديث ثم صار من الشراة الخوارج ، ولمَّا طلبه الحجاج بعد توليته البصرة ، فرَّ عمران الى الشام مُتخفياً بعد أن تَنَقَّل من قبيلةٍ الى قبيلةٍ يحتمل في سبيل عقيدته مرارة الحياة وقساوة الاحداث[1] .

وفي الشام حَلَّ ضيفاً على رَوْح بن زُنْبَاع أحد قوَّاد الجيش الاموي الذي كان مأثوراً عند عبد الملك بن مروان ، فذكر له صاحبه وروى له بعض أشعاره ، فطلب عبد الملك من رَوْح » أن يجيئه به . « ونقل روح رغبته الى عمران . فقال له : ذلك ما كنت اريد ، وإني تابِعُك اليه على الاثر ولم يلبث أن ارتحل مُخلِّفاً لِروحٍ رقعةً يقول فيها مُعَبِّراً عن ارتياحه في أثناء إقامته في منزل روح وعن الأمن الذي كان يحياه فيه بعيداً عن أيّ حادثٍ طارىء .

---

(١) البيان والتبيين : الجزء الاول : الصفحة ٥٥ .

يـا رَوْحُ كـم مـن أخـي مَـثْـوَىً نـزلـت بـه
قـد ظـنَّ ظـنَّـك مـن لخـمٍ وغـسَّـانِ
حـتى اذا خِـفْـتُـهُ فـارقـتُ مَـنْـزِلَـه
من بعـد مـا قيـل عمـران بـن حَـطّانِ
قـد كـنـتُ ضـيـفـك حَـوْلاً لا تُـرَوِّعُـنـي
فـيـه الـطَّوارقُ مـن إنسٍ ومـن جـانِ[1]

ثم يقـول مُبرّراً ارتحـالَه وهـربه بعـد أن كَشَفَ أَمْـرَه عبـدُ الملك بن مروان فَخَاف منه النازلة العُظمى : الموتَ أو القتلَ ؛ ثم يرجوه العُذْرَ وهو الـذي دَرَجَ عـلى عـادة الانتقـال من مكـانٍ الى آخـر مُتحمِّـلاً عـذابـات وشقاوات في سبيل مُعتقده الذي يأبى لصاحبه أن يذلَّ أو يُهان ؛ ولو هانت نفسه لطاغيةٍ لكان المُقدَّم في السرِّ وفي العلنِ :

حَـتّى أردتَ في الـعـظمـى فـأوحـشـنـي
مـا أوحش النَّـاسَ من خـوف ابن مـروان[2]
فـاعـذُرْ أخـاك ، ابـنَ زَنْبـاع ، فـإن لـه
في الحـادثـات هَـنَـات ذاتَ ألـوان[3]
يـومـاً يمـانٍ إذا لاقـيـتُ ذا يَمَـنٍ
وإن لـقـيـتُ مَـعَـدِيّـاً فَـعَـدْنـاني[4]

---

(١) حـولاً عـامـاً ـ لا تـروّعني : لا تُخيفني ـ الـطوارق : الحـوادث الـطارئـة المفاجئة .

(٢) العُظمى : الحادثة العظمى : الموت او القتل .

(٣) هَنَات المفردة : هنة : خصلة شر ـ ذات ألـوان : يَتلوَّن فيهـا : يَتقلَّب من حالٍ الى حال .

(٤) يـوماً يمـانٍ : يمنيّ ـ معدي : من مَعَـد يدَّعي تـارةً من عرب الجنوب وتـارةً أخرى من عرب الشمال ) .

لـو كنتُ مُستغفراً يوماً لطاغيةٍ
كنت المقدَّم في سرّي وإعلاني
لكن أَبَتْ لي آياتٌ مُطَهَّرَةٌ
عند التِلاوة في طهَ وعمرانِ[1].

. . . ومضَى الشاعر في طريقه حَتَّى وصل قرقيسيا فنزل عند زفر بن الحارث « فانتسب اليه أوزاعيًّاً ، وتصادف أن رآه رجلٌ عنده كان قد التقاه عند رَوْح » فلمَّا قال له زُفر : هل تعرفه ؟ قال : نعم أَزْديٌّ رأيته عند روح ، حينئذ قال له زُفَرُ : يا هذا ! أزديًّاً مَرَّةً وأوزاعيًّاً أخرى ؟ إن كنت خائفاً آمنَّاك وإن كنت فقيراً جَبَرناك ، فلمَّا أمسى هرب وخلَّف في منزله رقعةً كتب فيها مقطوعة بديعةً » مطلعها :

إن التي أصبحت يَعْيَى بها زُفَرُ
أُعيت عياءً على رَوْحِ بن زنباع

(١) سورة طه وسورة عمران من سور القرآن : رقم (٢٠) و (٣) في المصحف .

# أبو قطيفة

هو عمرو بن الوليد بن عقبة المشهور بمُجونه ، من شعراء العصر الأموي ، له شعرٌ رقيقٌ في الشوق والحنين بعد اغترابه .

وكان أبو قطيفة أموي النسب والهوى فنفاه ابن الزبير الى الشام فقال يصف غربته بأنها مُقدَّرة من الله ويُعبِّر عن مشاعر حَنينِه الى موطنه ومن فيه وقد استبدَّ به الوجد كما يستبدُّ بالأسير العاني :

وما أخرجَتْنَا رغبة عن بلادنا
ولكن ما قدَّر الله كائن
أَحِنُّ الى تلك الوجوه صبابةً
كأني أسيرٌ في السلاسل راهِنُ

وقال يَتَشَوَّقُ الى المدينة : يذكر مساكن لبني أمية فيها ويفتخر بنفسه :

القصرُ فالنخلُ فالجمَّاء بينَهما
أشهى الى القلب من أبواب جيرونِ[1]

---

(١) القصر والنخل والجمّاء : اراضٍ لا بناء فيها كانت لسعيد بن العاص الاموي في المدينة . جيرون : دمشق .

الى البلاط فما حازت قرائنه
دورٌ نزحْنَ عن الفحشاء والهُونِ(١)
قد يَكْتُمُ الناسُ أسراراً فأعلمُها
ولا يعلمون حتَّى الموتِ مكنوني

. . . ولما طال مقامه في الشام قال يَتَشَوَّق أيضاً الى من مَحَضهم صفوحُبّه :

ألا ليت شعري ، هل تغيَّر بعدنا
قباءُ وهل زال العقيقُ وحاضِرُه(٢)
وهل بَرِحَتْ بطحاءَ قبر مَحَمَّد
أراهط غُرٌّ من قُريشٍ تُبَاكِرُهُ
هم مُنتهى حُبِّي وصفوُ مودَّتي
ومحض الهوى مني ، وللناس سائرُه(٣)

ويقول مُبتدئاً بليْت التي لم تُورّثْهُ إلاَّ الأسى واللوعة ولكنها ما هَفَت بشوقه ولا بِحَنِيْنِه :

ليت شعري وأين مني ليتُ
أَعَلى العهدِ يُلْبَنُ فَبَرام
أم كعهدي العقيقُ ، أم غيَّرتُهُ
بعديَ الحادثاتُ والايامُ

---

(١) القرائن : دور متقاربة كانت أيضاً لسعيد هناك .
(٢) قباء : موضع قريب من المدينة ـ العقيق : وادٍ يكثر فيه السيل بعد المطر ( والمقصود العقيق الذي هو قرب المدينة ) .
(٣) سائره : الباقي منه

وبـأهـلي بُـدِّلْـتُ عـكًّـاً ولخـماً
وجُـذامـاً ، وأيـن مـني جُـذامُ

وتـبـدلـتُ مـن مـسـاكـن قـومـي
والـقـصـور الـتي بهـا الآطـامُ

كـل قصر مُـشـيَّـدٍ ذي أَواسٍ
يـتـغـنّى عـلى ذُراهُ الحَـمَـامُ

أَقْرِئْنِي الـسَّـلامَ إن جئـتَ تـرمـي
وقـليـلٌ لهـم لـديَّ الـسَّـلامُ

وبعض هذا الشعر في الشوق والحنين بَلَغَ ابن الزبير فعَفَـا عنه وأذن له بالعودة الى المدينة التي فارق فيها حياته وشيكاً .

# يزيد بن ضبّة الثقفي

هو شاعرٌ من العصر الأموي ، صَحِبَ الوليدَ بن يزيد منذ أيام أبيه يزيد بن عبد الملك بن مروان ولم يكن يفارقه . ولمّا ولي هشام بن عبد الملك الخلافة وفد عليه يزيد بن ضبّة مُهَنِّئاً وأراد أن ينشده قصيدةً يمدحه بها . فلم يقبل هشام منه وقال له : « عليك بالوليد فامدحه وأنشده ثم أمر هشام بإخراجه من حَضرتِه وخوفاً من أن يُسجن أو يُقتل فقد رحل من الشام الى الطائف وبقي فيها مُدَّة خلافة هشام كُلِّها .

وفي الطائف قال الشاعر قصيدةً فيها نسيبٌ وفخرٌ وتعريضٌ بهشام وأما نسيبه فهو :

أرى سلمى تَصُدُّ وما صَدَدْنا
وغير صدودها كنا أردنا[1]

لقد بخلت بنائلها علينا
ولو جادت بنائلها جِمِدْنا[2]

---

(١) تصدُّ : تُعرض -
(٢) النائل : العطاء .

وقد ضنّت بما وعدت وأمْسَتْ
تغيّر عهدُها عَمّا عَهِدْنا
ولو علمتْ بما لاقيتُ سِلمى
فَتُخبرني وتعلم ما وجدنا[1]
تُلِمُّ على تَنائي الدار مِنّا
فيُشهِرُنا الخيالُ اذا رقدْنا[2]

وأمّا فخره فقوله :

ألم تَرَ أنّنا لمّا ولينا
أموراً خُرِّقت فَوَهت سَدَدْنا[3]
إذا هاب الكريهة من يليها
وَأَعْظَمَها الهيوبُ ، لها عمدنا[4]
وجبّارٍ تركناه كليلاً
وقائدَ فتنةٍ باغٍ أَزَلْنَا[5]
وما هِيْضَتْ مكاسرُ من جَبَرْنَا
ولا جُبرت مصيبةٌ من هَدَدْنا[6]

وأمّا تعريضه بهشام ففِيْه أيضاً فخره بقومه إباءً وشجاعةً ومروءةً وكرماً :

---

(١) وجد : لقي ، ووجد ، تَعَاظم بِهُ .
(٢) تُلِمُّ : تزور .
(٣) لمَّا ولينا : الحكم ـ وهت ـ ضعفت ـ سددنا أصلحنا ما فسد .
(٤) الهيوبُ : الخائف ـ عمدنا لها : قصدنا
(٥) الكليل : الضعيف ـ العاجز ـ باغٍ : ظالم ـ أَزَلْنَا : قَضَيْنا على .
(٦) هيض العظم ، انكسر .

ألا مــن مُــبْــلِـغٌ عـنـي هــشــامــاً
فــمـا مــنَّــا الــبــلاء ، ومــا بَــعُــدْنــا
ومــا كُــنَّــا الى الخــلـفــاء نُــفــضـي
ولا كُــنَّــا نُــؤخِّــر إن شــهــدنــا
ألم يَــكُ بــالــبــلاء لــنــا جــزاءٌ
فَــنُــجــزى بــالمحــاســن ، أم حُــســدنــا ؟
وقــد كــان المــلـوك يــرون حَــقَّــاً
لــوافِــدنــا فَــنُــكــرَمُ إن وفَــدْنــا
ولــيــنــا الــنــاسَ أزمــانــاً طــوالاً
وسُــسْــنَــاهــم ودســنــاهــم وَقُــدْنــا[1]
وكــان أبــوك قــد أســدى إلــيــنــا
جــســيــمَــة أمــره ، وبــه ســعِــدنــا
كــذلــك أولُ الخــلــفــاء كــانــوا
بِــنَــا جــدُّوا كــما بهــم جَــدَدْنــا[2]
هُــمُ آبــاؤنــا وهــم بــنــونــا :
لَــنَــا جُــبِــلوا كــما لَهُــمْ جُــبــلــنــا
ونــكــوي بــالــعــداوة مَــنْ بَــغَــانــا
ونُــسْــعِــدُ بــالمــودة مــن وَدِدْنــا[3]
نــرى حَــقَّــاً لــســائــلــنــا عــلــيــنــا
فَــنَــحْــبُــوه ، ونُــجــزل إن وَعَــدْنــا[4]

---

(١) سُسْناهُم : حكمناهم برفقٍ ( عندما كانوا طائعين ) دسناهم أخضعناهم ( بعد عُصيانهم ) .

(٢) أول الخلفاء : الخلفاء الأمويون الأوّلون ـ الجدُّ : الحَظُّ .

(٣) بَغَانا : ظَلَمَنا .

(٤) نَحْبُو : نُعطي ـ نُجزل : نُعطى كثيراً ( نُكْثِرُ ) .

وَنَضْمَنُ جارَنا ونراه مِنَّا
فَنَرْفُدُه ، ونجزل إن رَفَدْنا (١)
وما نَعْتَدُّ دون المجدِ مالاً
اذا يُغلى بمكرُمَةٍ أَفَدْنا
وأَتْلَدُ مجدِنا أنا كرامٌ
بِحَدِّ المشرفيَّة عنه ذُدْنا(٢)

. . . ويموت هشام ويتولَّى الحكم الوليد بن يزيد الذي وفد عليه يزيد بن ضبَّة فَقَرَّبه الخليفة وأجزله ، فَمَدَحه الشاعر بقصيدة سُرَّ الوليدُ بها وأمر أن تُعَدَّ أبياتُها ويُعطى على كل بيت ألف درهم . فعُدَّت أبياتها فَوُجدت خمسين ، فأعطاه الوليد خمسين ألف درهم ، وفي القصيدة نسيبٌ ومديحٌ ومطلعها :

سُليمى تلك في العيرِ
قفي نُخبرك أو سيري

وفيها يقول :

لِتَعْتَامَ الوليدَ القَرْمَ
أهلَ الجود والخيرِ(٣)
بَلَوْنَاهُ فَأَحْمَدْنا
ه في عُسْرٍ ومَيْسورِ(٤)

---

(١) نَضْمَنُ جارَنا : نَحْميه ـ نرفده : نُعطيه
(٢) الأتلَدُ : الأقدمُ .
(٣) تعْتَام : تزور ، تقصد ـ القَرم : البطل الكريم .
(٤) بلوناه : اختبرناه

إمــام يُــوضــح الحــقَّ ، له نــورٌ عــلى نــورِ

مــقـــال مــن أخــي وُدٍّ يحــفظ الــصـــدق مــأثــورِ[1]

والوليد بن يزيد لم يبق في الخلافة الا ثلاثة أشهـر ، ومصير الشـاعر بعد ذلك غير معلوم .

(١) مأثور : معروف منذ زمنٍ قديم .

# كعب الاشقري

هو من شعراء العصر الأموي ، كان فارساً شجاعاً وشاعراً وخطيباً ، وكان من أصحاب المُهَلَّب بن أبي صُفرة المشهورين في حرب الازارقة من الخوارج (غ : ١٤ ٢٨٣) . هَرَب الشاعر من الحجَّاج بن يوسف .

وهجاه ، ولمَّا طلبه الحجَّاج بَعَثه المهلب الى عبد الملك الذي أرسله اليه وطلب إحسانه . ولمَّا دخل كعبٌ على الحجَّاج وأنْشَدَه قصيدة مديح في المهلب بن أبي صُفرة ، منها :

سَلُوا أهلَ الأباطح من قريش
عن العزِّ المُؤبَّد أين صارا[1]
ومن يحمي الثغور اذا استمرَّت
حروبٌ لا يَنُون لها غرارا[2]

---

(١) المؤبَّد : المخلَّد .

(٢) لاينون : لا يفترون غِرارا : غافلين .

فلولا الشيخ بالمصريْن يَنْفي
عدوّهم لقد تركوا الديارا[1]
ولكن قارع الأبطال حَتّىً
أصابوا الامن واجتَنَبوا الفِرَارَا[2]
شهابٌ تنجلي الظلماء عنه
يُرى في كل مُبْهَمَة مَنارا

سأله الحجّاج عن بني المُهلَّب فقال الشاعر : المُغيرة فارسُهم وسيِّدهم ، وكفى بيزيد فارساً وشجاعاً ، وسخيهم قبيصة ، ولا يستحيي الشجاع أن يفرّ من مُدْرِك . وعبد الملك سُمّ ناقع وحبيب موت ذعاف ، ومحمد ليثُ غاب . وكفاك بالمُفَضَّل نجدةً .

قال الحجّاج : فكيفَ خَلَّفْتَ جماعةَ الناس ؟ قال كيف : خَلَّفْتُهم بخير قد أدركوا ما أمَّلوا وأَمنُوا ما خافوا . . . قال الحجّاج : فكيف كنتم أنتم وعدوُّكم ؟ قال كعبٌ : كنا إذا أخذنا عفونا ، واذا أخذوا يَئِسنا منهم ، واذا اجتهدوا واجتهدنا طَمِعْنَا فيهم . قال الحجّاج فكيف كان المُهلَّب وكيف كنتم له ؟ قال كعب : كان لنا منه شفقةُ الوالد وله مِنّا برُّ الولد . . . قال الحجّاجُ : أكنت أعدوت لي هذا الجواب ؟ قال كعب . لا يعلم الغيبَ إلّا الله . . . فناظره الحجّاج قليلاً ثم عَفَا عنه .

. . . وكانت صلة الشاعر بيزيد بن أبي المُهلَّب سيئةً ، فلمّا تولى يزيد هرب كعب الى عُمان وفي ذلك يقول :

وإني تاركٌ مَرْواً ورائي
الى الطَّبَسيْن معتامٌ عُمانا[3]

---

(١) المصران : الكوفة والبصرة .

(٢) ويروى : « احتلبوا » .

(٣) الطبسان : طبس العناب وطبس التمر ( ويقصد باب خراسان ) ـ اعْتام اختار

لآوي معقلاً فيها وحِرزاً
فكنا أهل ثروتها زمانا

ومع أن الشاعر لم يستطب الاقامة فيها فقد بقي حتى وفاته . وقد كان بينه وبين قريب له عداوة ، فلمّا كانت فتنة يزيد بنْ المهلب عَدَا عليه قريبه فقَتَله .

وَيُروى أن يزيد قد حَبَسَ الشاعر ودسَّ إليه ابن اخ له فقتله .

والشاعر في منفاه عاتب آل المهلب :

بئس التبدل من مَرْوٍ وساكنها
أرضُ عُمان وسكنى تحت أطرادِ
افنيتُ خمسين عاماً في مديحكم
ثم اغتررت بقول الظالم العادي
أبلغ يزيد قرين الجود مألُكةً
بأن كعباً أسيرٌ بين أصفادِ
فإن عفوت فبيت الجود بيتُكُم
والدهر طوران من غيٍّ وإرشاد



# العُدَيْل بن الفَرْخ العجليّ

هو من شعراء العصر الأموي ـ كان شاعراً مُقِلاًّ وفارساً جريئاً ؛ وعُرِف بالغزو منذ أيام عبد الله بن الزبير ، وكان قد هَجَا الحجَّاج فَهَرب منه الى قيصر الروم مُستنجداً فأَجاره وأَمَّنه[1] .

وقال في بلاد الروم :

أُخَـوَّفُ بـالحـجَّـاج حَـتَّى كـأَنَّمـا
يُحَـرِّكُ عـظمٌ في الـفـؤاد مـهـيضُ[2]

ودون يَـدِ الحـجَّـاج من أن تَـنَـالي
بِسـاطٌ لأيـدي الـنـاعـجـات عـريضُ[3]

مَـهَـامَـهُ أشـبـاهٌ كـأنَّ سـرابَهـا
مِـلاءٌ بـأيـدي الـغَـاسـلات رحـيضُ[4]

---

(١) الحماسة ـ الجزء الاول : الصفحة ٣٠٣ .

(٢) مهيض : مكسور .

(٣) بساطٌ : مسافةٌ ـ الناعجات : مفردها الناعجة : الناقة البيضاء السريعة .

(٤) مهامه : مفردها : مهمه ومهمهة : فلاة أو صحراء ـ ملاء : قطع من النسيج ـ رحيض : رحَضَه : غسله .

وبعد ذلك كتب الحجّاج الى القيصر يطْلبه فَرُدَّ الى الحجّاج ومثل بين يديه ، فقال له : أنت القائل ؟

ودون يد الحجّاج من أن تنالني . . .

فقال : أنا القائل :

فلو كنت في سَلْمى أجاوَ شعابها
لكان لحجّاج عليَّ دليلُ[1]
خليلُ أمير المؤمنين وسيفُه
لكلِّ إمام صاحبٌ وخليلُ
به قُبَّةُ الاسلام حتى كأنَّما
هَدَى النَّاسَ من بعد الضَّلال رسولُ
به نَصَر الله الخليفة منهم
وَثَبَّتَ مُلْكاً كاد عنه يزول[2]

فَعَفا عنه وأطلقه ، وبعد أن عَفَا عنه الحجّاج قال قصيدةً بارعةً فيها غزل وفخرٌ :

صَرَمَ الغوانى واستراح عواذلي
وصحوتُ بعد صبابةٍ وتمايُلِ[3]
لَعِبَ النَّعيمُ بِهنَّ في أظلاله
حَتَّى لبِسْنَ زمان عيش غافل[4]

(١) أجا وسلمى : جبَلان في بلاد طيء يصعب الوصول إليها ـ الشِعاب جمع شعب : الطريق في الجبل .
(٢) به : بالحجّاج ـ نصر الله الخليفة : نَصَرَ عبد الملك .
(٣) الغواني : النساء الجميلات ـ الصرم : القطع .
(٤) غافل : عن متاعب الحياة .

يـأخـذن زيـنـتـهـن أحـسـنَ مـا تـرى

وإذا عَـطِلْنَ فَـهُـنَّ غـيرُ عَـوَاطِـلِ[1]

---

(1) غيرُ عواطل : من الجمال الطبيعي .

# محمد بن عبد الله النُّميري

هو من شعراء الغزل المُغامرين نَشَأ في الطَّائِف وأَحَبَّ زينب بنت يوسف بن الحكم شقيقة الحجَّاج وكان يتْبَعها حيثما تنتقل مع أخيها . وأراد الحجَّاج أن يُوقع به فهرب الى اليمن ثم الى الشام واستجار بعبد الملك ، وفي ذلك يقول :

أتتني عن الحجَّاج ، والبحرُ دونَنا
عقاربُ تسري والعيون هواجعُ[1]
فَضِقتُ بها ذرعاً وأجهشت خيفةً
ولم آمَنِ الحجَّاجَ والأمرُ فاظِعُ[2]
وحَلَّ بي الخَطْبُ الذي جاءني به
سميع فليست تستقرُّ الأضالِعُ
فبِتُّ أُدير الامر والرأيَ ليلتي
وقد أخضلت خدِّي الدموعُ التَّوابِعُ[3]

(١) عقارب : تهديدٌ بالقتل : السُّرى : المشي في الليل - هواجع : نائمات -
(٢) فاظع : فظيع .
(٣) أخضلت : بلَّلت - التَوابع : المُتابعة .

وما أَمِنَت نفسي الذي خِفْتُ شَرَّه
ولا طابَ لي مِمّا خشيتُ المضاجِعُ
إلى أن بدا لي رأسُ إسبيل طالعاً
وإسببيلُ حصنٌ لم تَنَلْهُ الأصابع[1]
فَلي عن ثقيفٍ - إن هَمَمْتُ بنجوةٍ -
مَهَامهُ تهوى بينَهُنَّ الهجارعُ[2]
وفي الارض ذات العَرْض عنك ابن يوسفٍ
إذا شِئْتُ مَنْأىً - لا أبا لك واسعُ
فإن نِلْتني ، حَجَّاجُ ، فاشتفِ جاهداً
فإن الذي لا يحفظ الله ضائعُ

. . . وكتب عبد الملك الى الحجَّاج فَأَمَّنَهُ وجاء إليه وطلب منه الخليفة ان يُسمعه القصيدة التائية التي قالها في شقيقته زينب ، فأنشد النميريَ وكان الحجَّاج يُعلّق على بعض أبياتها في أثناء الانشاد . ومن هذه القصيدة قوله :

تَضَوَّع مسكاً بطنُ نَعْمان إذ مَشَتْ
به زينبٌ في نسوة عَطراتِ
تَهادَيْنَ ما بين الُمحصَّب من مِنىً
وأَقْبَلْنَ لا شُعْثاً ولا غَبراتِ[3]
يُخَبِّئْنَ أطراف البنان من التُّقى
ويَقْتُلْنَ بالألحاظ مُقْتَدرات

(١) رأس إسبيل : جبل في اليمن .
(٢) هممت : عزمت - نجوة : مُنْجى - مهامه : صحارى - تهوى : تسير مُسرعة الهجرع : الكلب السلوقي .
(٣) لُمحصَّب : مكان رمي الجمار الحجارة ) - مِنى : مكان مبيت الحجيج .

فعَفا عنه الحجاج بعد شفاعة عبد الملك الذي أخبر الحجاج بقوله :

« إن النميري جاري فلا تمسَّه بسوء » .

# مالك بن الرَّيب

هو من شعراء العصر الأموي كان شجاعاً فاتكاً لا ينام إلاَّ متقلِّداً سيفه ، طلبه مروان بن الحكم مع ثلاثة من أصحابه الفاتكين فهربوا الى فارس وفي ذلك يقول :

فإن تُنْصِفُونا ، يال مروان ، نقتربْ
إليكم ، وإلَّا فأذنوا ببعاد

فإن لنا عنكم مَزاحاً ومَرْحَلاً
بعيسٍ الى ريح الفلاة صوادي[1]

ففي الأرض عن دار المذلَّة مذهبٌ
وكل بلاد أُوطِنَتْ كبلادي[2]

فماذا ترى الحجَّاجَ يبلغ جُهْدَهُ
اذا نحنُ جاوزنا حفيرَ زيادِ[3]

(١) المزاح : الانتقال والابتعاد ـ الصَّوادي : العطاش .
(٢) أُوطنت : صلُحت للسُّكن .
(٣) الحفير : القبر ، والحفير : اسم موضع بين مكة والبصرة .

فلولا بَنُو مَرْوان كان ابنُ يوسف
كما كان ، عبداً من عبيد إيادِ
زمان ، هو العبدُ المُقِرُّ بذلَّةٍ
يُراوح صبيان القُرى ويُغادي [1]

ولمَّا ولَّى معاوية بن أبي سفيان سعيد بن عثمان على خراسان استتابه وأجزله .

---

(١) يُراوح صبيان القُرى ويُغادي : كان الحجَّاج مُعَلِّماً للأولاد .

# الأحوص

اسمه عبد الله ، والأحوص لَقَبٌ غلب عليه ( والحَوَصُ : ضيقٌ في مُؤخر العين ) ، وهو من شعراء العصر الأموي ؛ وكان شاعراً لـه غزلٌ رقيق ولفظ سهلٌ عذب ، وتعبيـرٌ فيه الصَّفـاء والحلاوة والـرَّشاقـة ، وكان هَجَّاءً للنَّاس[1] .

ومِمَّا يُروى عن استخفافه قولُهم : « إن سُكينة بنت الحسـين فخَرت يوماً بجَدِّها رسول الله فَفَاخَرَها بجَدِّه فأمر الوليد بن عبد الملك واليَـهُ على المدينة عُمر بن عبد العـزيز بجلده لـذلك ولَمَـا شاع عنـه من التعدِّي عـلى أعراض النَّاس » .

يقول الأحوصُ مفتخراً بجدِّه :

فَـخَـرتْ وانـتـمـت فـقـلتُ ذريـني
لـيس جـهـلٌ أتـيـتـه بـبـديـعِ

---

(١) الاغاني : ٤ : ٢٢٣ ـ ٢٦٨ ، ٦ : ٢٥٣ ـ ٢٥٩

فـأ[illegible] ابـن الـذي حَمَـتْ لحـمـه الـدّبْـرُ
قـتـيـلِ الـلحـيـانِ يـومَ الـرَّجيعِ [1]

غـسـلـت خـالِيَ المـلائـكـةُ الأبـرارُ
طُـوبى لـه مـن صـريـعِ

وَشُغف الأحـوصُ في حياتـه بامـرأةٍ من الانصار هي أُمُّ جعفـر بنت عبـد الله من بني مـالـك بن الأوس أهـل المـدينـة ، وأكـثر فيهـا التشبيب واستهتر في ذلك حتى استعدى عليه أخـوها ، أيمنُ » واليَ المدينة عُمَـرَ بن عبد العزيز . ومن أقواله في أم جعفر :

وإني لـيَـدعـوني هـوى أم جـعـفـر
وجـاراتِـهـا مـن سـاعـةٍ فـأجـيـبُ [2]

وإني لآتي الـبـيـتَ مـا إن أُحِـبُّـه
وأُكـثِر هـجـرَ الـبـيـت وهـو حـبـيـبُ

وأُغـضي عـلى أشـيـاءَ مـنـكـم تَـسُـوءني
وأُدعى الى مـا سـرَّكـم فـأجـيـبُ

هـبـيـني امْرءاً إمَّـا بـريئـاً ظـلمـتـه
وإمَّـا مُـسـيئـاً مُـذنـبـاً فَـيَـتُـوب

فـلا تـتـركـي نـفـسي شـعـاعـاً فـإنَّها
من الحُزنِ قـد كـ[illegible]ت عليك [illegible]ذوب

[illegible] بن عبد الملك نَفي الأحوص لاستخفافه الى

---

(١) استشهـد جدُّه ، ( قـد قتله المشركـون ) وأرادوا أن يصلبـوه فحمَتْهُ الـدَّبْـرُ ( لكثرة ما كان عليه من النَّحل ) المصدر نفسه ـ يوم الرَّجيع (٤ هـ ) .

(٢) من ساعةٍ : من مسافة ساعةٍ .

(٣) شُعاعاً : متفرِّقةً من الخوف .

جزيرة ( دهلك ) في جنوب البحر الأحمر ومَكَثَ هناك فترتي سليمان وعمر بن عبد العزيز كُلَّها ( نحو خمس سنوات ) وبعد ان ولى عمر كتب إليه من منفاه يستأذنه في القدوم ويمدحه فأبى ان يأذن له :

أيا راكباً إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ
ـ هُديتَ ـ أمير المؤمنين ، رسائلي
وقل لأبي حَفْصٍ اذا ما لقيتَه
لقد كنتَ نَفَّاعاً قليلَ الغوائلِ[1]
وكيف ترى للعيش طيباً ولذَّةً
وخالُك أمسى مُوْثقاً في الحَبائِلِ[2]

ثم جاء رجالٌ من أنصاره الخليفة عُمَر بن عبد العزيز فكَلَّموه فيه وسألوه ان يستقدمه وقالوا له : قد عرفتَ نسبه وموضعه وقديمه ، وقد أُخرج الى أرض الشرك ، فنطلب إليك أن تَرُدَّه الى حَرم رسول الله ودار قومه ، فقال لهم عُمر : فَمن الذي يقول :

فَمَا هو إلاَّ أَنْ أُراها فُجاءةً
فَأُبْهَتَ حتى ما أكاد أُجيبُ[3]

قالوا : الأحوص ، قال : فمن الذي يقول :

أدور ولولا أن أرى أم جعفرٍ
بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ
وما كنت زوَّاراً ولكنَّ ذا الهَوى
إذا لم يَزُرْ لا بُدَّ أنْ سيزورُ

---

(١) الغوائل : جمع الغائلة : الحقدُ الباطن والشرُّ .
(٢) مُوثق : مُقيَّد .
(٣) يُروى هذا البيت لعُروة بن حزام العذري .

قالوا : الأحوص ، قال : فمن الذي يقول :

كأنَّ لُبنى صبيرُ غاديةٍ
أو دُمْيَةٌ زُيِّنَتْ بها البِيعُ[1]
الله بيني وبين قَيِّمِها
يفرُّ مني بها وأتَّبعُ

قالوا : الأحوص ، قال : بل الله بين قَيِّمِها وبينه ، فمن الذي يقول :

ستبقى لها في مُضْمَرِ القلب والحشا
سريرة حبٍّ يوم تُبلى السرائرُ

قالوا : الأحوص ، قال : إن الفاسقَ عنها يومئذٍ لمشغول ، والله لا أردّه ما كان لي سلطان[2] فبقي هناك مدّة ولاية عمر وصدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك وكان خليفاً مستهتراً ، فَرَدَّ الأحوَصَ من منفاه واتخذه نديماً له :

ومن مديحه يزيد بن عبد الملك قولُهُ :

كريمُ قريشٍ حين يُنْسَبُ والذي
أقرَّت له بالملك كَهْلاً وَأمْرَدَا[3]
وليس وإن أعطاك في اليوم مانعاً
إذا عُدَّت ، من أضعافه غَدَا

---

(١) الصَّبير : الكفيل ، السحابة البيضاء أو الكثيفة التي فوق السَّحابة ـ الغادية : السَّحابة ـ البيع : الصَّوامع والبيعة : مُتعبَّدُ النَّصارى .

(٢) الأغاني : ٤ : ٢٢٣ ـ ٢٦٨ ، ٦ : ٢٥٣ ـ ٢٥٩

(٣) الأمرد : الشاب الذي لم تنبت لحيته .

أهان تِلادَ المال في الحمد، إنه
إمامُ هدىً يجري على ما تعوَّدا (١)

تشرَّف مجداً من أبيه وجَدِّه
وقد ورِثا بُنيانَ مجدٍ تشيَّدا

(١) التلاد: المال القديم الموروث.

# هلال بن الاسعر المازنيّ

هـو من مُخضـرمي الدولتـين الأمويـة والعباسيـة كان شـاعراً فـارساً شجاعاً ، شـديد البـأس والبطش ، ويُـروى أن هلالاً قتـل رجلاً من بني جلاّن من بكر بن وائل كان جـاراً لبني عمِّه ، فـطلبه الحجّـاج بن يوسف وتخلّى عنه قومه حتّى قبض عليـه الحجّاج وحَبَسـه مُقيَّداً ، غـير أن الشاعـر استطاع الهرب وغادر البصرة الى اليمن ( غ ٣ : ٥٠ ) .

. . . ومن اليمن أخذ يرسل أشعار العتاب الى قومه ، يذكر قرابتـه وحقّه عليهم في مُناصرته :

بـني مـازن لا تـطردوني فـإنني
أخـوكـم وإن جـرَّت جـرائـرهـا يـدي[1]

ولا تـجعـلوا أكـبـار بـكـر بـن وائـلٍ
بـتـرك أخـيـكـم كالخـليـع المُـطَرَّدِ[2]

(١) جَرَّت : جنت ، اذنبت ارتكبت ـ الجرائر : جمع الجريرة الجناية ، الذنب .

(٢) الخليع : المخلوع الـذي تبرّأ من قـومـه ـ المطرَّد الـذي يـطارده الـوالي او الدولة .

ولا تجعلوا حفظي بظهرٍ وتحفظوا
بعيداً ببغضاء تروح وتغتدي
فإن القريب حيث كان قريبكم
وكيف بقطع الكفّ من سائر اليَدِ
وإن البعيدَ إن دَنا فهو جارُكم
وإنْ شَطَّ عنكم فهو أبعدُ أبعدِ
وإني وإنْ أَوْحَدْتُموني لَحَافظٌ
لكم حفظَ راضٍ عنكمُ غير مُوجَدِ

ويتابع أبياته مُفتخراً بفروسيته وشجاعته التي لا تخفى على أعدائه ، وبأنه حامي حمى القوم وكيف لا ؟ وهو الصارم العضب في وجه خصومه :

سيحمي حماكُم وإن كنت غائباً
أَغَرُّ اذا ما رِيْع لم يتَبَلَّدِ
وتعلمُ بكرٌ أنكم حيث كنتمُ
وكنتُ من الأرض الغريبة مُحْتِدي
وإني ثقيلٌ حيث كنت على العدا
وإني وإن أُوْحِدْتُ لست بأوحدِ[1]
وإنّهم لَمّا أرادوا هضيمتي
مُنُوا بجميع القلب عَضْبٍ مُهنَّدِ
حُسامٍ مَتَى يعزم على الأمر يأتِهِ
ولم يتوقّف للعواقب في غدِ

---

(١) أُوحِد الرجل : تركه قومه وحده مع اعدائه. وقوله : لست بأوحد : لست وحيداً ـ مُنفرداً بل معي قوتي . وشجاعتي .

وأما خصومه فَيصفُهم بأنهم هم الذين كانوا البادين بالظلم الذي عبَّر عن قِلَّة تقديرهم وحلمهم وضآلةِ عزتهم

وهم بدؤوا بالبغي حتى إذا جُزوا
بأفعالهم قالوا لجارهمُ قَدِ

فلم يَكُ منهم في البديهة مُنْصِفٌ
ولم يكُ فيهم في العواقب مُهْتَدِ

ولم يفعلوا فعل الحليم فيحلموا
ولم يفعلوا فعل العزيز المؤيَّد

وبنَفَسٍ بدويٍّ جاهليٍّ يقول عن نفسه في القصيدة ذاتها ؛ ( وكأنه أحد شعراء الصعاليك :

فإن يَسْرِ لي إيعادُ بكر فربَّما
مَنَعْتُ الكرى بالغيظ من مُتَوَعِدِ

ورُبَّ حِمَى قومٍ أبَحْتُ ومورِدٍ
وردت بفتيان الصَّباح ومَوردِ

وَسَجْفٍ دَجُوجيٍّ من الليل حالكٍ
رفعتُ بَعَجْلى الرِّجلَ موَّارة اليدِ[1]

سفينة خوَّاضٍ بُحورَ همومه
قليل ثباتِ العزم عند التردُّد

جسورٍ على الأمر المهيب إذا ونَى
أخو الفَتْكَ ركَّابٍ قَرَى المُتهدِّد[2]

ومن قصائده التي قالها في غربته يشكو الزمن الذي قَسَا ففرَّق بين الأهل والأحبَّة ويحنُّ لأيَّامٍ غُرٍّ مَوَّاجةٍ بالوصل والحُبِّ :

---

(١) السَّجف : الشق ، وأسجفَ الليلُ : أسدف (أظلم) والسُّجفة : ساعةٌ من اللَّيل - دَجَا الليل : أظلم .

(٢) وَنَى : تَوانى .

أقولُ وقد جاوزت نعمى وناقتي
تحِنُّ الى جنبي فُلَيْجٍ مع الفجرِ
سقى الله يا ناقَ البلادَ التي بها
هواكِ وإن عنّا نأت سَبَلَ القَطْرِ
فَمَا عن قِلىً منّا لها خَفَّتْ النّوى
بِنَا عن مَرَاعيها وكُثبانها العُفْرِ[1]
ولكن صَرْفَ الدهر فَرَّقَ بينَنَا
وبين الأداني ، والفَتَى غَرَضُ الدَّهْرِ[2]
فَسَقْياً لصحراء الإِهالة مَرْبعاً
ولِلْوقَبَى من منزلٍ دَمِثٍ مُثْرِ[3]
وسقياً ورعياً حيث حلّت لمازنٍ
وأيّامِها الغُرِّ المحجّلة الزُّهْرِ[4]

ثمَّ عاد الشاعر الى بلاده وعُمِّر طويلاً ومات بعد بلايا عظام مرَّت على رأسه[5] .

---

(١) عن قلى : عن كره .

(٢) صُروف الدهر : حَدَثانُه ونوائبُه .

(٣) هالَ عليه الترابَ : صبَّهُ ، والهَيْل والهَيْلانُ : ما انهال من الرمل ويُقال : جاء بالهَيْل : جاء بالرَّمل - وللوقبى : اسم موضع الماء كان لبني مازن ( القاموس المحيط . ١ : الصفحة ١٣٧ : السطر الاخير من الصفحة ) .
دمِث : سهل ، ليّن ، والدَّماثة : سُهولة الخُلُق .

(٤) الغُرّ : الأغرّ : الابيض - حجّلت المرأةُ بنانها : لوّنت خَضابَها ، والحجل بالكسر : البياضُ نفسه ، والتحجيل : البياضُ في قوائم الفرس فيقال : فَرَسٌ محجول ومُحَجَّلٌ - الزهر : المُشرقة .

(٥) الاغاني : ٣ : ٥٠ - ٧٢

# تميم بن المُعِزّ الفاطمي

كان شاعراً وأميراً عاش حياته ماجناً مُستهتِراً ، ولمجونه أوصى أبوه بولاية الحكم من بعده لأخيه نزار . ولمّا انتقلت دولتهم من القيروان الى القاهرة كان تميم مع أبيه وَعُمره يوم ذاك خمسٌ وعشرون سنة .

وفي القاهرة أقامَ تميمٌ القصور وحولها البساتين الجميلة ، وأخذ يلهو ويَعْبث ثم تُوفي أبوه وجاء من بعده أخوه نزارٌ وكانت علاقتهما علاقة الحب والوُد الى أن أوقع بينهما الوشاة فنَفَى نزارٌ أخاه الى الرملة في فلسطين ، وفي منفاه قال الشاعر مُفتخراً :

أنا ابن المُعزِّ سليلُ العُلا
وصِنْوُ العزيز إمام الهُدَى[1]
سَمَا بي مَعَدٌّ الى غايةٍ
من المجدِ ما فوقها مُرْتقى[2]

---

(١) (٢) المعِزُّ والعزيز ومَعَدّ : خلفاء فاطميّون .

ولستُ بوانٍ إذا ما أَمَرَّ

زمانٌ ، ولا فرحٌ إن حَلاَ[1]

إذا أصبح الموتُ حتماً فَلاَ

تَخَفْهُ دَنَا وَقْتُهُ أو دَنَا

ثُمَّ عَفَا عنه أخوه وأعاده الى القاهرة موطن هُوه وعَبَثه

دَعْ مقال العاذلات

والْهُ عن سعي السُّعَاةِ[2]

واشرب الراح وشُبْهَا

بالثَّنايا العَطِراتِ[3]

وفيها كانت وفاته .

(١) وانٍ : فاتر الهمَّة ، تَعب ـ أمرَّ : صار مُرّاً بصروفه

(٢) السُّعاة : جمع ساعٍ : ناقل الاخبار بين النَّاس بقصد التفرقة والبغضاء

(٣) وشُبْ : امْزج .

# ابن عُنين

هو من شعراء الشام ، ولد في دمشق ( ٥٤٩ هـ - ١١٥٤ م ) وقال الشعر في سنٍّ مُبكِّرة وبعد أن تمكَّن من النظم انصرف الى الهجاء المقذع يَتَناول به عامَّة النَّاس وذوي الشأن من أهل الحكم .

ولمَّا أكثر من هجائه وشكاه النَّاسُ أبعده صلاح الدين بعد استيلائه على دمشق ، وراح مُتَنَقِّلاً في العراق والحجاز واليمن والهند . . . وفي غربته كتب قصيدة يستأذن فيها الملك العادل أخا صلاح الدين في العودة الى دمشق :

ماذا على طيف الأحبَّة لو سرى
وعليهمُ لو سامحوني بالكرى[1]
جَنَحوا الى قول الوُشاة وأعرضوا
والله يعلم أن ذلك مُفْتَرى

(١) السُّرى : المشي في الليل .

يـا مُـعـرِضـاً عـنـي بـغـير جـنـايـةٍ
إلا لِمـا رَقَشَ الحسـودُ وزوَّرا[1]

لا يُجْـمـعَـنَّ عـليَّ عـتـبُـك والـنَّـوى
حَـسْـبُ المُـحِـبِّ عـقـوبـةً أن يُهْـجـرا

فَـسَـقـى دمشـق وواديـيـهـا والحِـمـى
مُـتـواصِـلُ الارعـادِ مُنْـفَـصِمُ العُـرى[2]

أرضٌ إذا مـرَّت بهـا ريـحُ الـصَّـبَـا
حَمَـلَتْ عن الأغـصـان مِـسـكـاً أذْفَـرا[3]

قـالـوا وقـد حـاط الـنُّـعـاسُ جـفـونَهم
أيـن المُـنـاخ ؟ فـقـلتُ جِـدُّوا في الـسُّـرى

لا تَـسْـأمـوا الادلاج حـتى تُـدركـوا
بـيضَ الايـادي والجـنـابَ الأخـضـرا

في ظـلِّ مـيـمـون الـنـقـيـبـة طـاهـر الـ
أعـراق مـنـصـور الـلواء مُـظَـفَّـرا[4]

الـعـادِل المَـلِك الـذي أسـمـاؤه
في كـل نـاحـيـة تُـشـرِّف مِـنْـبـرا

بـين المـلوك الـغـابـريـن وبـيـنَـه
في الـفـضـل ، مـا بـين الثُّريَّا والـثَّـرى

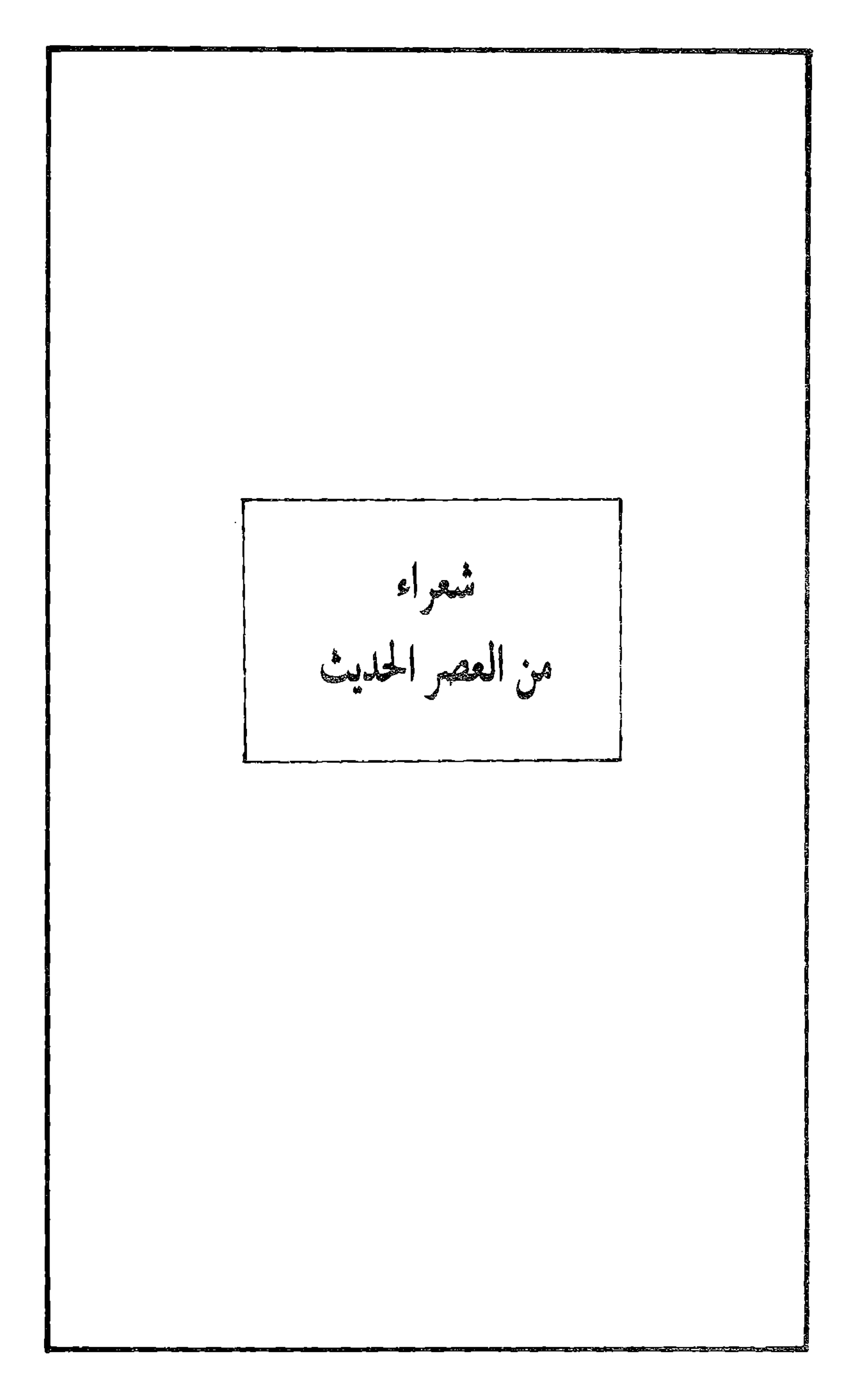
مـلِكٌ إذا خـفَّـت حـلوم ذوي الـنُّـهـى
في الـرَّوع زاد رزانـةً وتـوقَّـرا[5]

---

(١) رقش : نقش ، لوَّن .
(٢) متواصل الارعاد ، غيمٌ كثير الرَّعد .
(٣) أذفر : شديد الرائحة .
(٤) ميمون : مُبارك ـ الاعراق : الأصول .
(٥) في يوم الرَّوع : في يوم الخوف ( الحرب ) .

يعفو عن الذنب العظيم تكرُّماً
ويَصُدُّ عن قول الخَنَا مُتكبِّراً

ثم عاد الى دمشق ونال حظوة عند الملك عيسى بن الملك العادل فأصبح شاعره ونديمه ووزيره .



# شعراء
# من العصر الحديث

# محمود سامي البارودي[1]

هو من الشعراء المجددين في الشعر العربي الحديث ، كان له الفضل في بعث هذا الشعر من رقدته الطويلة ليغدو شعراً يتّسِم بالحيوية والامْتَاعِ الفنيّ الاصيل . ويقول عن نفسه :

أنـا فـارسٌ أنـا شـاعـرٌ
في كـل مـلحـمـةٍ ونـادي

ونُفي هذا الشاعر الى « سرنديب » بعد أن اخفقت الثورة العرابية التي اشترك فيها . وفي منفاه نظّم أشعار الألم والغربة مُدَّة خمسة عشر عاماً ، وغني هذا الشعر باللوعة والحنين والشكوى

. . . ويبدأ الشاعر تجربة المنفي بوصف سبيله اليه وما في هذا السبيل من مشاق ومتاعبَ تغتال فَرَحَ النُفوس الرَّاكبة مَتْنَ اليمِّ الرَّاحلة بعيداً عن قريبٍ حبيبٍ غالٍ ووطنٍ أمٍّ أغلى :

(١) الجزء الاول من الكتاب : الصفحة . ١٧٥

إني لما أفضتْ بي غوائل الزمن ، الى مُفارقة الأهل والوطن ، وحقَّت كلمة الوداع ، وأنْصَت كلُّ مُجيبٍ وداع ، سارت بأشباحنا الفلكُ ، بتقدير مَنْ له المُلْكُ فلمّا توسَّطْنَا لُجَّةَ اليمِّ وغشيتنا ضبابة الهمِّ ، أخذ البحر يهدر ويموجُ ، والريح تعصف وتروجُ ، والدَّجْن يبرق ويُرعدُ ، والموتُ يقربُ ويبعدُ ، والفلك بين صعودٍ وهبوط والناسُ بين رجاءٍ وقنوط ، فشخصت الابصار ، وغابت الانصار ، وأقبل الفَزَعُ واستولى الجَزَع ، وشغلت الدموع المحاجر ، وبلغت القلوب الحناجر ، هنالك دعا ربَّهم الغافلون ، وكفَّ أذيالهم الرَّافلون ، فلا ترى إلاَّ ناكسَ الطرف لا يَنْبِسُ بحرفٍ ، كأنما أطلَّتهم الرَّجفة ، أو غشيتهم الوجفة ، فهم لفرط الحيرة خمود ، تحسبَهُم أيقاظاً وهم رقود ، فلم يزل يتخبَّطُنا اليمُّ ويأخذ بأكظامنا الفيظ ، حتى كادت الانفس تزهق ، وأظفار المنية ترهق ونحن في وعاء لا نملك غيرَ الدُّعاء ، وهدأت ثورة ابن بريح ، وتجلَّت بنورها السَّماء ، واصطلح الماء والهواء ، فقرت الانفسُ في الصدور ، وتنفَّس كلُّ مصدور ، ولم يبق إلاَّ سوق الحديث ، من قديمٍ وحديث والفلك يمخر البحر بجؤجؤه [1] ونحن من الشهر في دؤدؤه [2].

حتَّى انتهى بنا الدَّبيب ، ولاحت عين سرنديب .

منازلُ لم تألف بها النفسُ مألفاً
على أن فيها كل ما تشتهي النَّفْسُ
ولا عيبَ فيها غيرَ أن ليس لي بها
أنيسٌ ، وفقد الخِلِّ في غُرْبةٍ حَبْسُ [3]

---

(١) الجؤجؤ : جأج : وقف جُبناً .
(٢) الدؤدؤة : دأدَ : لهَا ولعِبَ .
(٣) الخِلُّ : الصَّاحب .

وكـيـف بـطيـب الـعـيشُ في ظـلّ بـلدةٍ
خَـلاءٌ مـن الأُلاَّفِ لـيس بهـا أُنْسُ

فدخلتها مشبوب الانين ، على الأهل والبنين ، لا أستطيع لِمَا عَرَاني دَفْعَا ، ولا أَمْلِكُ لنفسي ضَـرّاً ولا نَفَعاً ، ومـا ظنُّك بِمَنْ غـاب عنه السَّميرُ ، والتاعَ بالفرقـة منه الضَّمـيرُ ، فهو بـين همومٍ نـاصبةٍ ، وأحـزانٍ واصبةٍ ، وأشجان يهلك لَهَا الصَّبْرُ ، ومرارةٍ يحلو عندها الصَّبْرُ ، إن نَـطَقَ فبصوتٍ لا يُدركه السَّمْعُ او نَظَر فَبعينٍ ملأها الدَّمْعُ »

غـريـبٌ تَخَـطَّاه الأسـاةُ فَـمَا لـه
سـوى عَـبـرات الـمـقـلتـين طـبـيـبُ
ومـا أَسَـفـي أني غـريـبٌ عـن الحِـمَـى
ولـكـنـني بـين الأنـامِ غـريـبُ

وتذوب نفسُ الشاعرِ في منفاه ، شوقاً الى الأهـل وحنيناً الى الـوطن والاصحاب ، إذ لا خِلَّ هنا يُؤنِسُهُ ولا قريبٌ يألفه ، بل الغربة المُوحشة والبيْنُ القاتل ، والدمع السَّابل :

أظَـلُّ فـيهـا غـريـب الـدَّارِ مُبتئسـاً
نـابي المـضـاجـع مـن هـمٍّ وأوجـاعِ (١)
لا في سـرنـديـب خِـلٌّ أسـتـعـينُ بـه
عـلى الهـمـوم اذا هـاجـت ولا راعِ
يـظنُّـني مـن يـراني ضـاحـكـاً جـذلاً
أني خـليٌّ ، وهمّـي بـين أضـلاعـي

---

(١) نَبا جَنْبُه عن الفراش : لم يطئمنّ عليه ، ونبا منزلة به : لم يوافقه ونبا السَّهم عن الهدف قصَّر .

لا وربِّكَ ما وجدي بِمُندرسٍ
على البعاد ولا صبري بمطواع
لكنَّني مالكٌ حزمي مُنتظرٌ
أمراً من الله يشفي برح أو جاعي (١)
أكفُّ غرب دموعي وهي جاريةٌ
خوفَ الرَّقيب وقلبي جِدُّ مُلْتَاعِ
فإنَّ يَكُنْ ساءني دهري وغادرني
رهنَ الأسى بين جَدْبٍ بعد إمراعِ (٢)
فإنَّ في مِصْرَ إخواناً يَسُرُّهُمُ
قربي ويعجبهم نظمي وإبداعي

وفي القصيدة التي يصف فيها الفراق وصفٌ لنفسه عفويٌّ صادق ينفي التصنُّع أو التكلُّف ؛ هذه النفس التي اكتوت بآلام الفراق وراحت مُودِّعةً أحبابَها وخِلاَّنها وفي القلب زفرة وفي العين دمعة الى حيث الشقاء والهَمُّ والاغتراب .

وهكذا يحيا الشاعر غربته ، يحياها صراعاً نفسيًّاً بين الحزم والحنين وبين الصبر والأسى :

مَحَا البَيْنُ ما أبقتْ عيونُ المَهَامنيٌ
وشبتُ ولم أقضِ اللبانة من سنيِّ (٣)

---

(١) البَرْحُ : الشِدَّة .
(٢) إمراع : إخصاب ـ والمربع : الخَصِيبُ .
(٣) المها : ج مهاة وهي البقرة الوحشية ، وشبِّهت بها النساء الجميلات العيون لجمال عيونها ـ اللبانة : القصد ـ السن : العمر .

عَـنَـاءٌ ويـأسٌ واشـتـيـاقٌ وغـربـةٌ

ألا شـدَّ مـا ألـقـاه في الـدَّهـر من غَـبْنِ (١)

فـإنْ أكُ فـارقـتُ الـديـار فـلي بهـا

فـؤادٌ أضَـلَّتْـهُ عـيـونُ المَـهَـاعَـنيٍّ

ولَّمـا وقَـفْـنـا لـلوداع وأسـبلتْ

مـدَامِـعُـنـا فـوق الـتـرائـب كـالمـزنِ (٢)

أهـبـتُ بـصـبـري أن يـعـود فـعـزَّني

ونـاديـتُ حـلمـي أن يثـوب فلم يُـغْـنِ (٣)

ومـا هـي إلاَّ خَـطْرةٌ ثُـمَّ أَقْـلَعَـتْ

بِـنَـا عن شـطوط الحـيِّ أجنحـةُ السُّـفْنِ (٤)

فـكم مُـهجـةٍ مـن زفـرة الـوجـد في لَـظَىً

وكـم مـقـلةٍ مـن غـزرة الـدمـع في دَجْـنِ (٥)

ويقول البارودي الذي عَرفته القصور المُترفة شاعرها ووزيرَها إنَّه مَا جَرَّبَ البَيْنَ الذي يجرح ؛ لذا يُعَلِّل حُزْنَهُ :

ومـا كـنـتُ جـرَّبتُ الـنَّـوى قـبـل هـذه

فـلَمَّا دَهـتْـني كـدتُ أقـضـي مـن الحـزنِ (٦)

---

(١) الغبن : النقص فيما يجب للرجل من الحق .

(٢) الترائب : العظام في أعلى الصدر ـ المزن : ج مزنة : السَّحابة الممطرة

(٣) أهبت به ناديته ودعوته ـ عزَّني : صَعب عليَّ ـ يثوب : يرجع ـ يغني يُجدي ينفع

(٤) خطرة : لحظة

(٥) الغزرة : الغزارة ـ الدَّجْنُ السحاب الكثيف المُطْبِقُ والمطر الكثير ايضاً

(٦) النَّوى البعد ـ دَهَت طرقت ـ قضى هلك

وإن للشاعر بُنَيَّاتٍ وعجائزَ في أسرته لا مُعيل لَهُنَّ لذا يُعَلِّلُ ندمه :

ولـولا بُـنـيَّـاتٌ وشـيـبٌ عـواطِـلُ
لَمـا قَـرَعْـت نـفسي عـلى فـائـق سـنّي(١)

ويزور الشاعر في حُلُمٍ هنيءٍ دافىء طيف ابنته فيهتاج حنيناً وذكرى وأَلَماً مُمِضّاً سقاه كأسه المُرَّ زَمَنٌ ضَنَّ بالوصال وجاد بالفرقة والاغتراب :

تـأوَّب طـيـفٌ مـن سـمـيـرةَ زائـرٌ
ومـا الـطَّيْـفُ إلَّا مـا تـريـه الخَـوَاطِـرُ
ألمَّ ولم يـلبـث وسـار ولَـيْـتُـه
أقـام ولـو طـالـت عـليَّ الـديـاجِـرُ
تُمـثِّـلُهـا الـذكـرى لـعـيـني كـأنَّـني
إلـيـهـا عـلى بُـعْـدٍ مـن الأرض نـاظِـرُ
فَـيَـا بُـعْـدَ مـا بـيـني وبـين احـبَّـتي
ويـا قـرب مـا الـتفَّت عليـه الـضَّـمـائِـر

وترحل زوجته رحلة الموت ويَردُ اليه نَعْيُها وهو في منفاه ، فيَعزُّ عليه المُصَاب وترقُّ العواطف وتنسكبُ رثاءً فيه ألم البعاد ووحشة الاغتراب ولوعة الفراق :

لا لـوعـتي تَـدَعُ الـفـؤاد ولا يـدي
تـقـوى عـلى ردِّ الحـبـيـب الـغـادي(١)

---

(١) عواطِلٍ : جمع عاطل المرأة لا حليَ لها ( يقصد التي لا مُعيل لها - قرع السن كناية عن الندم .

(٢) الغادي: الرَّاحل في الغداة .

يا دهرُ! فيمَ فَجَعْتني بِحَليلةٍ
كانت خُلاصة عُدَّتي وعَتادي
إن كُنْتَ لم ترحم ضناي لبعدها
أَفَلا رحمت من الأسى أولادي[1]
هيهات بعدكِ أن تقر جوانحي
أسفاً لبعدك أو يلينَ مِهادي[2]
قد كِدْتُ أقضي حسرةً لو لم أكُنْ
مُتوقِّعاً لُقياك يومَ مَعادي
فَعَليكِ من قلبي التحيَّةُ كُلَّما
ناحت مُطَوَّقَةٌ على الأعوادِ[3]

... وتمضي السنون ولا يمضي الحنين والشوق الى الوطن والاحباب بل يُوريهما البعد والاغتراب؛ ويُوهنان من عزيمة الشَّاعر وجسده، فتفتر الهمَّة ويخفُّ النظر، ويشتعل الرأسُ شيبا، وليس أمام الشَّاعر إلَّا الوقوف على أطلال الشباب الوسيم الغضّ الإهاب مُتأَلِماً مُلْتاعاً يُغنِّيه أعذب الاشعار وأحلاها وأَمْطَرها صدقاً وصفاءً :

كيف لا أندبُ الشباب وقد
أصبحتُ كهلاً في محنة واغترابِ
أخْلَقَ الشَّيْبُ جِدَّتي وكساني
خِلْعَةً منه رثَّةَ الجلبابِ

---

(١) الضَّنى المرض والهُزال وسوء الحال
(٢) الجوانح : الاضلاع تحت الترائب مِمَّا يلي الصَّدر - المَهاد الفِراش
(٤) المُطَوَّقة الحمامةُ ذات الطَّوق في عُنُقِها

ولوى شعر حاجبيّ على عيني
حتّى أطلّ كالهُدّاب
لا أرى الشيء حين يسنح إلاّ
كخيالٍ كأنّني في ضبابِ
وإذا ما دُعيتُ حِرْتُ كأنّني
أسمعُ الصّوتَ من وراء حجابِ
كلّما رُمْتُ نهضةً أقعدتْني
ونيةٌ لا تُقِلها أعصابي
لم تدع صولة الحوادث مني
غير أشلاء همّةٍ في ثياب
فجعتني بوالديَّ وأهلي
ثُمَّ أنحتْ تكرُّ في أترابي
كلَّ يومٍ يزول عني حبيبٌ
بالقلبي من فرقة الاحبابِ

وعلى الرّغم من قسوة الأيّام عليه والتي سقته كأس الغربة المُرَّ ، فإن الشّاعر يُعزّي نفسه باعتقاده أن مَنْ يرُوْمُ العِزَّ والمجد لا بُدَّ أن يُلاقي الشّوك و حتّى الموت والبارودي الذي كان نصيبه السجن والمنفى يرى الأمر طبيعياً لطالما رام مَطامح دفع ضريبتها . وغربة الشّاعر لم تُغيّر من خلائقه ولا من سجاياه كما يرى فقد بقي الانسان المتمسّك بالودّ والعزّة والكرامة

ومن رام نيلَ العزِّ فليصطبر على
لقاء المنايا ، واقتحام المضايق
فإن تكنِ الأيّامُ رنَّقْنَ مشربي
وثلَّمْنَ حدّي بالخطوب الطّوارقِ
فما غيَّرتني محنةٌ عن خليقتي
ولا حوَّلتني خُدْعةٌ عن طرائقي

ولـكـنَّـنـي بـاقٍ عـلى مـا يـسـرُّني
ويُـغـضـب أعـدائـي ويُـرضـي أصـادقـي
فـحـسـرةٌ بـعـدي عـن حبيبٍ مُـصـادقٍ
كـفـرحـة بُـعـدي عـن عـدوٍّ مُمـاذقِ
فـما أنـا ممّـن تَـقْـبـلُ الضَّـيْمَ نَـفْـسُـه
ويـرضى بمـا يـرضى بـه كـلُّ مـائـقِ[1]

وتزيد الغربةُ الشَّاعر اعتلالاً في الصحَّة . فألحَّ السقام عليه واشتدت العلَّة وحنَّ حنيناً جمّاً الى الأهل والاصحاب والوطن . ويأتيه نبأ السَّماح له بالعودة ولكن للأسف بعد فوات الأوان . . . بعد أن هرم الشباب اليافع وذبل في أرض غريبةٍ لم تَرُقْه .

شدَّ الرحال ووصل مصر الغالية على قلبه فقال في لقائها الحارّ :

أبـابـلُ مـرأى الـعـين أم هـذه مصرُ
فـإنّي أرى فـيـهـا عيـونـاً هي الـسـحـرُ
لـعـمـرك مـا حـيٌّ وإن طـال سـيـرُهُ
يُـعَـدُّ طـلـيـقـاً والمـنـون لـه أَسْرُ[2]
ومـا هـذه الأيَّـامُ إلَّا مـنـازل
يحـلُّ بهـا سـفْـرٌ ويـتـركـهـا سَـفْـرُ[3]

. . . وفي عام ألفٍ وتسعمائة وأربعة ينطفىء نور الحياة في عيني شاعرٍ قيل فيه :

« شاعرٌ فارسٌ يَدُهُ على الشعر يَدُ مَنْ أقاله من عثرته وأنهضه من

(١) المائِقُ الأحْمَقُ الغبيُّ
(٢) المنون الموت
(٣) السَّفْرُ : القوم السَّفْرُ ( الرَّاحِلون )

كبوته وأعاد له ديباجته المشرقة ومعانيه السَّامية ، وكأنَّما كانت في يده عصا ساحرٍ صيَّرت الميت حيَّاً ، والضعيف قوياً ، والمعدم ثريَّاً ، وكان شعره نموذجاً لكلٍّ من أتى بعده من شعراء العربية » .

# شوقي (١)

ولد شوقي في القاهرة ونشأ في القصور يبرق أمامه الذهب المنثور فيلهو به ويعبث ؛ ويرحل الشاعر الى فرنسة لدراسة الآداب والحقوق ولمّا عاد أصبح شاعر القصر يحيا حياة مُترفة فيها النعيم والدّلال والرّخاء .

وبُعَيْدَ نشوب الحرب العالمية الأولى يُخلع مليكُ الشاعر الخديوي عبّاس ويُخيّرُ شوقي في منفاه فيختار الأندلس .

ويُقيم الشاعر في ضاحية ثريّةٍ بالسحر والجمال وفي منزلٍ يعلو رابيةً ؛ مكّنه من رؤية السفن التي تمخر عباب اليم ومن سماع رنينها المُتتابع الذي يُثير في نفس الشاعر شوقاً دافقاً وحنيناً فائضاً الى الوطن والاحبّة والاهل :

مُستَطارٌ اذا البواخِرُ رنّت
أوّلَ الليلِ أو عَوَت بعد جَرْسِ

وفي منفاه يكثر الشاعر من الحنين الى الوطن والحُبِّ له والتألُم لمُعاناته

---

(١) الشوقيات : ١ - ٤ - دار الكتاب العربي - بيروت

وهمومه ، فتعوده ذكريات هذا الوطن وهو يحيا حُلُمَ العودة اليه ؛ ويتدفّق شعر الحزن والكآبة والاغتراب وشكوى البين والبعاد ، وفي قصيدته الى الشاعر حافظ ابراهيم شوق وحبٌّ للوطن والاصحاب .

يـ ساكني مِصْرَ إنّا لا نزال على
عهد الوفاء وإن غبنا ـ مقيمينا
هلّا بعثتم لنا من ماء نَهْرِكُم
شيئاً نَبَلُّ به أحشاء صادينا
كُلُّ المناهل بعد النِّيل آسنةٌ
ما أَبعَدَ النِّيْلَ إلّا عن أمانينا

وينظم أحمد شوقي في غربته سينيةً تنمُّ على إعجابه بسينية البحتري[1] وفيها لواعج الشوق والحنين الى الأرض التي ربّتْهُ والوطن الذي احتضنه ، وفيها العبرات التي تسحُّ على مجدٍ عربيٍّ غابر شُيِّع من على أرض الاندلس في موكبٍ جنائزيٍّ ، حزين :

اختلاف الليل والنهار يُنسي
اذكُرا لي الصِّبا وأيام أُنسي
وسَلا مصرَ هل سلا القلبُ عنها
أو أَسَا جرحه الزمانُ المؤسِّي ؟
وطني لو شغلت بالخلد عنه
نازعتني اليه في الخلد نفسي
شَهِدَ الله ، لم يَغِبْ عن جفوني
شخصُهُ ساعةً ، ولم يَخْلُ حِسّي

---

(١) مطلع سينية البحتري
صنتُ نفسي عمّا يُدنّس نفسي
وترفّعت عن جَدا كلِّ جبسٍ (لئيم)

أيــن مــروانُ ، في المــشــارق عــرشٌ
أُمــويٌّ وفي المــغــارب كــرسي ؟[1]

سِـنَـةٌ مــن كَـرَىً ، وطــيــفُ أمــانٍ
وَصَــحــا الــقــلــبُ مــن ضــلالٍ وهَــجْسِ[2]

وإذا الــدار مــا بهــا مــن أنــيسٍ
وإذا الــقــومُ مــا لَهُــمْ مــن مُحِسٍّ[3]

خــرج الــقــومُ في كــتــائــبَ صُــمٍّ
عن حفــاظ ، كمــوكب الــدَّفْــن خُــرْسِ[4]

ركــبــوا بــالــبــحــار نــعــشــاً ، وكــانــت
تحــت آبــائــهــم هــي الــعــرش أمسِ

. . . ويُعجب الشاعر في منفاه بقصيدة ابن زيدون النونيَّة[5] فينظم على منوالها قصيدةً رائعةً فيها أيضاً الحنين للوطن الغالي وشكوى البين وسَهَرُ الليالي الطويلة ، والانكفاء على جرح الزمن بلا صبرٍ يُعين أو دمعٍ يسعف :

يــا نــائــح الــطَّلح أشــبــاهَ عــواديــنــا
نَشْجَى لــواديــك أم نــأسى لــواديــنــا ؟[6]

---

(١) كرسي : عرش .
(٢) الهجس : ما يدور في خَلد الانسان ( في ذهنه ) .
(٣) مُحسٌّ : اسم فاعل من الفعل « أَحَسَّ » : الذي يُحِسُّ بالقوم .
(٤) الحفاظ ، الذود عن الحرمات .
(٥) مطلع قصيدة ابن زيدون النونيَّة
أضحى التنــائي بــديــلاً من تــدانينــا
ونــاب عــن طيــب لقيــانــا تجــافينــا
(٦) الطَّلح : نوعٌ من الشَّجر سُمِّي به وادٍ بظاهر إشبيلية كان ابن عبَّاد شديد الولَع به .
عَوَادينا : عوادي الزمن : مصائبه .

كُلٌّ رَمَتْهُ النَّوى : رِيْشَ الفراقُ لَنَا
سهماً ، وسُلَّ عليك البَيْنُ سِكِّينا[1]

لكن مِصْرَ وإن أغضتْ على مِقَةٍ
عينٌ من الخلد بالكافور تسقينا[2]

على جوانبها رفَّت تمائمنا
وحول حافاتِها قامت رواقينا[3]

ملاعبٌ مَرِحَتْ فيها مآرِبُنا
وأرْبُعٌ أنِستْ فيها أمانينا

يا مَنْ نَغارُ عليهم من ضمائرنا
ومن مَصُون هواهم في تَنَاجِينا

نابَ الحنينُ اليكم في خواطرنا
عن الدَّلالِ عليكم في أمانينا

جِئنا الى الصَّبر ندعوه كَعَادَتِنَا
في النَّائبات ، فلم يأخذ بأيدينا

وما غُلِبنا على دمعٍ ولا جَلَدٍ
حَتَّى أَتَتْنا نواكُم من صياصينا[4]

يا ساريَ البرقِ يرمي عن جوانحنا
بعد الهدوء ويهمي عن مآقينا

الَّليلُ يَشْهَدُ لم نهتك دَيَاجِيَهُ
على نيامٍ ، ولم نهتف بِسَالينا

---

(١) راش السهم : ألصق عليه الريش .
(٢) المَقَة : المحبَّة .
(٣) الرَّواقي : مفردها : راقية : التي ترقى مَنْ به سِحْرٌ او مَسّ .
(٤) الصيَّاصي : الحصون .

ولم نَـدَع لـليـالي صـافـيـاً فَـدَعَـتْ
(بـأن نَـغصَّ فقـال الـدَّهْـرُ : آمـينـا)[1]

وهكذا في القصيدتين يبثُّ الشاعر الوطنَ شوقه وحنينـه ويبكي بُكاءً مُرًّا حياةَ الفردوس الضائع بل يَنُوحُ وينفث زفراتٍ من الأعماق وهو يُصوِّر مجداً يعربياً مفقوداً .

. . . وتمـرُّ الايام والشهـور والسنون ويُقْـدِمُ إليـه عفـوُ السلطات ، فيشدّ الرحـال الى الوطن ليُستقبـل استقبالاً حـارًّا كان لـه وَقْعُهُ العميقُ في نفسه .

عاد الشاعر من منفاه ليُعَانق ـ بعد غيبةٍ طويلة ـ شعبه المكافح الذي سفح دمه في سبيـل الحريـة والكرامـة ولم يجفَّ بعدُ هـذا الدم إثْـرَ الحركـة الوطنية التي فجَّرها العُمَّال والفلاحون والطلبة والجنود عـام ألفٍ وتسعمئة وتسعة عَشَر ، فقال الشاعر مُعبِّراً عن حرارة اللقاء :

ويـا وطـني لـقـيـتُـك بـعـد يـأسٍ
كـأني قـد لـقـيـتُ بـكَ الـشَّـبَـابـا
ولـو أني دُعـيـتُ لـكـنـتَ ديـني
عـليـه أُقـابـل الخَـتْـمَ المُـجَـابـا[2]
أُدِيْـرُ إلـيـك قـبـل الـبـيـت وجـهـي
إذا فُـهْـتُ الـشـهـادة والمَـتَـابـا

---

(١) الشطر الثاني من بيت ابن زيدون :
غِـيْظَ الـعِـدَا مـنْ تـسَـاقـيـنـا الهـوى فَـدَعـوا
بـأن نَـغَصَّ فـقـال الـدهـر آمـيـنـا
(٢) الختم المُجاب : الموت .

وقد سبقتْ ركائبيَ القوافي
مُقلَّدَةً أزِقَّتَها طِرابا

تجوبُ الدَّهرْ نحوك والفَيافي
وتقتحم الليالِيَ لا العُبابا

وتُهديك الثناء الحُرَّ تاجاً
على تاجيْكَ مُؤْتَلِقاً عُجابا

... وفي عام ألف وتسعمائة وسبعة وعشرين أعلن الشَّاعر حافظ ابراهيم باِسْمِهِ وباسم شعراء البلاد العربية البيعة لشوقي أميراً للشعراء :

يقول حافظ ابراهيم :

أميرَ القوافي قد أتيتُ مُبايعاً
وهذي وفود الشَّرق قد بايعت معي

وفي اليوم الرابع عشر من عام ألفٍ وتسعمائة واثنين وثلاثين نَعَتْه مصر وشيَّعه محبُّوه في مصر وخارجها .

... ومن أجمل الرثاء الذي قيلَ فيه قول الشَّاعر بشارة الخوري :

قف في ربى الخُلْدِ واهتفْ باسم شاعِرِهِ
فسدرةُ المُنتهى أدنى منابِرِهِ

وامسحْ جبينك بالرُّكن الذي انبلجت
أشعةُ الوحي شعراً من منائِرِهِ

إلهةُ الشِّعر قامت عن مَيَامِنِهِ
وربُّه النَّثر قامت عن مَيَاسِرِهِ

والحورُ قصَّت شُذوراً من غدائرها
وأرسلتْها بديلاً من ستائِرِهِ

# عبد الوَهَّاب البَيَّاتي

من شعراء العرب المُلتزمين المؤمنين بقضايا أمتهم القومية والاجتماعية وبالانسان الحُرّ الكريم أداة الثورة والتغيير[1] :

وللشاعر قصائد قالها وهو بعيدٌ عن وطنه أسماها « أشعار في المنفى » ، ومن هذه الاشعار قصيدة « أغنية جديدة الى ابني علي » تطفح بالشوق والحنين وبألم البعد والاغتراب في دنيا بعيدة عن طفلٍ غالٍ ووطنٍ حبيبٍ أغلى :

كناريَ الصغير

وجهك والسماء

تُمطر في منفايَ ، في مدينتي

يبرق في عيون

أمك ، في واحات

(١) في الجزء الاول من الكتاب : الصفحة : ٢١١

ليلِ عذابي الدَّامس الأخير

يبرق في بغداد

وهي تُغنيٍّ الحبَّ والسَّلام

ومِدْيَةَ الجلاَّد

هدَّيتي اليك

كناريَ الصغير ، قبلتان

فَمُدَّ يديك

رغم سجون الارض ، لي يديك

فإنني حزين

تُمطر في قلبي ، وفي مدينتي السماء

وأما في قصيدة « بطاقة بريد الى دمشق » فتزهو دمشق التي يُوشِّحها السحر والجمال ، دمشق المجد والخلود حيث الأرض التي تَعْبَقُ بالطيب وطبيعتها الخلاَّبة بخُضرتها ومائها وروائها الآسر :

والتقينا يا دمشق !

على معطفك الأخضر ثلج

عصافير وغابات وورد

وبحار لا تُحَدُّ

أنتِ فيها ، يا بساط الحب ، موجُ

ومناديل وشوق

. . . وتهالكت على أرضك في شوق أعانق

كل ما أعبد فيها وأُحبُّ

وعلى معطفك الأخضر غاباتٌ وسحب

كانت الاحرف في نفسي تناضل

وتُغنيٍّ في لياليها قوافل

من قوافٍ ومَقَاطع

كنت جائع

كنت في معركة الخَلْقِ أطالع

وجهك الحلو ، فأنسى يا دمشق

غربتي

وحشة أيامي

وأنا أقتحم التاريخ من بابٍ لباب

وفي قصيدته « صيحات الفقراء » : نداءاتٌ صادقة وتساؤلاتٌ حارَّةٌ وصُوَرٌ حيَّةٌ لجموع الكادحين الثائرة تدقُّ باب المجد والتاريخ بأيدٍ مُضرَّجة بالدم . من أجل عالمٍ جديدٍ يرفُّ فيه الحُبُّ والعدل والخير والسلام

لا تخجلْ

لا تخجلْ

يا حُبِّيَ الأوَّل

يا صيحة

أطلقها طائر

في ليل المنفى

وهو يموت

لِمَ أنت حزين ؟

صيحات الفقراء

فقراء بلادي

في باب القيصر

في الفجر الأحمر

كالصخرة ، كالقطرة

في بحر الثورة

تقتحم التاريخ

وفي مجموعةٍ شعريةٍ أخرى يُعبِّر في قصيدةٍ لماذا نحن في المنفى ؟ » عن مُعَاناة البعيد عن الوطن والاهل والخِلّان ، من غربةٍ ، لا تجود إلاّ بالرعب والموت :

لماذا نحن في صمت ؟

نموت

وكان لي بيتي

وها أنتِ

بلا قلبٍ ، بلا صوتِ

تنوحين ، وها أنتِ

لماذا نحن في المنفى ؟

نموت

نموت في صمتِ

مشينا ومشى شعبي

بلا وطن ، بلا حُبٍّ

نموتُ ، نموت في رعب

لماذا نحن في المنفى

لماذا نحن يا ربِّي ؟

. . . وفي قصيدة « الموت في المنفى» تنطوي نفسُه على جراحِ الزمن الدَّامية ، وعلى اغترابٍ نفسيٍّ قاتم :

صبغت ليلي الجراحْ

وطني ناءٍ ، وكَفِّي

يبست فوق السِّلاحْ

. . . يا غراب البين لا تنعبْ

فأَيَّامي رحيلٌ واغترابْ

ويتـوق الشاعـر لأطفالـه ؛ ونداءاتَ الأمسِ في مسمعـه تُلِحُّ عليـه تَعالْ فقد أضْنَى البُعْدُ وحَلاَ الوصال .

. . . صوتُ أطفالي : نصالْ

نفذت في القلب قالت لي : تعَالْ

أين من يُسكِتُ صيحات « تعالْ » ؟

ملأت صدري أنيناً وسُعَال

ورُقادي بالظِلال

وكتب في منفاه قصيدته الرائعة من أجل الحُبّ » :

من أجل أن نضحك للشمسِ

على شواطىء البحار

ونجمع المحار

ونقطف النرجس من حدائق النَّهار

من أجل ان تصمد في وجه رياح الليل والامطار

بيوتُنَا الحالمة بالأزهار

من أجل أن نكتب في جمال عيني أرضنا الاشعار

ونقطف الثمار

من ألف بستان وأن تجمعنا ـ مهما اختلفنا ـ دار

من أجل أن ينهار

ليلُ الطَّواغيت

وأن تنتصر الحياة

غنَّيت للحُبِّ

وللسَّلام

والصِّغار

يا اخوتي الكبار !

# محمد مهدي الجواهري

هو الشاعر العربيُّ الكبير الذي سُجن أكثر من مرة وغادر وطنه العراق في أكثر من فترة بعد مُضايقات ومُلاحقات وتوقيفات . وفي عام ألف وتسعمائة وواحد وستين يحط الرحال في « براغ » التي أقام فيها سبع سنوات وصدر له فيها عام ١٩٦٥ ديوان سماه « بريد الغربة »(١) .

وفي غربته نظم الشاعر قصائد الشوق والحنين والذكرى وَبَثَّ احبَّاءه أحاسيس الودّ والوفاء نابعةً من قلبٍ مُفْعمٍ بالحُبِّ ومن نفسٍ باقيةٍ على العهد أَبَدَ الزمن . وما قيمة الانسانية بدون وفاءٍ وحُبٍّ ؟ فَيُجيبُ الشاعر : بدونهما فهي هباء .

من بعيدٍ لكم يحنُّ حنيني
وبذكراكم تُثار شجوني

---

(١) ديوان الجواهري : الجزء الاول : ٢٢ - منشورات وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٧٩

يا أحبايَ والليالي عجيبا
تٌ عجافٌ يأكُلنَ كل سمين
أعلى العهد أنتُم أم تنائي الـ
ـدَّار يُنسي الخدين ذكر الخدين
أكْرَهُ الحزن غير أن فؤادي
بادِّكار الاحباب جِدٌّ حزينِ
أنا عبدُ الوفاء والحبُّ دنيا
يَ هما دون من عبدت وديني
والرجولات دون ذيْنِ هَبَاءُ
وإن استعصمت بركنٍ ركين

ويحاول الشاعر أن يُخَفِّف من غربته بإيمانه بدور الشعر والشاعر في حياة الأمم :

خُلق الكونُ من حروف عليهنَّ
الحضارات شُيِّدت من قرونِ
حضَنَتْهُنَّ مثلما تتبنَّى
روعة الشعر روعة التلحينِ
غنَّت الخلق سادراً عبقريَّاتٌ
تَنَزَّلنَ عن كتابٍ مُبين

والشاعرواحدٌمن العديد من الشعراء الذين التزموا قضايا الانسان والامة وذاقوا مرارة السجون وقساوة الغربةولسعة الهموم في سبيل هذه القضايا وتلك الاهداف :

نحن صرعى الهموم في كل وادٍ
وضحايا الجلَّاد في كل حينِ

نـحـن مـن في سـبـيـلهـم أُبْـرِمَ الـسَّـو
طُ وشـيـدت لهـم جِـبَـابُ الـسـجـونِ

والشاعر يعلم مُسبَّقاً أنَّ طـريقه وَعْـرٌ وأن القليل القليـل هم الذين سيبقون أوفياء له في مثل هذه اللحظات ؛ ولكن عزاءه في أنَّه ليس وحـده في مثل هذه الظروف بل هناك الملايين من المُعذّبين :

يـا أحـبَّـايَ والمـصـيـبـة أنَّـا
إذ ركـبْـنـا مـسـتـوعـرات الحُـزُونِ[1]
لم نجـد مـن يُـنـفِّضُ الـرمـل والـوعـ
ـثـاءَ عـنَّـا مـن صـاحـبٍ وخـديـنِ[2]
لم نـكـن وحـدنـا فـقـد وحَّـدتـنـا
بـالمـلايـين حـشـرجـات المـئين[3]

وفي منفاه ينظم مُستثيراً حماسة الشباب العربي العراقي كي يثور من أجل حرية الوطن وكرامته :

إيةٍ شبابَ الرافدينِ وأنتمُ الشَّرَفُ الأتَمُّ

يـا مُـوقـدي سُـرُج الـدمـا
ء إذا دَجَـا لـيـلٌ أغَـمُّ
أنـتـم كـرامـتُـهـا ومـنـكـمْ مـا
ازدهـى وافـتـرَّ نـجـمُ

---

(١) الحزون : جمع حزن : ما غلظ من الارض .
(٢) الوعثاء : التراب .
(٣) الحشرجات : مفردها حشرجة تردُّد النفس - المئين المئات

فَلْقُ الصَّباح بجوّه
ألقٌ وبدر دُجاه تَمُّ
فيكُم تُنار دروبُهُ
وبكم خُطاه تَسْتَتِمُّ

ويذكّرهم بالأحرار من وطنه وقد غُيِّبوا في السجون يستشيط القيد غَضَباً في أرجلهم :

يا فتيةَ الوطن الفتيّ
أُنوفهم كعُلاه شَمُّ
فَمَعَاصمُ الأحرار من
غَضٍّ الحديد بهنّ وَشْمُ

ويتوق الشاعر الى وطنه بعد مُعاناةٍ مريرة في منفاه إذ يكابِدُ زمناً نفسيًّاً أربد ؛ في زحمة الشوق والذكريات ويُحِسُّ أن الغربة مَصَّت من الشباب نضارته :

سهرتُ وطال شوقي للعراقِ
وهل يدنو بعيدٌ باشتياقِ ؟
وليلٍ مُوحِشِ الجَنَبات داجٍ
شتيم الوجه مُسْوَدّ الرُّواقِ[1]
أُشَدُّ الى النجوم به كأنّي
وإيّاهُنَّ نرسُفُ في وثاقِ[2]
بكيت على الشباب وقد تولّى
كَمَنْ يبكي على قَدَحٍ مُراقِ[3]

---

(١) الرواق ( بالضمّ والكسر ) : بيت .
(٢) نرسف : نقيد .
(٣) مُراق : مسكوب .

وتعشو الذكريات كما تَغَشَّتْ
ضباباتُ الرؤى نزْع السِّيَاقِ
تُطارِدُني وألحقُها دراكاً
وتسبقني فأطمع باللحاقِ

ويُصوِّر الشاعر أثر البين في نفسه ولواعج الشوق الى أصحابه ويُمنِّي هذه النَّفْسَ بلقياهم اذ يرى أن لا طعم للحياة بدون خدين :

أحِبَّتي الذين بِمَا أُمَنِّي
بلُقياهم أهوِّنُ ما أُلاقي
أرى الدنيا بهم فإذا تخلَّوا
فَهُمْ دنيايَ تُؤذِنُ بافتراقِ
سلاماً كالمُدامة في اصطفاقٍ
ودغدغة النسيم على ارتفاقِ
وشوقاً يُستطَارُ الى ازديارِ
وعُذراً يُسْتَمَاحُ عن اعتياقِ(١)
وإني والشجاعةُ فيَّ طَبْعٌ
جَبَانٌ في مَنَازلة الفراقِ

وفي قصيدته « يا غريبَ الدَّار » يَظهرُ اغترابُهُ النفسيُّ وهو على ارض الوطن قبل أن يغادره ، إذ أَحَسَّ بهذا الاغتراب عندما عَقَّ الوطن أبناءه المخلصين وحابى الوصوليين المُداجين :

يا غريبَ الدار لم تكـ
ـنْ له الأوطانُ دارا

(١) الازديار : الزيارة ـ الاعتياق : التأخير ( التعويق ) .

حَـلأتْـهُ ومَـرَت لـلوغـدِ أخـلافـاً غِـزارا[1]

واصـطفـت بُـومـاً وأجـلتْ عـن ضـفـافـيـهـا كَـنَـارا

يـا غـريـب الـدار يـا مـن ضَـرَب الـبـيـد قِـمَـارا[2]

لـيس عـاراً أن تُـوَلِّي مـن مُـسـفِّـينَ فـرارا[3]

. . . . . ومُداجون يضبُّون وجاراً فَوِجارا[4]

ويُخَفِّفُ من ألم اغترابه إيمانُه بأن المناضل الذي يُجابه أنظمةً قواسها العسف والتنكيل يعتقد أن طريقه صعبٌ وشاق وما عليه إلَّا التجلُّد والقدرة على الاحتمال . والثائر قد يدفع الضريبة غالياً : كَأَن يُذيقه الزمن كأس الموت ، فيرحل وتبقى أفكاره التي تحيا بموته :

يا غريب الدار لا تأسَ وإن ضِقْتَ اصطبارا

ثَمَناً تدفع من معركةٍ خُضت انتصارا

دِيَةُ الثائر أن يحتملَ النقعَ المُثَارا

والشاعر الذي نُفي واغترب رمزٌ في معركة الحياة لأجيال القهر :

أنت من بؤس الملايين تُخَيّرتَ اختيارا

---

(١) حـلأت : مَنعت ـ مرَى الضـرع : مَسَحهُ استـدراراً للبن الأخـلاف : الضروع .

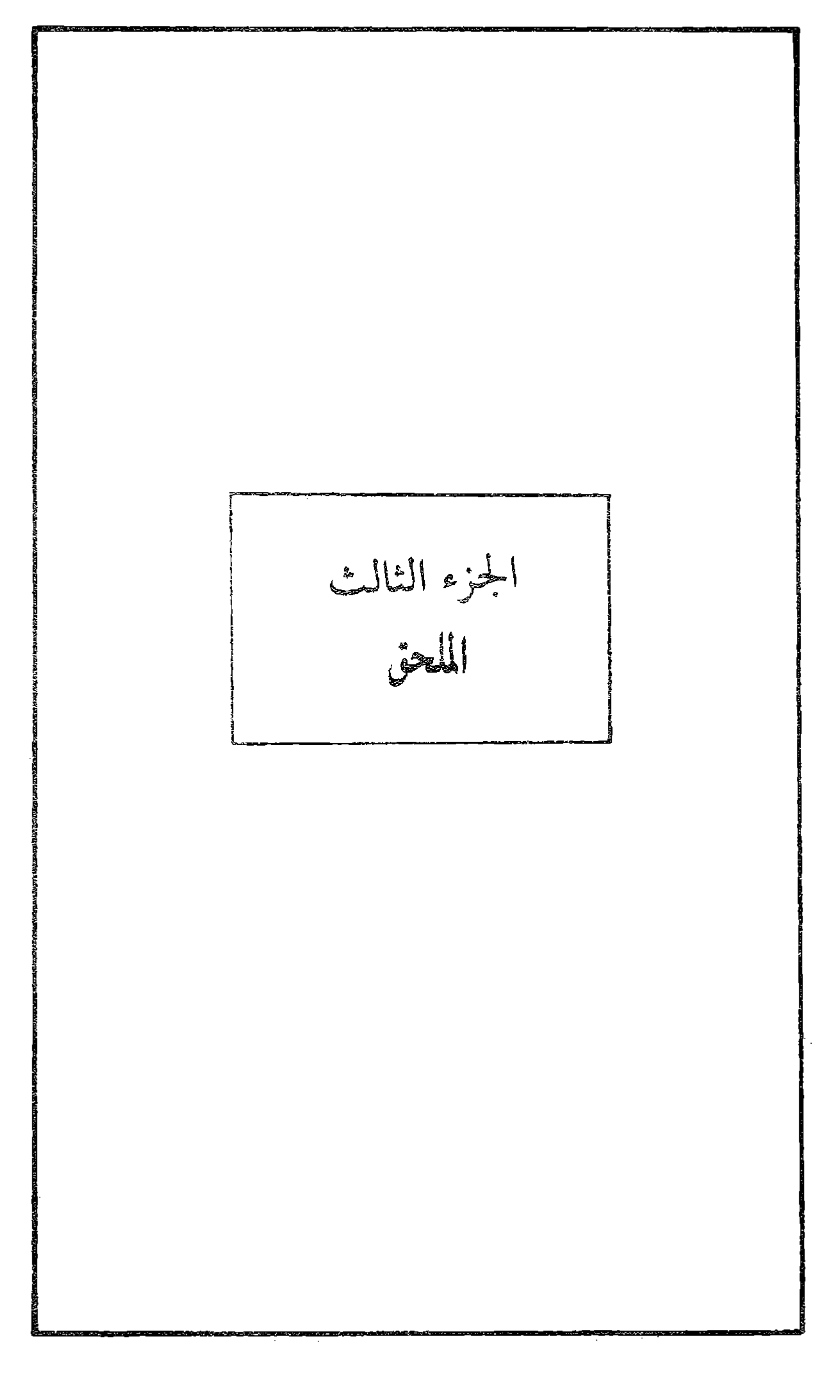
(٢) القمار : المغامرة والمقامرة .

(٣) مُسِفِّين : مُنْحَطِّين

(٤) الوجار : بيت الضب ـ يضبون : يصطادون الضب .

كـنـتَ لـلـمـقـرور نـاراً ولـضـلّيـل صُـوَارا[1]
كنتَ عن جيلٍ تبنَّتْك رزاياه شعارا

(١) صُوار : ملجأ .



# الجزء الثالث
# الملحق

يقول العُجَيْرُ[١] :

إليـك سَبَقْنـا السـوط والسجن ، تَحْتَنـا
خِيـالٌ يُسَـامِينَ الظلال ولُـقَّحُ

ويقول عبد الله بن الزَّبير الأسدي[٢] :

فلو أنكـم أجهزتُـمُ إذ قتلتُـمُ
ولكن قتلتمْ بالسِّياط وبالسجنِ

ويقول المُغنِّي الشاعر إبراهيم الموصلي :

ألا طال ليلي أُراعي النجومَ
أعالج في السَّاق كَبْلاً ثقيلا[٣]
كثير الأخلَّاء عند الرَّخاءِ
فلمَّا حُبِسْتُ أراهم قليلا

ويقول أبو العتاهية :

---

(١) العجير : شاعرٌ مِقلٌّ من شعراء الدولة الاموية وهو مُعاصر لعبد الملك بن مروان .

(٢) عبد الله بن الزَّبير الاسدي : انظر الصفحة . ٧٧

(٣) الكَبْل : القيد .

سلمُ يا سلمُ ليس دونك سِتْرُ
حُبسَ المُوصِليُّ فالعيش مُرُّ[1]

حُبس اللهو والسرور فَمَا في الارض
شيءٌ يُلْهَى به أو يُسَرُّ

ويقول الرصافي :

هو السجن ما أدراك ما السجن إنه
جِلادُ البلايا في مضيق التجلُّد[2]

ويقول :

ونائحة تبكي الغداةَ وحيدَها
بشجوٍ وقد نالَتْهُ ظلماً يَدُ القهرِ

عَزَاه الى إحدى الجنايات حاكمٌ
عليه قَضَى بُطلاً وهو لا يدري

تحفَّظه في مخلب الجور غيلةً
فزجَّ به من مظلم السجن في القعرِ

تنوء به الأقيادُ إن رام نهضةً
فيشكو الأذى والدمع من عينه يجري

تُناديه ، والسجَّانُ يكثر زجرها
عجوزٌ له من خلف عالية الجدرِ

بُنيَّ ! أظنُّ السجنَ مَسَّكَ ضُرُّه
بُنيَّ! حَلَّ ما بك من ضرٍّ

(١) هو سلمُ الخاسر ، كان شاعراً مُجداً وتلميذاً بارعاً في الشعر لبشَّار بن برد ونَسَبُه : سَلْمُ بن عمرو بن حمَّاد بن عطاء البصريّ وقد سمِّي الخاسرُ لأنه ورث عن أبيه مُصْحفاً فباعه واشترى به طنبوراً وقيل اشترى به دفتر شعر .

(٢) جلاد : حرب .

بُنيَّ استعنْ بالصبر ما أنت جانباً
وهل يخذلُ الله البريءَ من الوزرِ

ويقول :

فزجَّ به في السجن بعد تجرُّمٍ
عليه بجرم ما له فيه مَصْنَعُ
عَزَاه الى إيقاعه موقعاً به
وما هو يا بن القوم للجرم مُوْقِعُ
ولكن غَدْرَ الحاقدين رمى به
الى السجن فهو اليوم في السجن مُوْدَعُ

يقول أبو العلاء المعرّي

أراني في الثلاثة من سجوني
فلا تسأل عن الخَبَر النبيثِ[1]
لفقدي ناظري ولُزوم بيتي
وكون النفس في الجسم الخبيثِ

ويقول محمود سامي البارودي :

وليلةٍ ذاتِ تهتانٍ وأنديةٍ
كأنَّما البرقُ فيها صارمٌ سَلِطُ
كأنَّما البرقُ سوطٌ والحَيَا نُجبٌ
يلوح جسمها من مسِّهِ حَبَطٌ[2]
فالضوء مُحْتَبِسٌ والماء مُنْطلق
والجوُّ منقبضٌ والظل مُنْبسطُ

---

(١) النبيث : السيء ويقال : خبيثٌ نبيثٌ شرِّير .

(٢) الحيَا : المَطَر ـ الحَبَطُ : مُحرَّكة : آثار الجرح او السياط بالبدن .

ويقول بشار بن برد :

رُبَّ كأسٍ كالسلسبيل تعلَّلت
بها والعيونُ عنيٍّ نيامُ

حُبست للشراة في بيت رأسٍ
عُتِّقت عانساً عليها الختامُ

ويقول أيضاً :

كيف يبكي لِمَحْبَسٍ في طلولِ
من سَيَبْكي لحبسِ يومٍ طويلِ

ويقول خليل مطران :

قل للرئيس إذا مررت بِسجنه
إن السجون معاهد الأحرارِ
وافيتَه طوعاً ورأيك ثابتٌ
أن اعتقالك مُطلق الافكارِ
النفيُ بعد السجن : تلك عقوبةٌ
أعلى وأغلى صفقةً للشاري
يسمو بها السجن القريبُ جداره
شرفاً الى سجنٍ بغير جدارِ

ويقول أيضاً :

يا خارجين كراماً من مَحَابِسِهم
ومبهجي كل قلب كان مغموما
كم كُبِّلَ الحقُّ بالأصفاد من قِدَمٍ
ثم انطوينَ وباء البُطْلُ مهزوما

يقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

مـا زلـت أحْـبِسُ يـوم الـبَـيْنْ راحـلتي
حـتّى اسـتـمـرّوا وأذرت دمْـعَـهـا سَـرَبـا

ويقول طُفَيلُ الغَنَويّ [1] :

ولا أكـون وكـاءَ الـزَّادِ أحْـبِـسُـهُ
لـقـد عـلـمـت أن الـزاد مـأكـولُ [2]

ويقول شبيبَ بن البرصاء [3] :

سـجنتَ لـسـاني يـا بـن حيّـان بـعـدمـا
تَـوَلَّى شـبـابي ، إن عـقـدك مُحكَّـمُ [4]
وَعِـيْـدُكَ أبـقـى مـن لـسـاني قُـذاذة
هَـيُـوبـاً ، وصمـتـاً ، بَعْـدُ ـ لا يـتكـلَّم [5]

ويقول الأخطل :

صهبـاءُ قـد عَنِسَتْ من طـول مـا حُبِسَتْ
في مخـدعٍ بـين جَـنَّـاتِ وأنهارِ

ويقول رشيد سليم الخوري :

إنْ عِـفْـتُ تـبْـغَـكَ في الـقـصـور فـإنَّـني
قـد عِـفْتُ قـبلَكَ في الـسجـون طـعـامي

---

(١) هو طُفَيْلُ بن عوف : شاعرٌ جاهـلي عرف بفُـروسيَّته وشجـاعته وبـراعته في نظم الشعر وقال الاصمعي فيه ( طُفيل عندي في بعض شعره أشعر من امرىء القيس ) .
(٢) الوكاء : الرُّباط .
(٣) شاعرٌ أموي ، نَظَم في الفخر والحماسة والنَّسيب .
(٥) العقد : العَزْمُ ، التهديد .
(٥) قـذاذة : شيءٌ قليل من الهجـاء ( والقُذاذة : مـا قُطع من معـدن الذهـب او غيره ) . هَيُوب : تُلقي الرعب في قلوب الناس ( يخافها البشر ) .

ويقول رشيد أيوب :

واذا بكيتُ بكيتُ مُنْتَحِباً
واذا ضحكتُ ضحكتُ من القلب
فحبستُ نفسي في الهوى ملكاً
قد تَوَّجَتْهُ الاهة الحُبِّ

ويقول الياس حبيب فرحات :

ليت عيْنيك تنظراني وحيداً
ساهِراً ساهِماً حزيناً بكيًّا
أذرع الغرفة الصغيرة مسجوناً
كأني أتيتُ أمراً فريًّا

يقول أيليا أبو ماضي :

بنتُ كرم لم يهمّ فيها سوى
كل صبٍّ هام فيه الكَرَمُ
حُبِسَتْ في دَنِّها من قِدَم
ما لها ذنبٌ ولكن ظلموا

ويقول :

أنا كالصهباء ، لكن أنا صهبائي وَدَنِّي
أَصْلُها خافٍ كأصلي ، سجنُها طينٌ كسجني

ويقول :

أحببْ فَيَغْدُ والكوخُ كوخاً نَيِّراً
وابغض فيمسي الكون سجناً مُظلِماً

ويقول أيضاً :

السجن للماء يُؤذيه ويُفسده
والسجن للنفس يُؤذيها ويُضنيها

ويقول أحمد زكي أبو شادي :

ربيع الحُرّ أشرق يا ربيعي
وثب فَرَحاً مع الحمل الوديعِ
كِلانا كان في عَنَتٍ وضيقٍ
يُعاني الأسرَ في سجنٍ مَنِيْعِ
فَعُدْنا اليوم يجمعنا إخاءٌ
وأرضٌ لم تُسَخَّرُ للرَّقيع

ويقول السَّيَّابُ :

سجينٌ ولكن سجني الكتابُ
وأغلالي الآسرات السطورُ
فَمَا بين جَنْبَيْهِ ضاعَ الشَّبابُ
وفوق الصحائف مات السرورُ

ويقول :

أغانيَّ والغابُ قَفْرُ الوُكُوْنِ
حَبِيْسُ النَّسَائمِ تحت الدَّوالي[1]

ويقول :

ليتَ قلبي لمحةٌ من ذلك الضوء السَّجينِ

---

(١) الوُكون : مفردها : الوكْنُ : عُشُّ الطَّائر.

أهو حُبٌّ كُلُّ هذا ؟! خَبِّريني

ويقول :

تقولين : نحنُ ابتداءُ الطَّريق

ونحنُ الذين اعتصرنا الحياة

من الموت في مُوْحشات السجونِ

من البؤس من خاويات البطونِ

ويقول :

كَفَّان جامدتان ، أَبْرَدُ من جباه الخَامِلين

كفَّان قاسيتان جائعتان كالذئب السَّجين

ويقول أيضاً :

وإذ ستضيء المدى بالحريق

فَيَندكّ سجنٌ ويُعلى طريق

ويقول نزار قبَّاني :

خَبِّئْني في يدك اليُمنى

خبّئني في يدك اليُسرى

فَيَداك

هُمَا المنفى . . . وهُمَا

أروع أشكال الحريَّة

أنت السَجَّان . . . . وأنت السِّجن

وأنت قيودي الذهبيَّة

ويقول يوسف الخطيب :

ومُـعَـاتَـبٍ والـسَّـوطُ يُـلْهِـبُ ظـهـره
ومُـعَـذَّبٍ بـجـراحـه وَيُـلامُ
وأتى زمـانٌ مـن مـكـارم أهـلـه
الـسـجـنُ والـتـشـريـدُ والإعـدامُ
والـسَّـوطُ يَحْـتَـرِشُ الـظهـور وَوَقْـعُـهُ
في سـمـعِ مُحْـتَـرِسٍ بِـهِ أنـغـامُ

ويقول :

ابـسـمـي لي تـبـسـمْ حـيـاتي وإن كـا
نـت حـيـاةً مـلـيـئـةً بـالـسُّـجـونِ
اعْـطـفـي سـاعـةً عـلى شـاعـرٍ حُـرٍّ
رقـيـقٍ يـعـيـش عـيـش الـسَّـجـيـنِ

ويقول أيضاً :

امْنَعِ الخمرةَ عنيِّ

في فمي ألسنةٌ تَهْذي

وفي صدري كلامُ

طائري الناريُّ

قد فَيَّأتُهُ صدري

وذهَّبْتُ له السجن ونامْ

في قلعة وجداني

رُؤى أسرى

وأشواقٌ حَرَامْ

ويقول سليمان العيسى :

لَأسِيرٌ حيث ترغمي فَدَمي ، ضِقْتُ بالجلوسْ

لستَ للسجنِ فانطلق أيُّها الطائرُ الحَبِيسْ

ويقول :

قلبي مَعَك . . .

قلبُ العروبة كلها

في سجنك الدَّاجي مَعَكْ

يا عارفاً بين الحديد

من الرجولة موضعك

ويقول :

قدِّيسةٌ جديدةٌ في قبضة العذاب

قدِّيسة جديدةٌ . . . للسجن للذئاب

تُطعم نار الساحة الحياة والشباب

ويقول أيضاً :

عاقَني عنكم بعيرٌ أعجفٌ عِفْتُهُ خلفي لأحدو قدميًا

لم أزل أحْبِسْ في « روايتي » جُرعاً ، لو شئتُ بلَّت شَفَيًّا

لم أذقْها . . . ربَّما كان بكم ظامِىءٌ يُؤثِرُه العدلُ عليًّا ويقول البيَّاتي :

العندليب يطير عبْرَ الثلج والظّلمات والالم الدَّفين

العندليب يطير ، لكنِّي سجين

بين الكؤوس وبين ضحكات السكارى الرَّاقصين

●

ويقـول

في وطن المشانق السوداء

والليل والسجون

والموت والضياع

سمعت أبناء أخي ، باسمك يلهجون

فِدَىً لك العيون

●

ويقول :

ظلّي الذي يبسط كفَّيه الى النجوم

ليمسح الهموم

عن وجهك الحزين

يا شعبي السجين

يا رافع الجبين

للشمس وهي تطرق الأبواب

مخضوبة الثياب

●

ويقول :

يا بنت جيلي الحزين

أنا وحيدٌ سجين

في بئر نفسي اللعين

ألهو بما تجهلين

ويقول :

. . . نَادَيْتُ باسمك

في مَهَبّ الريح

في المنفى

فجاوبني الصَّدَى : « ولدي الحبيب »

والقاتلون

يُحْصُونَ أنفاسي ، وفي وطني المُعَذَّب يَسجنون

. . . وراء أسوار السجون

يستيقظ الشعب العظيم

مُحطِّماً أغلاله

ولدي الحبيب

وأنت لاهٍ لا تُجيب

●

ويقول :

لكنَّهم منّيَ ومنك سيهزؤون

لأنهم لا يحلمون

إلا بأسمال الجنود

ومعسكرات الاعتقال

والنَّارِ والطَّاعونِ والدَّمِ والحديد

وسيسخرون

ويجعلون

مِنّاً طعاماً للمدافع والسجون

ويسلخون جلودَنا وسَيَصْنَعُون

منها فراءً للعواهر والقياصرة الصغار

لِأَنَّهم ـ واخجلتاه ـ !

كلابُ صيدٍ ، في دم الأطفال

في الدم يحلمون

ويقول :

قَمَرٌ أسود في نافذة السجن ، وليلُ

وحمامات وقرآن وطفل يتلو

سورةِ « النصر » وفلُ

من حقول النور ، من أفق جديدِ

قَطَفَتْهُ يَدُ قدِّيسٍ شهيد

يَدُ قدِّيسٍ وثائر

ولدتْه في ليالي بعثها شمسُ الجزائر

. . . كان في نافذة السجن مع العصفور يحلم

كان مثلي يتألَّم

كان سرّاً متعلقاً لا يتكلَّم

●

ويقول :

. . . كانت الأحزان

طريقنا للحبّ والنسيان

وأرضنا الخضراء في مخاضها

مُثْخَنــة الجراح

تحلُمُ بالزنبق والصَّباح

تحلم في ألف يَسوعٍ سوف يحملون

صليبهم في ظلمة السجون

وسوف يكثرون

وسوف ينجبون

ذرية تزرع أرض الله ياسمين

تصنع أبطالاً وقدّيسين

تصنع ثائرين . . .

ويقول أيضاً :

ومرَّتِ السنون

وخلف البلبل

يا أميرتي !

وأورقت غصون جديدة

وانتشر الطَّاعون

في حيّنا

وامتلأت سجون مدينتي

بالنَّاس

وامتدت يد المنون

الى ربيعي الأسود الحالم

في حديقة الليمون

وأخمدت أنفاسه

ويقول هارون هاشم رشيد :

ألستِ أنتِ أُمَّنا يا قبلةَ الزمانِ

يا غنوةً حبيسةً مخنوقة الألحانِ

موعدنا مع الرَّبيع الطَّلق في نيسانِ

إذ تنشدين . . . تنشدين أروعَ الأغاني

ويقول :

. . . . . . ومرَّت الأيَّام . . . والشهور والسنون

ونحن في اللدّ هنا مُقيَّدون ضائعون

لا شيء عندنا ، سوى الحراب ، والسجون

والجند والخيول . . . والارهاب والمنون

ويقول :

. . . . . . وربوةٍ مشدوهةِ العيونِ

حزينة كقلبي الحزينِ

تقول ، يا رفاقُ فَجِّــروني

وباللَّظى والنار روّدوني

فقد سئمْتُ وقفة السجينِ

وراءَ قضبانٍ من الحنينِ

●

ويقول القاسم :

ذاتَ يومٍ فاجأوني

دفعوا أمي وأختي جانباً واعتقلوني

وبعيداً أخذوني

ومع العتمة في بعض السجون

ضفَّروا لي الشَّوك

لكن ، ظلَّ مرفوعاً جبيني

. . . كنت بستان جراح

رايةً حمراء ، منشور كفاح

حينَ صرَّ البابُ في بعض السجون

ويقول :

يا حاقدين على انتفاض جراحي
لن تُخمدوا بالحقد نار كفاحي
لُغَةُ السِّياطِ تهرَّأت ، فتعلَّمُوا
لغة الضياء بلهجة الإصباحِ
فالثائرون على المذلَّة أقسموا
بإبائهم وبفجره الوضَّاحِ
أن يجعلوا قاعَ السجون مقابراً
للسُّوطِ والسَّجَّان والمفتاحِ
أنا ثائرُ من صنع شعبٍ ثائرٍ
لا ينحني للظالم السفَّاحِ

قد أقسم الأحرارَ ألَّا ينثنوا
حتَّى يفلّ الحقُّ كلَّ سلاحِ

ويقول أيضاً :

وكأنّنا منذ عشرين التقينا

وكأنّا ما افترقنا

وكأنّا ما احترقنا

شبكَ الحُبُّ يديه بيدينا

وتحدَّثنا عن الغربة والسجن الكبير

. . . ارفعي عينيك

من عشرين عام

وأنا ارسُم عينيك على جدران سجني

وإذا حال الظَّلامُ

بين عينيّ وعينيك

على جدران سجني

يتراءى وجهك المعبود

في وهمي

فأبكي وأغني

ويقول كاظم جواد :

يا إخوتي لا القلب يطمر جرحه الدامي حزينا

لا القيد يَنْهَشُ مرفقيَّ ، ولم يعد روحي سجينا

ضَجَّت لجوني الواثبات ، وكنَّ في الماضي أنينا

أنا لم أزل أهوى الكفاح ، أذوب من وَلَهٍ حنينا

●

في غور أعماقي تمورُ زوابعُ الألم الدَّفين

أأظلُّ أكتم صرختي ، وألوذ عن حُرٍّ سجين

لا ، لن يغيِّب صوتي المدموم تابوتُ الشجون

لم أرضَ أن تغدو الشعوب أسيرة النير الَّلعين

●

ويقول :

. . . لا كان ذلّ الأمس ، لا كانوا ولا كان الهوان

أسما لنا جهشت لها عين الزمان

لا ، لن يكون

فِلذاتنا سئمت غيابات السجون

●

ويقول :

في ذلك الَّليل الملفَّع بالجريمة والسجون

ملأى بهم . من هم ؟ رجال ينشدون

بقيودهم ، بسلاسل الطغيان ، أغنية تطير

عبرَ الَّليالي السود تهتف « من هنا نجم الصباح

لا بدَّ أن يَهْفُو الى أفق الشعوب » .

ويقول :

مـلء شـغـاف القـلـب مـلء الجنـوب

مُـكـبَّـل الاحـلام ، حسٌّ سـجـين

●

ويقول

ومن ذكريات السجون ، ومن صرخات الرفاق

وأقمـارهم في المعارك عبرَ النجيع المُراق

مُضرَّجة قيدتها تباريح ألف وثاق

●

ويقول :

. . . أخشى على ولدي الوحيد يُزجُّ في قاع السجون

●

ويقول :

الاعاصير والذرى ، والطماحُ وصدى البرق هَيْنماتي الملاحُ

مَسْكني ظلمة السجون ، وأضوائي أغانٍ ، ومـأمل لَمَّاحُ

●

ويقول :

آنَ لي أن أضجَّ أن أشعل الفجر لشعب ينوءُ بالأصفادِ

جـاعلاً من ضحى الكفاح وشاحي وأزيز الرصاص مائي وزادي

وعلى منبر المشانق أحيا وأغنيِّ لفكرتي ، وبلادي

حيث تغدو السكين في قبضة الثأر ، لتهوي على يدِ الجلاَّدِ

ويقول :

يا إخوتي الرفقاء ، ما زالت أباطيل القرون

تستعبد التاريخ في ليل المقـاصل والسجون

. . . . أوّاه ، دعهم ، يا صديق الدرب ، دعهم

يهزؤون

بهمومنا المترنّحات

بدموعنا المتحدِّرات

بسجوننا ، بقيودنا المتحجّرات

ويقول :

. . . وكان أن سار وراء السجن والظلام

عبرَ تُخوم الفجرَ والنَّعيم ، والسَّلام

ويقول :

أعرفت أي موانىء ، وترى الجريحَ هنا يغنيّ

يا كاشفاً ليل السجون ، تعال ،

واكشف سِتْرَ ظنيٍّ

ويقول :

أتسمعين رنَّة القيود في دُجى

غياهب الجباب ، حين يعتم المصير

أتسمعين كيف عبرَ السجون يهزجون

من كلّ سجنٍ يستحل الطغمة اللئام

الذبح ، والتقتيل ، في ساعاته البطاء

وحيث سوط البرد في الأعماق يستبيح

هو أمد الأبدان ، حيث السلّ والهوام

يمص ما يبقونه في الروح من دماء



ويقول :

سعيد ، هل في سجنك النائي

تستعيد ؟

تلك السويعات التي لم تعد

عالقةً في الأفق البعيد

سعيد ، أحلامك لمَّا تَزل أقوى

وأمضى من قيود الحديد

ويقول :

. . . وألقاك أغنية هائمة

تُضيء على ليلي المطبق

مُكافحةً ، حُرَّةً ، حائمة

على باب زنزانتي المغلق

أنا لم أزل من وراء الجدار

وراء القبور ، وحيداً أُغنّي

وأقضي الليالي الحزانى بسجني

ويقول أيضاً :

ولسوف تعلم أن آلاف الضحايا

عَبَّدت غدك السَّعيد

ولمثلها تُبنى السجون ، ويصقلون لها الحديد

وبكلِّ يومٍ يَفْتَدي أغلالَ عالمنا شهيد

●

ويقول علي الحِلّي[1] :

. . ولملمتُ قرى بؤسي

---

(١) هو شاعرٌ من القطر العربي العراقي ، نَشَر قصيدته الاولى عام ألف وتسعمئة وستة وأربعين . نظم مُتأثِراً بالجواهري ، ومن دواوينه ، المُشرَّدون » .

وفجَّرت ضحى السحر

ومزَّقت دجى الشمس

ينابيع ، وفي الكأس

رواءٌ شعَّ من غوري

فَلَا جوعٌ وحرمانُ

ولا جورٌ وطغيان

ولا غرثى وعبدان

ولا سجنٌ وسَجَّانُ

ولا مقصلة جذت من الهامات في السجن

ضحايا غضبة الجلَّاد ، يا كفَّارة الطعن

ويقول :

شهيدٌ هوى في مَهَاوي النجود

وآخرُ في حَوْمةِ القسطلِ

وَشَهْمٌ يلزّ يَدَيْهِ الحديد

وآخرُ في سجنه المحلِ

ويقول أيضاً :

ولن نستكين الى الأجنبي

وإن طال ليل الطُّغاة الرهيب

ولا بد من ثورة اليعربيِّ

ودكِّ قلاع الضَّلال المُريبِ

غداً في انطلاق الحبيس الأبيِّ

من السجن ، من مُنتهاه القريبِ

سلامٌ على إخوتي في الكفاح

يُسَاقون في نشوةٍ للرَّدى

وللسجن ، والمذبح المُسْتباح

فداءً الى الوطن المُفْتَدَى

●

ويقول بدويُّ الجبل :

أمَّا لِدَاتُك بالشآم فإنَّهم
حَمَلوا الإباء سلاسلاً وجراحا
نزلوا السجون فَعَطَّروا ظُلَمُهاتها
أَنَفاً وعِزّاً كالضُّحى وجِماحَا
يا نازلين على السجون فأصبحتْ
بِهِمُ أَعَزَّ حِمَىً وأكرمَ ساحا

●

ويقول :

سائلوا زحمة العواصف لمَّا
رَجَّت الارضُ أين كنَّا وكانوا

وسَلُوا ظلمة السجون فلن
يُنبىءَ عنهم سجنٌ ولا سجَّانُ

●

ويقول[1] :

أمعنوا في مصاحف الله تمزيقاً
ويبدو على الوجوه السرورُ
فُقِئَتْ أعينُ المُصَلِّين تعذيباً
وديست مَنَاكِبٌ وصدورُ
ثم سيقوا الى السجون ولا تسأل
فَسَجَّانُها عنيفٌ مريرُ
يُشبِعُ السوطَ من لحوم الضَّحايا
وَتَأبَى دموعُهُمْ والزَّفيرُ

ويقول ايضاً :

. . . وهدَّدني بالسجن قومٌ سَفَاهةً
فتَى العَرَبِ الانجاد لا يَرْهَبُ السِّجنا
سأبعثُ من شعري جياداً مُغيرةً
عليها كُماةٌ تحسن الضربَ والطعنا

ويقول مصطفى بدوي :

. . . هَلاَّ صدقت اليوم يا نيسان

---

(١) الكلام على الإسرائيليين .

هلا هدمت السجن والسجّان

هلا أرقت العطر كما السَّحَاب

في التربة المخضاب

أم أن قيداً غاضباً رهيب

يلفّ هذا الالق الحبيب

أقصاك يا نيسان

●

ويقول :

... سُدى هذا السجين الحُرُّ

يقضي ظلمة السجن

يجرُّ القيد في وهن

على شفتيه آلاف الشكايات

وميؤوس الحكايات

●

ويقول :

... كالطير يَحْتَدِمُ الأسى بفؤاده

قد فَرَّ من صيّاده

أتراه ينجو ، أم قــراصنــة الحدود

تصطاده ، ويعود للسجن البليد

●

ويقول أيضاً :

والمــاردُ المرعب ، في سجنه يُصلب

وخيـره يُسْلَبْ

وضرعه يُحْلَب

لَحَفْنَةٍ ظالمة

وطغمة حاكمةْ

ويقول أحمد شوقي :

أَلأُسْدُ تزأر في الحديد ولن ترى

في السجن ضرغاماً بكى استخذاءَ

وأتى الأسيرُ يجرُّ ثِقْلَ حديدِهِ
أَسَدٌ يُجرِّر حيَّةً رقطاءَ

عضَّت بساقَيْهِ القيودُ فلم يَنُوءْ
ومشت بهيكله السنون فناء

دَفَعُوا الى الجلَّاد أغلبَ ماجداً
يأسو الجراح ويُصْلِقُ الأسراءَ[1]

●

(١) صَلَق : وأَصْلَقَ : صات صوتاً شديداً .

ويقول :

سلامٌ كُلَّما صلَّيْتَ عُرْياناً ، وفي اللبدِ

وفي زاوية السجن وفي سلسلة القيدِ

●

ويقول جبران خليل جبران :

والعـــدل في الارض يُبكي الجنَّ لـــو سمعـــوا
بـــه ويـــســتـــضـــحـــكُ الأمـــوات لـــو نـــظروا
فـــالسجن ، والمـــوت للجـــانـــين ان صَغَـــرُوا
والمـــجـــد والـــفـــخـــر والإثـــراء إن كـــبـــروا

●

ويقول صلاح عبد الصبور :

... والمسجونون المصفودون يسوقُهُمُ

شرطيٌّ مذهوبُ اللُّبِّ

قد أَشْرَعَ في يده سوطاً

لا يعرف مَنْ في راحته قد وضعه

مَنْ فوق ظهور المسجونين الصرعى قد رفعه

●

ويقول :

... هل تسألُني من ذا صنع القيد الملون

وأَنْبَتَ سوطاً

في كفِّ الشرطيّ

وإليك جواب سؤالك

الظلمُ

ويقول :

. . . إنَّك رجلٌ من أذكى منْ قابلت فؤاداً

أثبتِهم جارحةً عند الشِدَّة

وتُحِبُّ النَّاس لأنك من أجل الناس

سُجنت وعُذِّبت

لكن ، هل تقضي عمرك مقهوراً

في ظلِ الجدران المُرْبَدَّة ؟[1]

●

ويقول :

. . . أيامٌ تسقط في أيام

وشهور تهوي في جوف شهور

مُذْ ألقينا في هذه البئر الملعونة

كم لك في السجنَ ؟

أيامٌ قبلك

---

(١) الرُّبدة : لونٌ الى الغُبْرة ؛ وتربَّدَ : تغيَّر ؛ وتربَّدت السماء : تغيَّمَتْ وتعبَّسَتْ .

فَلْتَصْبِر يا ولدي !

لا أدري لِمَ يُضنيني السجن الآن ؟

إلَّا أنِّي أعلمُ أن السَّجَّان

أولى مِنِّي بمكان

ويقول ايضاً :

. . . ولهذا قلت لنفسي حين دعاني أن أهرب

« ماذا يُجدي روحي أن تجزع من سجنٍ ضيّق

كي تَلْزَمُ سجناً أهونَ ضيّقا . . ؟ »

ويقول أحمد الصافي النَّجفي :

لَئِن أسجنْ فما الأقفاصُ إلَّا
لليث الغاب ، أو للعندليبِ

ألا يا بلبلاً سجنوك ظلماً
فَنُحْتَ لفرقة الغصن الرَّطيبِ

ويا ليثَ الشرى سجنوك مثلي
لَدُن خافوا وثُوبَك أو وُثوبي

●

ويقول :

أرى في غُرْبَةِ الانسان سجناً
فكيف بسجن إنسانٍ غريبِ

فكَم في السجن من ليلٍ غَضُوبِ
وكم في السجن من يومٍ عصيب

وزاد عـلـيَّ ضـيـقَ الـسـجـن أنِّي
حُـرِمْـتُ بـه مـن الخـلِّ الأريـبِ

●

ويقول أيضاً :

سـجـنـوني دونمـا ذنـبٍ سـوى
أنَّـني سـامـي المُـنى حُـرٌّ عـزيـزْ
لا يـضـيـر الـسـجـن مـثـلي إن يـكـنْ
مـوطـني يُـصـبـح في حـرزٍ حَـرِيـزْ

●

ويقول الفرزدق :

بـل مـا رأيـتُ ولا سـمـعـتُ بـه
يـومـاً كـيـوم صـواحـب الـقَصْرِ[1]
فـاذكـر أرامـلَ لاعـطاءَ لهـا
ومُسَحَّنِيْـنَ لـموضـعِ الأجـرِ
لـو يُـبْـتَـلَوْنَ بـغـيرِ سـجـنهـم
صـبـروا ولـو حُـبـسـوا عـلى الجـمـر[2]

ويقول أدونيس :

.. جئت الى بغدادْ

في سعف النخل وماء النَّهْر

---

(١) صـواحب القصر : إشارة !! مـا كان يفعله الحجاج بنساء الخارجين على الخلافة ( بحِبْسهِنَّ وسيء مُعَاملتهنَّ ) .
(٢) التجمير : حَبْسُ الجيوش في المغازي .

في رئة العصفور

ثَمَّةَ سجَّانٌ من الدِّماءْ

يحرسه التيجانْ

يحرسُ أقفاصاً من الرؤوسْ

من جُزُر الأحلام والبكاءْ

خَبَّيتُها ، ملأتُ أُغنياتي

باللَّهب الأرضيّ ، بالفؤوسْ

أَخْترق السجَّانْ

أقتحمُ المدافنَ الطَّويلة

أدخل في الأقفاص في أبعادها النَّحيلة

أشعِلُ فيها جمرة البدايَة

أَشعِلُ غابات بلا نهاية

●

ويقول أيضاً :

. . . وَصَرَخْنا

جَعَلْنَا مقابرَ آبائنا

وجعلنا الأيامى

وبراكيتَنَا السَّجينة

نهراً يغسلُ المدينة

ويقول أبو نواس

ودارِ نـدامـى عـطّلوهـا وأَدْلَجُـوا
بهـا أَثَـرٌ مـنهـم جـديـدٌ ودارسُ
حَبَسْـتُ بهـا صحبي فَجَـدَّدت عـهـدهـم
وإني عـلى أمـثـال تـلك لَحَـابِسُ

●

ويقول البحتريُّ

... عُـمـرت لـلسـرور دهـراً فَـصَـارت
لـلتـعـزِّي ربـاعُـهـم والـتـأسيِّ
فَـلَهـا أن أُعِـيـنَهـا بـدمـوعٍ
مُـوقـفـاتٍ عـلى الـصَّـبـابـة حُـبْسِ

●

يقول عمر أبو ريشة :

أنـاجـيـك يـا نـجـيَّ الـدراري
وأُغَـنِّـيـك أغـنـيـاتي الحـسـانـا
ن آفـاقـك الـبـعـيـدة لا تُـطلق
لـلخـاطـر الحَـبِـيْسِ عـنـانـا

●

يقول محمود درويش :

... بالحُبِّ محكومان باللون المُغَنِّي

والضوء يشرب ليل أحزاني وسجني

فتَعال ، ما زالت لقِصّتنا بقيَّةْ

سأُحدِّثُ السَجَّان ، حين يراك

عن حُبٍّ قديم

فَلَرُبَّما وصَلَ الحديثُ بنا الى ثمن الأغاني

هذا أنا في القيد أمْتَشِقُ النجوم

وهو الذي يقتات ، حُرَّاً من دُخاني

ومن السلاسل والوجوم

. . . . . وأنا سأغرقُ في الزّحام غداً ، وأحلم بالمطر

وأحدِّث السمراء عن طعم السلاسل

وأقول : موعدُنا القَمَر

# خاتمة

يقول البيّاتي :

إلهي ! أعدْني

الى وطني ، عندليب

على جنح غيمة

على ضوء نجمة

أعدني . . . فُلَّة

ترفُّ على صدر نبعٍ وتلَّة

أُغنِّي الشروق

أُغنِّي المغيب

أُغنِّي الرَّبيع

أُذوِّب في صرخاتي الصَّقيع

صقيع ربيع بلادي الحزين

ربيع الإله السَّجين

أُغنِّي البراعم

أنا لستُ . . . حالم

إلهي ! أعذْني

عندليب

# مصادر ومراجع الكتاب


| الكتاب | المؤلف |
|---|---|
| الأغاني | الأصفهاني |
| معجم الأدباء | الحموي |
| الشعر والشعراء | ابن قتيبة |
| البيان والتبيين | الجاحظ |
| الحماسة | أبو تمام |
| القاموس المحيط | الفيروزا بادي |
| يتيمة الدهر | الثعالبي |
| ديوان طرفه | طرفة ابن العبد |
| ديوان المتنبي | أبو الطيّب المتنبي |
| ديوان أبي فراس | أبو فراس الحمداني |
| الأعلام | الزركلي |
| تاريخ الأدب العربي | بلاشير |
| أدباء العرب | البستاني |
| تاريخ آداب اللغة العربية | شوقي ضيف |
| تاريخ الأدب العربي | عمر فرّوخ |
| تاريخ الأدب العربي | حنّا الفاخوري |
| الالتزام في الشعر العربي | أحمد أبو حاقة |
| الغربة في الشعر الجاهلي | عبد الرزاق الخشروم |

| | |
|---|---|
| ديوان حصار السجن | أحمد الصافي النجفي |
| ديوان الجواهري | محمد مهدي الجواهري |
| ديوان البيّاتي | عبد الوهاب البيّاتي |
| شعر سليمان العيسى | سليمان العيسى |
| ديوان الأرض المحتلة | يوسف الخطيب |
| أشعار نجم | أحمد فؤاد نجم |
| المجتمع والعنف | ترجمة الأب زحلاوي |
| السجن السياسي في الرواية العربية | سمر روحي الفيصل |
| أبو الطيب المتنبي | بلاشير |

# الفهرس



## الجزء ألاول

## الجزء الثاني

## الجزء الثالث